مع المؤتمرات الدولية - ٢

ملتقيات الفكر الاسلامي في الجزائر

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مع المؤتمرات الدولية - ٢

ملتقيات الفكر الاسلامي في الجزائر

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

الكتاب: مع المؤتمرات الدولية ــ ٢.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.
الجمهورية الاسلامية في ايران. طهران. ص.ب: ١٣١٣/١٤١٥٥.

التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦م.

المطبعة: سبهر / طهران.

طبع منه: (٥٠٠٠) نسخة.

القرآن والثقافة والحضارة

الشيخ عبدالحسين المعزي

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن: الكتاب الذي صنع اكبر ثورة ثقافية في التاريخ، إذ أنقذ العالم من وهدة الضياع والخمود، ووضع الانسانية على الصراط المستقيم، بينما كانت ــ قبله ــ تغرق فى جهلها وضياعها الاخلاقى وتمزقها الحضاري.

جاء القرآن فأعطى للبشرية أفقاً جديداً، ورسم لها نظرتها الكونية الشاملة وأشعل مصابيح العقول وحررمكامن النفوس، فاذا الابداع يتفجر، واذا العرب ــ قبل غيرهم ــ ينطلقون بمشاعلهم الحضارية لينيروا الارض ولتبدأ المسيرة الحضارية الناضجة وتنزوي الافكار التي كبلت الانسانية دهوراً.

ورغم ماطرأ على المسيرة الثقافية والحضارية الاسلامية من نقائص في التطبيق وبعض انماط الضعف في الالتزام باطروحة الاسلام والانسجام مع نظرته الكونية فان البشرية نهلت من نميره أعذب سلسال وأطهره....

وقد بدأ افول هذه الامة يوم انحسر القرآن عن حياتها، ويوم راحت تتقبل ثقافات لا تنسجم مع خط القرآن ولا تتلاءم مع روحه ظانة ان ذلك من مقتضيات التقدم والتلاؤم مع مقتضيات العصر ناسية أن القرآن شمس تتجدد مع مطلع كل عصر، وأن عليها ان تبقي أطره العامة هي الحاكمة لتضمن شخصيتها واصالتها وعنصر تقدمها...

وعلى أيِّ حال، فاننا لم نَصْحُ إلاّ والقرآن بيننا مهجور بنظامه و بآفاقه، و بتوجيهاته الاجتماعية البناءة، و بروحه الثورية المغيِّرة، و إلاّ والأفكار المادية تعشعش في أذهان شبابنا، وأصالتنا ذائبة ممزقة، وشخصيتنا ينتابها القلق والاهتزاز. وهذه الحالة بلاريب تتبعها التبعية النفسية والسياسية للمعسكرات الجاهلية التي جاءالاسلام أصلاً ليخلّص البشرية من شرورها.

إلّا ان الوميض الثقافي والعقائدي المتبقي في هذه الامة كان كافياً عندما اقترن بوعي حضاري لان يبعث فيها شوقها الى الاصالة من جديد واتجاهها نحو نفض التبعية المميتة، ولملمة الشتات الموزعة وتهيئة ارضية مساعدة لثورة ثقافية يسري اوارها اليوم في العالم الاسلامي وهي تستهدف اول ماتستهدف العودة الى الذات لتغييرها والتخلص من الألينة العارضة والغربة القاتلة عن ذاتها في الحقل الثقافي وهو عماد الحضارة والضامن لفاعليتها. وهذا الهدف يقوم على اساس القانون القرآني القائل: (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم). وذلك اطمئناناً من أمتنابأن الفطرة هي القادرة على تشخيص انسانية الانسان وتحقيق تكامله الحقيقي، وسيره التربوي الاصيل.

ومن الطبيعي ان تتناول الثورة الثقافية في امتنا مختلف الحقول وتشمل كل الوسائل التي يتم السريان الثقافي من خلالها.

كما ان من الطبيعي ان تقف في وجه هذه الثورة كل العوامل الرجعية في منطق الاسلام أي كل العوامل التي تحول دون تكامل الانسانية عبرالمنهج الاسلامي الاكمل.

ولما كانت هذه الثورة القرآنية الثقافية تعني تغييرأهم مرفق حضاري فانها تتطلب التدرج الصحيح، فالنفس لايمكن تغييرها بلحظات والمجتمع لايمكن ان يربى في ايام، ومن هنا كانت خطوات هذه الثورة على النهج التالي:

اولاً: تبلور الفئة الطليعية الواعية التي تعمل على فهم اسلامها فهما واعياً، فهمه كاطروحة كاملة خالدة للحياة الانسانية بشتى مناحيها، وفهم زمانها ومتطلباته التي راعاها الاسلام من خلال مناطق الفراغ التشريعي فيه.

ثانياً: تقوم هذه الفئة بالتخطيط لتوسيع دائرة التأثير العقائدي وحتى العاطفي الواعي في الامة شيئا فشيئا ومرفقا مرفقا...

ثالثاً: تعمل على نفي العناصر ورفع العقبات التي تعترض طريق هذا التغيير

الحضاري وأهمها التاثير المادي الغربي والشرقي، وذلك بفضح نقاط ضعفه وقطع أيديه، واجتثاث جذوره المخربة في المجتمع.

رابعاً: وعندما تنضج الساحة وتستعد النفوس يكون التحرك السريع نحوالثقافة الاصيلة كعمود حضاري مهم وتكون النهضة الشاملة ضد كل عوامل التخلف وتبدأ الطاقات بالنزول الى واقع التطبيق الشامل. ويجعل الاسلام معيارا فكرياً شاملاً تقاس به انسانية أيِّ مبدأ، وصلاحية أيِّ نظام.

ونحن اخوتكم في ايران المسلمة صممنا على العودة الى الاسلام وسرنا وفق الخطوات الآنفة بقيادة زعيمنا الاسلامي المخلص الامام الخميني (دام ظله) لتحقيق الوجود الاصيل للاسلام في امتنا، فلم تنجح الثورة الاسلامية اعتباطاً، وانما سبقتها عملية بلورة للفئة الواعية، واستيعاب للفكر والتربية الاسلامية، ثم انطلاقة مخططة للامة التي عمل الطاغوت الشاهنشاهي، على إماتة كل خصائصها، وبث التميع والتحلل الاخلاقي فيها. وفوق كل ذلك عمل على تحريف افكارها وزرع الافكار المادية عنوة في رؤوس أبنائها بشتى الوسائل والطرق، فالنظام نظام الطاغوت، والثقافة ثقافة فجة خليطة، والاخلاق خليعة ماجنة. ولكن انطلاقة الفئة الواعية مزقت كل الحجب.. وأفشلت كل الخطط، ووسعت من دائرة الاشعاع الاسلامي، وعمقت الوجود الاسلامي في النفوس، وأثارت العاطفة الاسلامية في القلوب. فكان الانتصار الرائع، وكانت الخطوات الحكيمة للقائد المظفر الامام، وانشئت اللجنة الثورية الثقافية استجابة لرغبة عارمة من الجماهير فراحت تعمل بكل صمت على تطهير الجامعات في ايران المسلمة فكرا وادارة وعناصر، وتشكلت اللجان الاسلامية الواعية التي اخذت على عاتقها صياغة الفكر الصحيح وارجاع المناهج الدراسية المدرسية والجامعية الى الحضيرة الاسلامية ونفي ثقافة الطاغوت والتجمل والضياع، وقطعت في هذا السبيل اشواطاً موفقة. كما وسرت في الطلاب موجة الرجوع الى الاسلام والخلاص من قيود الكفر المادي الاستعماري. هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد تمشت روح الثورة الى وسائل الاعلام فطهرتها من ارجاس الغرب وتحلله. فالاذاعات في ايران وهي كثيرة كلها مدارس تربوية سامية الهدف قوية المضمون لاتجد فيها ايّ مظهر من مظاهر الخلاعة والضياع، وانما تسير حثيثا نحوالامثل فالامثل في نوعية الاعلام الاسلامي. وهكذا قل عن الصحف المنتشرة والكتب المربية وانماط

الاعلام الاخرى. والجدير بالذكر أن الجمعيات الثقافية في البلد بدأت بالتشكل الواحدة تلوالاخرى والكل منها يتناول شريحة اجتماعية معينة عاملاً على تنميتها وتصعيد وعيها الثقافي المتأثر بالقرآن الكريم والسنة المباركة ونظم الحياة التي ارادها الاسلام ان تتجسد.

ومن الطبيعي ان يقف الاستعمار وكل اذنابه وعماله في وجه هذا التحرك الذي يستهدف جذوره ليقتلها. ومن هنا وجدنا المؤامرات تلو المؤامرات والاساليب الخبيثة الامريكية لتحريك الصنائع المدللة ضد الجمهورية الاسلامية سواء من الخارج اومن الداخل. فقوة التدخل السريع تتخذ مواضعها، وكل من سار في درب النعراق يعينه على تنفيذ المخطط الاستعماري لضرب الاسلام في ايران. وهكذا بدأت العناصر الداخلية التي رباها الاستعمار من قبل وسللها الى الداخل بدأت بسلسلة من الاغتيالات المنظمة والارعاب والتخويف ظانة ان الثورة التي قام بها الشعب كله ستركع لمتطلبات العدو الكافر. ناسية او متناسية ان الامة في ميدان ثورتها لن تغلب أبداً. وهل استطاعت قوى فرنسا العاتية ان تصد ثورة الاسلام في الجزائر البطلة؟

وتقبلوا في الختام تمنيات الامام القائد البطل لمؤتمركم هذا بالنجاح والفلاح والخير العميم على امتنا لتسير في طريقها اللاحب نحو تحقيق خصائصها التي ارادها الاسلام لها من الوحدة الكاملة والترابط والواقعية والوعي الاصيل في ظل حكم الاسلام ولواء التوحيد.

مستقبل المجتمع الانساني
على ضوء القرآن الكريم

محمد علي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

للقرآن الكريم تصوره الواضح عن مستقبل الوجود الانساني، وله اساليبه المختلفة لتركيز هذا التصور في ذهن الانسان المسلم، كما ان له تخطيطه الاصيل في دفع البشرية نحو تحقيق هذا التصور وتجسيده واقعاً حياً.

ولكن قبل الدخول في صميم الموضوع لابدَّ لنا من كلمتين تمهدان لنا السبيل:

الاولى: نقولها ردا على تساؤلات وجدت من يطرحها إمّا تعمُّداً وإمّا انجراراً واتباعاً للشبهة وهي تقول: اليس البحث عن تصور كامل للمستقبل يعد من ترف القول ومن الانسياق الطوبائي نحو عالم مجهول؟ ولماذا نتوقع من القرآن بالخصوص ان يعطينا هذا التصور ونحن نعلم ان القرآن كتاب هداية وايديولوجية عملية للحياة... وليس كتابا علمياً مدرسياً. يحدثنا عن قوانين الكون و يكشف لنا مغاليق الاسرار، تماما كما تفعل الكتب العلمية في الفيزياء وعلم النفس والبيولوجيا؟ ان القرآن لا يصادر مجالات الابداع الانساني و يطرح نفسه بديلا عن هذا الابداع. و يضيف هؤلاء بان القرآن لوكان كتاباً علمياً لاختص بمجموعة من العلماء والفلاسفة ولم يعد كتاب هداية. اذاً فنحن لا نتوقع من القرآن حديثا عن المستقبل الانساني وما يتطلبه هذا الحديث من كشفٍ لقوانين الحياة الاجتماعية

وسنن التاريخ الجارية. ونقول في جواب هؤلاء المتسائلين: اننا لو لاحظنا الحقائق التالية لأدركنا ان هذه العملية الكاشفة لما كانت تتعلق بالساحة التاريخية فانها تكاد تكون من اهم الخطوات المحققة للهدف الايديولوجي العادي للبشرية، وان الكشف عن هذه الحقيقة العلمية هنا له دوره الاكبر في تحقيق الهدف الانساني الاقصى بلاريب. وهذه الحقائق باختصار هي:

أولاً: وجود الترابط المنطقي الطبيعي بين نظرة الفرد والامة الى الكون والحياة والانسان وبين نوع الايديولوجيا العملية التي تحكم سلوكه وسلوكها. اما محاولات انكار هذا الترابط فما هي إلا شبهاتٌ لاغير.

ثانياً: ان القرآن الكريم اذيتصور مستقبل الانسان فانه يعمل على ان يحققه الانسان بارادته وفكره لاعن كراهة وانغمار في موجة الجبر التاريخي بل انما باعتباره المصير الطبيعي للمسيرة الفطرية.

ثالثاً: ان تصور المستقبل الانساني الاكمل والانشداد اليه بفعل وجود الميول الطبيعية الفطرية للكمال والمعرفة لهما اثرهما المهم في اندفاع الانسان نحو تحقيقه... ان الساحة التاريخية الانسانية هي الساحة الوحيدة التي يؤثر فيها التنبؤ العلمي بالحادثة والظاهرة المستقبلية في تحقيق هذه الظاهرة نفسها. واخيراً يجب ان نلاحظ ان قضية المستقبل الانساني ليست مما يختص به انسان او يتخصص له آخر بل الحديث عنها حديث للجميع.

فالقرآن على هذا لايصادر ابداع الانسان بل يفجّره في مجال صنع هذا المستقبل وعبر اعطائه النظرة الكونية الشاملة بما فيها صورته عن المستقبل، وعبردفعه لصنعه بكل اختيار وارادة مؤثراً بتنبئه على سير الانسان نحوه.

والكلمة الثانية: تدور حول بعض التصورات الانسانية لمستقبل الانسانية نفسها، ولكن قبل عرض هذا البعض نود أن نؤكد على أنها لا تعدو كونها تنبؤات واحلاما لاكاشف علميا لها بل قد لا يستطيع الدليل العلمي بمعناه الدقيق المصطلح (اي الدليل التجربي) أن يكشف لنا عن مثل هذا القانون والقوانين التي ترسم لنا المستقبل بوضوح. أما القرآن الكريم فباعتباره كلام خالق الكون والحاضر لديه كل المخلوقات والقوانين «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولاأكبر إلّا في كتاب مبين» (يونس ٦١).

القرآن يمتلك مطلق الحق في الحديث عن ذلك، ولك ان تتابع الادلة التي تسوقها الرأسمالية والماركسية لتصورها المستقبلي ليتوضح لديك ماقلناه بالفعل، وعلى أيّ فان الرأسمالية عندما اشتدت صورتها تصورت الجنة الانسانية الموعودة في مجتمع تسوده الحريات الفردية الكاملة سواء السياسية منها او الاقتصادية او الشخصية او الفكرية، و بنت ذلك على أساسٍ من التصور الأوماني للمجتمع والأيديولوجية الليبرالية ــ وهي الاساس الفكري لكل الرأسمالية ــ مدعية انها بذلك قد اشبعت طموحات الانسان بهذا التصور، وان الانسانية لابد سائرة نحو بناء مجتمع الجنة الرأسمالية. ولكن الواقع كذب هذا التصور أيّما تكذيب، وكشف عن عقبات كثيرة أمامه، ونتائج فظيعة له، الأمر الذي دفع الكثير من المجتمعات للارتماء في أحضان النظام المقابل للرأسمالية وهو النظام الاشتراكي الماركسي لاحُبّاً فيه ــ في كثير من الأحيان ــ بل تخلصا من الرأسمالية وو يلاتها.

أمّا التصور الماركسي للمستقبل فهو أبعد خيالاً. إذ يصور القمة العليا للمجتمع الانساني في شكل مجتمع تفنىٰ فيه أكثر الغرائز الانسانية أصالة (وهي غريزة حب الذات). وحينئذ فلا داعي للدولة ولاداعي لتوابعها بل الناس يتحركون بشكل طبيعي نحوالمصلحة الاجتماعية دون أن يفكروا بالمصلحة الشخصية أو يعرفوا لها معنى في قاموسهم النفسي. ولكن قبل الوصول الى هذا المجتمع يجب ان تمر البشرية بمرحلة ستار حديدي تذوب فيه الحريات، وتقتلع فيه من النفوس كل الرواسب الرأسمالية.

و يكفي في رد هذا التصور أنه يستبطن مخالفة لأعمق أصالةٍ فطرية في الانسان، وأن الواقع الانساني الذي نعيشه أو ندرسه يوضح بطلان هذا التصور، وانه لايملك أي دليل علمي يثبته. ذلك، أن اساسه قائم على نظرية المادية التاريخية وهي نظرية أوهتها حتى مقاييسها هي، فالتجربة أثبتت البطلان، والتاريخ يكذب هذه القولبة الاقتصادية إضافة الى الأدلة الفلسفية القاطعة على بطلان المذهب المادي نفسه عموماً.

القرآن والمستقبل

بعد هذا فلنعرف تصور القرآن عن المستقبل الانساني عبر قراءة الآيات

الشريفة التي تشير الى هذا المستقبل ومنها الآية الشريفة:

«وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما آستخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي آرتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون» (النور:٥٥).

والآية الشريفة:

«ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» (القصص: ٥،٦)

فالآية وان كانت تتحدث عن حادثة تاريخية لكنها بملاحظة قرينة لحنها والروايات الواردة فيها تعطي حقيقة عامة.

والآية الشريفة:

«إن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتقين» (الاعراف: ١٣٨). وعبر الجمع بين الآية القرآنية الشريفة **«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا»** (الاعراف: ١٥٨)، و آيات آنتصار الدين على غيره وهي توحي بشيءٍ من الصورة المستقبلية للقرآن بالاضافة الى تصدِّيها لبيان هدف الرسالة.

و **«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»** (التوبة:٣٣) و (الصف:٩).

و **«هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا»** (الفتح:٢٨).

ومنها الآية الشريفة **«فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطرالناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم»** (الروم: ٣٠)

ومن خلال آيات اخرى ترتبط بهذا المجال نعرف ان الصورة المستقبلية القرآنية يمكن تلخيصها بما يلي:

قيام الحكومة العالمية الواحدة التي يقودها المؤمنون الصالحون الذين مكّن الله لهم دينهم في الارض، وانتشرت راياته على ربوعها، والذين ينطلقون في بناء المجتمع العابد الموحد الذي لايلوثه شرك أو كفر أوطاغوت اوخوف ذلك المجتمع

الذي يسوده عدل الاسلام، وتغمره بركات الله تعالى، المجتمع الفطري السائر في سبيله الطبيعي، الكادح الى ربه كدحا، وعبر قيمومة الدين وهداية الوحي.

فالارض كلها حكم واحد يقوده الصالحون، والدين فيه هوالقيِّم، والفطرة فيه هي المتجلية، والمعايير هي معايير دين الفطرة، والعبادة لله هي أجل مظاهر الفطرة، والتنافس في السير الى الله تعالى يدفع الركب حثيثاً نحو مراقي الكمال. ومن الطبيعي بعد هذا أن يكون الرخاء المادي في أقصاه، لأن سبب المشكلة الاقتصادية في تصور القرآن هو الظلم في التوزيع، وكفران النعمة في الانتاج. واذ ينتفيان تنهلّ نعم الله. يقول تعالى «**وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفّار**» (ابراهيم: ٣٤).

هذه هي خلاصة الصورة التي يقدمها القرآن عن المستقبل العام، ثم يعمل على تركيزها في التصور بأساليب مختلفة.

ومن المناسب هنا ان نشير الى الأحاديث الكثيرة الواردة في الامام المهدي عليه السلام ودولته، وأنه سيحكم الأرض و يغمرها عدلا و يطهّرها من الظلم والجور والفتك، ويحقق مضمون الآيات الكريمة حيث يكون الدين كله لله، فيتحكم الاسلام في كل مرافق الحياة.

أساليب القرآن في تأكيد هذه الصورة المستقبلية

والواقع ان هذه الاساليب كثيرة و ينبغي أن ندرك مغزاها بعدان ناخذبعين الاعتبار ماقلناه من الجوانب الاجمالية للصورة المستقبلية ومنها:

اولاً: التركيز القرآني على لزوم أن تؤتي المسيرة الانسانية ثمارها، وانها لم تخلق عبثاً وباطلا، وأن هدف الخلق لابد متحقق، وهوالعبادة والعبودية الشاملة ــ وهي ناظرة الى الدينا قبل الآخرة ــ وأن الاصلح هوالباقي في الارض. يقول تعالى: «**فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين، وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين، لو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هوزاهق ولكم الويل مما تصفون، وله من في السماوات والارض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون**» (الانبياء من: ١٥ــ١٩).

والظاهر انها تتحدث عن فناء الباطل في هذه الدنيا فتذكر احدى السنن

التاريخية وكيف أن الانحراف يؤول إلى الفناء في النهاية، وان الهدف الالهي سيتحقق في الارض. وهنالك آيات أخر تؤكد هذا المعنى: منها قوله تعالى **«كذلك يضرب الله الحق والباطل فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال»** (الرعد:٦٧).

ثانياً: التأكيد القرآني على إعطاء المجتمع الانساني والامم حياةً لها كل خصائص الحياة الانسانية، فلها أجل وكتاب واضمحلال، ولها سنن تسلك بها الى التكامل، وعلى أن الفطرة هي العامل المشترك بين أفراد الانسان، و بالتالي فهي العامل الذي يترك اكبر الأثر في المسيرة والذي لايحذف بتاتا من حياة الانسان ــ رغم محاولات تشويهه وإخفائه **«فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»** (الروم: ٣٥١) كل ذلك بشكل لايفقد معه الانسان ارادته كما يفقدها أمام القوانين الطبيعية وإنما تشكل هذه السنن أرضيةً مساعدةً لاتجاه الإرادة الإنسانية نحو صنع المستقبل الافضل، أوفلنعبِّر بأن الارادة الانسانية تحفز نحو تحقيق موضوع القانون التاريخي الذي يصنع الافضل (ذلك بأن الله لايغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم) فبإرادة الناس يبدأ التغيير المطلوب.

ثالثاً: يؤكد القرآن الكريم ان الكون بني على الحق والعدل والهدفية الدقيقة، وان اية حركة باتجاه الحق والعدل ستحظى بمعونة تكوينية ــ قد لانعلم نحن تأثيرها ــ ولكنها على اية حال حقيقة قرآنية كاملة:

فالكون كله يُسَبِّحُ الله، واذا سبَّحَ الانسان والمجتمع وعبدا الله فقد انسجما مع الكون، والكون يقوم على ميزان عادل فينبغي للانسان أن لايطغىٰ في الميزان، بل ينسجم مع الكون. وهكذا يوالي القرآن في آيات متفرقة تأكيد حقيقة الانسجام حتى يشعر المسلم بانه اذيكبِّر يسمع تكبير الكون معه وهذا ما تؤكده بعض الروايات. ومن هذا الباب الآيات التي تربط بين الأمور المعنوية والظواهر المادية **«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض»** (الاعراف:٩٦). وكذا القانون الذي ذكره الله تعالى للمسيرة الانسانية عند بدئها ــ **«ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى»** (طه:١٢٤). ومن الواضح أن هذا الربط يعني ان المنتصر في الارض هوالعدل والحق في النهاية.

كما يمكننا ان نعد من ذلك الآيات التي تؤكد حب الله للمحسنين،

والتوابين والمتطهرين والمتقين والصابرين، والمتوكلين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وغيرهم، وذلك إذا لاحظنا أن الحبَّ هنا لايمتلك بعداً عاطفياً بقدرما يعبّر عن فيض إلهي ورحمة بهؤلاء،وهي تنعكس في الدنيا نصراً على أعدائهم وتحكيما لهم ولدعوتهم بلا ريب، وفي الآخرة جنة وحريرا.

كما ان القرآن الكريم يؤكد على عنصر الامداد الغيبي للرعيل المؤمن العامل في سبيل الله وهذا مانلاحظه في كثير من الآيات الشريفة ومنها قوله تعالى في آخر سورة العنكبوت «**والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**» (العنكبوت:٦٩) و «**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**» (غافر: ٥١) و «**بلى إن تصبروا وتتّقوا يأتوكم من فورهم هذا يمدد كم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسوِّمين**» (آل عمران: ١٢٥).

رابعاً: تأكيد القرآن الكريم على أن الانظمة الوضعية البشرية صائرة الى الفشل حتماً، وأنها مهما بدت عميقة الجذور،قويتها؛فستنتهي الى الفناء حتماً. ذلك أنها ــ في تصور القرآن ــ غير منسجمة مع المسيرة الكونية من جهة، وتحمل في وجودها عناصر فنائها. باعتبارأن التماسك الحقيقي داخل أيِّ نظام لايمكن ان يتم إلّا عبر عقيدة واقعية حية لاغير. اما التماسك الوطني والقومي والمصلحي والجنسي والعقائدي المادي فما هو إلّا عاملٌ وقتي ــ لايمتلك إلّا جذورا عاطفية أو وهمية ــ لبس لبوس الواقع وسرعان ما تكشف الفطرة خداعه وزيفه، ومن جهة ثالثة فان الولاء العقائدي الحقيقي هوالذي يضمن لوحده وحدة الهدف حقيقة، وينفي تعدد الولاءات أومايعبَّر عنه بالشرك في الولاء فلا إله إلّا الله، ولا مقياس إلّا رضاه، وهذا ما تفقده الأنظمة الوضعية بكل وضوح «**وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إنْ يتبعون إلّا الظن وان هم إلّا يخرصون**» (يونس:٦٦). و «**ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً. الحمدلله بل أكثر هم لايعلمون**» (الزمر:٢٩). و «**والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجدالله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب**» (النور: ٣٩) و «**مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون**» (العنكبوت:٤١).

وفي سياق استعجال الناس ايام الرسول للعذاب الذي اصاب المكذبين من قبل تقول الآية الكريمة: «**ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنَّ يوماً**

عند ربك كألف سنة مما تعدُّون» كما يستفاد منها أنها ناظرة الى عذاب الدنيا والهلاك الحضـاري فيها. وهنا اساليب اخرى يسلكها القرآن لتأكيد إيمان المسلم بالنصر النهائي وذلك بملاحظة الإخبار الالهي الحق بأن النتيجة الحتمية لتطبيق الاسلام بكل عناصره في أيِّ مجتمع هي دفعه إلى الامام، وجعله الأعلى في الارض، وضمان انتصاره على باقى النظم، فاذا انضم الى هذا ايمان المسلم بلزوم تحقيق الوعد الالهي عبر علمه الحضوري بالمستقبل، وقدرته المطلقة على تحقيق مشيئته البالغة. بعد هذا لايبقى مجال للتشكيك في ايمان الفرد والمجتمع المسلم بضرورة حصول تلك الصور القرآنية المستقبلية.

ولكن يبقى في علمه حقيقة أن تحقق هذه الصورة يحتاج الى تهيئةٍ وآستعداد ومقدمات، ولايتم إلاّ عبر جهود مضنية تغيّر بها الأمة ما بأنفسها ليغيّر الله مابها، و يتحقق الأمل الكبير واليوم الموعود.

وسائل تحقيق الصورة القرآنية عن المستقبل الانساني

بعد ان عرفنا وسائل التركيز القرآني للصورة المستقبلية ينبغي ان نستعرض بإجمال شديد ـ يناسب المقام ـ الوسائل التي يسلكها القرآن للتحريض والتحريك نحو تجسيد هذه الصورة وتحقيق مقدماتها الضرورية وذلك على النحو التالي:

اولاً: يعمل القرآن ـ كما رأينا قبل قليل ـ على تركيز هذه الصورة في الأذهان وتوضيحها، والتركيز أسلوب مقدّمي للتحقيق. فالتاريخ هوالحقل الذي يؤثر فيه التنبؤ العلمي في تحقيق النتائج كما قلنا من قبل.

ثانياً: يطلب القرآن الكريم الى الطليعة الانسانية ـ ومن ثم الجميع ـ ان يعملوا على تحقيق التغيير الداخلي، وتنفيذ عملية الجهاد النفسي الاكبر؛ بالتأمل في أبعاد النفس ومعرفة عناصرها وميولها وكواشفها الفطرية، وتقوية جانبها المسيطر على مجمل التحرك وهو جانب الفكر والارادة، وإطلاق الصرخة الوجدانية، وبالتالى إيجاد الاستعداد لتقبُّل المدد الإلهي، وتحقيق موضوع الوعود الإلهية بالنصر. ونعني به (الصبر والتقوى) وإنزال الإسلام الى واقع التطبيق. واذا كان تعبير الجهاد الأكبر ينصرف إلى تطهير الفرد نفسه؛ فإنه يمكن أن يأتي بنفس المستوى على صعيد الأمة نفسها، إذ عليها ان ترجع الى نفسها لتعرف مكنوناتها،

وتدرك نقاط ضعفها وقوتها، ومن ثم تعمل على استرجاع خصائصها التي ارادها الاسلام لها بعد أن تنفي مظاهر الشرك والطاغوت من حياتها.

وخلاصة الأمر ان القرآن يؤكد أنَّ الاسلام وحده هوسبيل تحقيق الصورة المستقبلية الأمثل، وان البشرية اذا ارادت لنفسها ان تحيا بعد الموت فليس امامها الاسبيل الاسلام لاغير. وختاماً: أودان أقولها كلمة قصيرة:

انـنا في ايران المسلمة... الارض التي احياها الاسلام مرتين... الارض التي اراداعداء الله والانسانية ان يجعلوها وكراً وقاعدة لمحاربة المسيرة الانسانية سياسيا وعسكرياً وأخلاقياً، أبى شعبنا المسلم المجاهد إلّا أن يتبع طريق التكامل. انـنا في هذه الارض أبينا كل المخططات الاستعمارية، و بعث فينا الاسلام ثورته الدائمة فثرنا بقيادة إمامنا وقائدنا وموجهنا الكبير سماحة آية الله العظمى الامام الخميني ــ دام ظله على رؤوس المسلمين ــ الذي عاش بكل وجوده للاسلام والذي وهب كل مالديه في سبيل الرسالة الخالدة، وتحمل شتى صنوف الآلام والعذاب، وقدّم التّضحيات تلوالتضحيات، حتى آستطاع أن ينقذ شعبه من براثن الكفر والانحراف الطاغوتي، و بنجاح ثورته الاسلامية الكبرى بدأ الخطوة التالية على طريق تحقيق الهدف الاسلامي وهى خطوة إعادة الحكم الإسلامي الى واقع التطبيق في ايران. وهٰكذا انتفت شيئاً فشيئاً كل المظاهر المنحرفة فلم تعد ايران بؤرةً للقمار، ولا محلاً لشرب الخمر، ولا مسرحاً للدعارة والانحراف، وانما تطهَّرت ارضها من كل هذه الارجاس، ومن كل ذلك الدنس الشيطاني، وراح الشعب بقيادة زعيمه الكبير يقيم إوَدَ حياته على أساس القرآن، و يبني علاقاته على هدىً من تعليماته الخالدة... ثم ابتدات الخطوة الكبيرة الأخرى على طريق تحقيق الهدف الانسانى الكبير وهي دعوة كل مسلمي العالم الى الاسلام من جديد... الاسلام الأصيل... الاسلام الذي ينهض بالشعوب بدلاً من الركود، و يرفض التبعية المقيتة، و يبني المجتمع الانساني الأمثل. كل هذا بعد ان حاول الاستعمار من قبل أن يشوه الصورة الاسلامية و يقتل روحها الوثابة، و يقدم صوراً هزيلة للاسلام، وأطروحات كاذبة له حتى أنه أقام نماذج هزيلة وكيانات كاذبة تحكم باسم الاسلام والاسلام منها بريء، كل هذا ليميت فاعلية الاسلام في أمته، وليميت الاقبال البشري عليه. ولكن الثورة الاسلامية وقيادتها الرشيدة وَجَّهت العالم من جديد الى الاسلام الاصيل... الاسلام

البنّاء الرافض للصيغ الكاذبة والاطروحات الاستعمارية المخدرة فوجد المسلمون في هذه الدعوة أملهم الحقيقي يعود من جديد، وحلمهم الكبيريتجه نحوالتحقيق، ومستقبلهم الزاهرالذي وعدهم به القرآن يكاد يتجسد؛ فتلقوا الثورة بقلوبهم وبكل أحاسيسهم، واحتضنوا مسيرتها، ووقفوا الى جنبها. الامر الذي هزالكيان الاستعماري الغربي والشرقي على السواء وصدمه بأشدَّ من الصدمة الاولى، انه وجد حضارته المادية وهي تعاني الأمرَّين من الصحوة الاسلامية العالمية، ووجد مصالحه وهي مشرفة على التمزق فهي هباء، ووجد عملاءه وعروشهم تهتز بهم وشعوبهم تعمل على الانتفاض بوجوههم، ووجد كل ما زرعه في الارض الاسلامية يهتز. ومن هنا كان التخطيط الاستعماري الرهيب، وكان التجميع الهائل للقوى الاستعمارية بكل ألوانها واتجاهاتها وكل التحرك الاستعماري الغادر ضد الثورة الاسلامية العالمية. وراحت المؤامرات تترى الواحدة تلوالأخرى؛ فمن تحريك الاقليات العنصرية، الى محاولات التسلل الغادرة والى التدخل العسكري المباشر ومحاولات الانقلاب وتصديع الجبهة الداخلية الى غير ذلك. وكان آخر الطبخات الاستعمارية تحريك العراق وتموينه بالسلاح واعطاءه الوعود مما ادى به الى القيام بالعدوان الغادر على أراضي الجمهورية الاسلامية، وغير ذلك كثير وكثير.

إلّا أن شعبنا بقيادته الحكيمة أكّدأنه لن ينثني أبداً عن سبيله... سبيل تحقيق المستقبل الانساني الافضل وقد اثبت ذلك وكان عون الله تعالى اعظم سند له في مسيرته يسددها و يدفع عنها اعداءها و يصنعها على عينه وهداه.

وإنّا عبر هذا المنبر الاسلامي لندعوالمسلمين جميعا الى استهداف هذا الهدف الكبير والسير المستوي على صراطه المستقيم اذا أرادوا لأنفسهم تحقيق ما آمنوا به، وصدقوا في وعدهم لله. والله الموفق.

السنة النبوية ودفع الشبهات عنها

محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

ربما أمكن القولُ بانه لم تواجه اي رسالة او عقيدة ما واجهه المبدأ الاسلامي من هجومٍ شرس على مختلف الاصعدة، و بشتى الاساليب الممكنة خلال تاريخه الطويل. السيف، والعذاب، والتهم، والاشاعات، والتشويه، والتشريد، واللغو والتحريف، والتشكيك في كل شيء.

وكل ذلك أمر توقعه الاسلام وأعدّ له عدته، ومن ورائه مدد الله وعونه.

وكذلك يجب ان يتوقعه كل عامل لصالح الاسلام واعادته الى واقع الحياة اليوم و يعد له عدته، على اساس ان ذلك سنة تاريخية:

«وما ارسلنا في قريةٍ من نذير الاقال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون»

(سبأ : ٣٤)

ولعلّ اخطر ما في الحملات، التشكيك بالمنابع الاساسية لهذا المبدأ السامي و إضعاف الثقة به. ومن ثم اذابة كل ما يتوقع من خير تضيفه هذه المنابع لاحكام الصورة الاسلامية الاصيلة، وتعميقها في النفوس، ومنحها اصالتها التي بها تقارع وتقاوم ثم تبني وتتقدم.

ولسنا هنا بصدد عرض تاريخي بقدر ما نحن بسبيل مواجهةٍ فعلية مع المشككين اليوم.

لقد واجه المنبع الرئيس الاول للتصورات والتشريعات الاسلامية (القرآن) سيل التشكيك في نسبه السماوي اولاً، وفي مضامينه ثانياً، وفي حجية هذه المضامين ودورها وغير ذلك ولكنه كان اقوى من اي هجوم، وتقهقر التشكيك وصدق وعدالله **«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»** ولم نعد نسمع التشكيك في كتاب الله الا حسياً لا قيمة له.

ومن ثم استعرت الحملة ــ والى يومك هذا ــ ضد المنبع الرئيس الثاني (وهــوالسنة النبوية المباركة) لكي تنال منها، ومن قدرتها على اعطاء الصورة الاصيلة عبرالدس اولاً والتشكيك بعد ذلك في مجموع الاحاديث التي تتحدث عن السنة ووصفها بعدم الجدية لوجود الدس والتعارض وامثال ذلك.

والواقع ــ ايها السادة ــ ان المسألة خطيرة مصيرية يجب ان لانمر بها مرور الكرام، بل نقف عندها وقفة واعٍ فقيه بالابعاد الخطيرة لها.

وقد آثرت في هذه الفرصة التعرض للشبه المثارة بشيء من التفصيل بما يسمح لي الوقت راجياً ان يكون حديثي هذا منطلقاً للاستيعاب الأكثر لجوانب الموضوع.

اتباع السنة والعمل بالحديث من الضرورة

لا أغالي اذا ادعيت ان الضرورة العلمية بين المسلمين قائمة على لزوم اتباع سنّة الرسول(ص) الى يوم القيامة، بل والعمل بها من خلال مضامين الاحاديث الواصلة الينا... ومن هنا فكل تشكيك بذلك إنما هو مجرد شبهة في قبال ضرورة... وقد انصب التشكيك في الواقع على الوعاء الموصل للسنة الشريفة وهوالخبر وخصوصاً الخبر غيرالمفيد للعلم ويدعى اصطلاحاً بخبر الواحد. ولكن التأمل في المستندات المطروحة المنبهة على هذه الضرورة ينفي كل تشكيك فالتأمل في الآية الكريمة: **«يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»** (الحجرات:٦) وملاحظة مفهومها من عدم لزوم التبيُّن اذا كان المخبر غير فاسق يؤدي الى حجية قول هذا المخبر.

وكذا التأمل في قوله تعالى: **«وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرمن كل فرقةٍ منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»** (التوبه:١٢٢) وغير ذلك من الآيات، ولو لم يكن قولهم حجة لم يكن مجال

للحذر.

وكذا التأمل في التواتر المعنوي الذي تشع به الروايات الكثيرة واخيراً التركيز على السيرة الاسلامية القطعية على العمل بخبر الثقة وان لم يفد علماً كل ذلك ينبهنا لهذه الضرورة والبديهة.

دوافع المشككين

يمكننا أن نلخص دوافع المشككين على اختلافها بما يلي:

١ ــ **فسح المجال للاقتباس الفكري:** ذلك ان السنة اذا كانت محكّمة في التشريع والمفاهيم الى جنب القرآن الكريم اعطتنا صورة كاملة مفصلة عن النظام الكامل الشامل للحياة و بالتالي لم يكن هناك أي مبرر للتوجه الى النظم الاخرى لاستجدائها وتطبيقها، اما اذا اقصيت فقد انفتح الباب على مصراعيه، للآراء والأهواء المستوردة من قبل عملاء الغرب والشرق وهذه هي الطامة الكبرى التي ابتلي بها من يسمون بالمثقفين اليوم. وقد واجهت ثورتنا الاسلامية الفتية منهم اشد الضربات وكانوا اعظم الممهدين للعدو.

٢ ــ **العجز و الضحالة في الفهم:** فقد يؤدي هذا العجز، وقلة الثقافة وعدم التعمق، الى تبني مثل هذا الرأي لئلا يبتلى بالعواقب، وربما كان للشبهات المثارة دورها في تعميق هذا الاتجاه.

٣ ــ **توحيد الموقف:** فقد اغرى حب توحيد الموقف الاسلامي البعض للرضوخ لهذا الرأي ظاناً انه به يستطيع ان يوحد الموقف بارجاع الجميع الى القرآن الكريم وحده ولكنه لايدري انه كالمستجير من الرمضاء بالنار، اذ سيمزق الوحدة بشك فظيع. ويمكننا ان نذكر هنا بعض العوامل الأخرى.

بعض الشبهات المطروحة واجوبتها: ونحن هنا نذكر بعض الشبهات المثارة ليقف الاخوة على مدى ضحالتها، و يندفعوا للتعمق في الاجابة عن امثالها.

اولاً ــ ذكروا ان هناك بعض الروايات التي تتحدث عن الاكتفاء بكتاب الله عن غيره اوتنهى عن كتابة الحديث وامثال ذلك.

ولكن المرء يكاد يجزم بأن هذه الروايات ــ لوصحت أسانيدها ــ انما هي بصدد بيان فضل كتاب الله وعظمته، وان لاوحشة على من كان معه القرآن، فهو خير أنيس للمؤمنين لا ان تكون بصدد جعله المصدر الوحيد للتشريع، كيف

والقرآن نفسه يدعو الى الاقتداء والتأسي والطاعة لرسول الله والأخذ بما يخبر به المخبرون عن الاسلام وسيرة الرسول(ص).

اما الروايات التي ادعي فيها ان بعض الصحابة نهوا عن كتابة الحديث فلا علاقة لها بنفي العمل بالروايات وانما كانت ـ فيما اعتقد ـ تعبِّرعن تحوط من قبلهم لئلايقع الخلط بين الحديث والقرآن. و بغضِّ النظر عن صحة هذا التحوط وعدمها فانها لادلالة فيها على مايطلبه المشككون هؤلاء.

و ثانياً: ذكروا ان في الروايات ما هومعارض لغيره من الروايات نفسها ولما لم يكن من الممكن ان تتناقض السنَّة فيجب التوقف في المجموع.

ومن الواضح سخف هذا الاستدلال ذلك ان الروايات المتعارضة لها مساحة قليلة فاذا اريد التوقف فليكن في هذه الدائرة لاغير.

ثم انه كثيراً ما يكون التعارض ابتدائياً ـ اي بالنظر الأولي ـ ولكن بمجرد التأمل ينحل ذلك التعارض بحصول جمع عرفي ظاهر بين المتعارضين، او بتخصيص أو تقييد اوتقدم لاحدهما على الآخر باعتباره قرينة والقرينة مقدمة على ذي القرينة او باعتباره يرفع الموضوع او يتصرف في الحكم مثل تقدم حديث (لاضرر ولاضرار) على غيره من الاحكام الاولية.

نعم اذا استحكم التعارض توقفنا عن العمل بهما معاً.

ويجب ان نلاحظ هنا ان التعارض طبيعي الوقوع فقد يكون في الاصل ناشئا من عملية تدرج في اعطاء الاحكام، او من سقوط شيء وغيابه عن الراوي مما يغير المدلول، او من وجود خبر مدسوس لانعلم بدسه فنتصوره حجة علينا.

ثالثا: راح البعض يتحدث عن روايات تتنافى مع القرآن الكريم، ولكنه لم يستطع أن يذكر الاّ بعض الروايات. على أن الكثير مما يذكر كمصداق لذلك يرجع الى تخصيص او تقييد لمطلق قرآني وهو أمر واقع بشروطه المذكورة في محلها. نعم اذا رأينا الخبر منافيا تماما لمضمون القرآن ضربنا به عرض الجدار ولم يكن الا زخرفا.

رابعا: راح البعض يذكر ان الاحاديث كانت موجهة للمخاطبين بها بالفعل فلا تشمل غيرعصرهم من العصور.

وهذه الشبهة هي من أوهى الشبهات؛ ذلك ان من المسلَّم به الواضح في خلد جميع المسلمين والموحى به من تعليمات القرآن أنه(ص) كان يتحدث لا مع

عصره فحسب بل مع كل العصور، وأن حلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، وأنه أسوة حسنة لكل المؤمنين عبر التاريخ... مما أوجد لدى المسلمين آنذاك قاعدة الاشتراك ، اي اشتراك غيرهم معهم في الاحكام، فمتى ما شك في اختصاصهم هم بحكم، او حتى اختصاص الرسول بحكم دونهم جاءت قاعدة الاشتراك حاكمة في البين.

خامسا: وراح هؤلاء يسوقون الأمثلة على تغير المصطلحات عبر الفترات الزمانية فمصطلحات (الوطن) و (الاشتراكية) و (الرعية) وغير ذلك قد تغيرت رأسا على عقب، ومن هنا فما أدرانا أن مانفهمه من الروايات هو المقصود الواقعي منها.

ونحن لا نشك في ان بعض ظواهر اللغة والكلام متطورة عبر مؤثرات مختلفة لغوية وفكرية واشراطات تاريخية معينة، فيختلف المعنى الظاهر في عصر الصدور عن ما يظهر في عصر آخر. والمعوّل عليه هو الظهور في عصر الصدور لا غيره.

إلّا أن هناك أصلا عقلائيا ممضىً حتما من قبل الشارع المقدس بالاقرار يسمّى بـ (أصل عدم النقل) أو كما يسميه العالم الشهيد السيد الصدر بـ (أصالة الثبات في اللغة) يحل المشكلة موضحاً ان العقلاء يبنون على هذا الاصل باعتبار البطء في حدوث اي تغيير في المفهوم من اللفظ مما يجعله في نظرهم امراً استثنائياً. فمتى ما شككنا في تغيُّرٍ ما بنينا على عدمه ولا مشكلة في البين مطلقاً.

سادساً: وذكروا ان هناك الكثير من الروايات المفتراة فكيف نتأكد من الصدور والحال هذه؟

والجواب على هذا واضح بعد الذي قدمناه اذ اننا بعد التجاوز عما يؤدي الى العلم بالمضمون من الروايات قلنا ان الشارع عبّدنا بمضمون اخبار الآحاد التي يرويها الثقات واكمل كشفها الناقص تعبداً لا وجداناً فنحن معذورون اذا عملنا بها وخالفت الواقع وهي منجزة علينا فليس لنا المخالفة فما علينا اذن الا الفحص والتمحيص الدقيق في السند والمتن والمداليل، ومتى ما انتهى البحث فنحن معذورون امامه تعالى.

سابعاً: وربما طرح البعض شبهة تقول ان تعليمات الرسول خصوصاً في المجال الاجتماعي كانت تقتضي كونه ولياً للأمر لامخبراً عن الشارع المقدس، او

على الاقل يقال بوقوع الخلط بين ما يصدر بصفة الولي وما يصدر بصفة المشرع.

ولكن الواقع هو انه كانت تصدر منه(ص) تلك التعليمات باعتباره حاكماً ولها جانب مؤقت ولكن كل تلك التعليمات كانت تحمل معها قرائنها اللفظية والحالية وهي أمور متميزة عند العلماء ولو من قياس حالها الى الحالة السارية عموماً، وهل يشك احدٌ بان الأمر بحفر الخندق مثلاً كان امراً وقتياً متناسباً مع تلك الحرب بظروفها.

ثامناً: وقد طُرحت فكرة اجتهاد النبي في الأمور الأمر الذي لايعبر عن تشريع خالد والذي نعتقده انه(ص) كان لايعدو بيان الواقع التشريعي الخالد من خلال وصوله اليه بالوحي أو بيان التعليم الاجتماعي اليومي بصفته ولي الأمر، وفي المجال الثاني هذا كان يتم التشاور والعزم لا في المجال الاول، والفرق بين المجالين واضح للمتأملين، انه(ص) كان ملتزماً تمام الالتزام بعرض الواقع التشريعي قبل كل شيء وعدم ابداء أي رأي من عنده، بل لقد كان(ص) قد التحم بالوحي والحقيقة فلا ينطق عن الهوى ان هوالاوحي يوحىٰ.

تاسعاً: ولما لم يجدهم ما ذكروه راحوا يركزون على ان خبرالواحد لايفيد الاظنّاً وأن الظن لايغني من الحق شيئاً غافلين عن أن الادلة القطعية التي سبقت لحجية خبر الواحد آستثنت هذا الظن وامثاله من عموم النهي عن اتباع الظن وانزلته منزلة العلم باعتباره السبيل العقلائي ــ الطبيعي للوصول الى الشريعة، وأنه لا يمكن تكليف الناس جميعاً بتحصيل العلم بكل موارد الاسلام واحكامه.

فالظن المنهي عنه هوالظن الذي لم يقم على اعتباره دليل قطعي.

عاشراً: واخيراً راح البعض يستعرض بعض الروايات التي ادعىٰ انها تخالف العقل والعلم لأجل التقليل من اهمية المجموع الروائي العام، ونحن نسمع كثيراً عن مخالفة العقل هذه وعندالتأمل نجدها تخالف ذوقاً عقلائياً مثلاً او ميلاً عاماً دون ان تصل الى مستوى المخالفة القطعية. نعم لو وصلت الى هذا الحد ــ وذلك بعيد جداً ــ فقدت الوثوق المطلوب. اما قصة مخالفة البحوث العلمية فيجب فيها ان نتذكر التغييرات الكبيرة التي تطرأعلى هذه البحوث وعدم قطعيتها وأنها فرضيات متغيرة.

وخلاصة القول: ان كل ما طرح من شبهات حول الاحاديث والسنة لايمكنه ان يصمد للنقد والاعتراض.

نقطتان مهمتان: وهنانودان ننبه الى نقطتين مهمتين في ختام هذا البحث هما: ـــ

النقطة الاولى: اننا اذرفضنا هذا الاتجاه الخطر فان ذلك لايعني مطلقاً ان نتجه الى قبول كل ما يرد عنه(ص) من دون تمحيص وتحقيق في المتون والاسانيد، بل حتى اننا لانجيزان يعتمد العلماء على استنتاجات غيرهم من العلماء في هذا السبيل الا ان تكون شهادة، كلا وانما تجب ملاحظة الاسانيد والرواة فرداً فرداً، والتحقق من توفر الوثوق المطلوب، وعدم التنافي الثابت مع القرآن الكريم والسنة المقطوع بها. واننا لنرى من المناسب ان ننقل نصاً جاءعن علي(ع) تلميذ رسول الله(ص) في جواب من سأله عن أحاديث البدع، وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال: ان في ايدي الناس حقاً و باطلاً، وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كُذِب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ على عهده حتى قام خطيبا فقال: **«من كَذِبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**. وانما أتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس: رجلٌ منافق مظهر للايمان متصنع للاسلام، لا يتأثم، ولايتحرّج... فهذا احد الاربعة. ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كَذِباً فهوفي يده ويرو يه، وْ يعمل به و يقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلوعلم المسلمون أنه وَهِمَ فيه لم يقبلوه منه ولوعلم هو انه كذلك لرفضه.

ورجلٌ ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم شيئاً يأمر به، ثم أنه نهى عنه وهولايعلم، اوسمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهولايعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلوعلم انه منسوخ لرفضه، ولوعلم المسلمون اذا سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض لِلكَذِب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لم يَهِمْ بل حَفِظ ماسمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقُص، فهوحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فتجنب عنه، وعَرَف الخاص والعام، والمحكم والمتشابه فوضع كل شيء موضعه...» (نهج البلاغة صبحي الصالح ص٣٢٧)

بهذه الدقة يتعرض تلميذ رسول الله(ص): الى الرواة في عصره وهو ألصق

مايكون بعصر الرسول فكيف بنا ونحن نعيش هذا الفاصل الزمني البعيد؟ ان الامر يتطلب ــ لامحالة ــ جهداً و بذلاً للوسع في هذا المجال. وهذا ما يقودنا الى التأكيد على النقطة الثانية.

النقطة الثانية: وهي نقطه مهمة جداً يجب التركيز عليها وملخصها:

اننا اذ نرفض الشبهات الماضية ونرفض القبول المطلق لكل ما جاء، نمتنع ــ في نفس الوقت ــ عن تسليم السنة ــ حتى الموثوق بها ــ الى كل فرد مهما كان مستواه، وفسح المجال له ليفهم منها ما يشاء و ينسبه الى الاسلام. فان هذا المنحى خطر جداً وان كان دعاته اليوم كثر في عالمنا الاسلامي متذرعين بان الاسلام لكل الناس فلماذا تحصرونه بأيدي عدة قليلة، خالطين بذلك بين هذا و بين كيفية فهم الواقع الاسلامي واستنباطه من النصوص. مثلهم في هذا مثل من يدعو لتسليم الذرة لكل من يطلبها ليستخدمها كيف يشاء بحجة أنها وجدت لصالح الجميع!

ان ملاحظة ماسبق، وادراك احتياج فهم الواقع الاسلامي من الكتاب والسنة الشريفة الى دراسات تخصصية معمقة في المجالات اللغوية والفقهية (اصولاً وفروعاً فقهية) والتفسيرية والرجالية وغيرها لهو مما يمنع بتاتاً من نفي التخصص والخبرة وعدم الركون اليهما.

واننا لننبه امثال هؤلاء الى الآثار الخطيرة التي تنجم عن رأيهم هذا من:

شيوع الفهم القاصر للاسلام، وفقدان العمق والاصالة التي تميزه عن غيره، وفسح المجال للأهواء ان تتلاعب بالمقدرات الاسلامية، وعدم قدرة الصورة الناتجة على الصمود امام الاشكالات والشبهات.

هذا بالاضافة الى أنه يجعل المذاهب بعدد الافراد فويلٌ للامة من مثل هذا اليوم الرهيب... يوم يفتي فيه العسكري، و يدلي فيه هذا الموظف برأيه في الاسلام وذاك الملك وهذا الرئيس وهم لايملكون مستوى فهمه واستنباطه.

اننا نسأل هؤلاء:

هل تستطيعون أيها السادة ان تُرونا مبدأ فيه بعض مافي الاسلام ولا تخصص فيه؟

اننا نؤكد لزوم الحاجة الى الاخصائيين الاسلاميين ونسميهم به (الفقهاء)، ولزوم ان يكونوا عدولاً لايذعنون لهوىً نفسي، ولا يركعون امام ظالم أو طاغوت. و يتجلّىٰ هذا اللزوم في الميادين التالية:

أ : ميدان فهم الاحكام والنظم الاسلامية للحياة الانسانية، وآستنباطها من منابعها الرئيسة.

ب : مجال القضاء وفصل الخصومات.

جـ : مجال قيادة الامة. فلا يمكن تسليمها لجاهل بالاسلام غير اخصائي فيه. اذ الاسلام تجربة حياتية بشرية كبرى لايمكن ان تقوم عليها الا القيادة الواعية لها المؤمنة بها المطبقة لاحكامها المتشبّعة بروحها.

وهذا بالضبط ما اصطلحنا عليه بمبدأ (ولاية الفقيه) والذي يعتبر تطبيقه في نظامنا الاسلامي الميزة الاسلامية الكبرى له والاساس الاول الذي اتحفتنا بالوصول اليه ثورتنا الاسلامية الكبرى بتوجيهات وقيادة القائد الفقيه الكبير الامام الخميني.

ومن هنا تؤكد المادة الرابعة من دستورنا الاسلامي على ضرورة تسليم ولاية الأمر والأمة للفقيه العادل التقي، العارف بالعصر، الشجاع المدير المدبر الذي تميل اليه اكثرية الجماهير المسلمة وتذعن لقيادته.

والواقع؛

ان المتتبع لمسيرة الثورة الاسلامية، وما واجهتها من اخطار يدرك الدور الهائل الذي لعبه هذا المبدأ في تجميع الامة وتكتيلها حول القائد، وقدرة هذا القائد في قيادة دفة السفينة الى مرفأ الاسلام رغم ضخامة المؤامرات الاستعمارية، وضمان عدم انحرافها الى الشرق اوالغرب.

وفي ختام هذا البحث:

نرفع اكف الضراعة الى الباري جل وعلا كي يوفق المسلمين لوعي ذاتهم اولاً عبر وعي اسلامهم الاصيل، و ينطلقوا مستوحين من قرآنهم العظيم ــ الثورية والحماس والمناقبية التضحوية مسمرين احداقهم بالاهداف الاسلامية الكبرى، حاملين الروح القرآنية للعمل الجاد في سبيل اقامة الدولة الاسلامية العالمية الواحدة التي تعبد الله لا تشرك به شيئاً.

وحينئذ فقط يستطيعون الخلاص من حالة الذل التي يعيشونها اليوم... امة مسلمة تذبّح في فلسطين ولبنان على ايدي ألأم خلق الله ولا يتحرك فيهم ساكن الا لَماماً ودعاية وتعريفاً محلياً قاتلاً، ورسالة عظمى تنحر بأيدي ذوي

العقول العلمانية، ولا يرمش لنا طرف، واراض و اعراض مقدسة تدنس؛ ولاينبض لنا عرق.

أهذا هوالوضع الطليعي الشاهد الذي أراد الله لنا؟

نسأل الله ان يوفق امتنا للصواب والحق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقرير الوفد الاسلامي الايراني

عن الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي

المنعقد في الفترة ٦ ــ ١٣ شوال ١٤٠٢ هـ

الموافق ٢٧ تموز ــ ١٣ آب سنة ١٩٨٢،

والمصادف ٥ ــ ١٢ مرداد ١٣٦١

في مدينة تلمسان في الجزائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ان استقلت الجزائر عن فرنسا عقدت العزم على عقد مؤتمر سنوي يشترك فيه عدد كبير من المفكرين والعلماء الاسلاميين ومئات الطلاب الجزائريين.

ولهذا المؤتمر آثاره العميقة في مجال إغناء الفكر الاسلامي من خلال طرح مواضيع جديدة في مجالات مختلفة، وحل مسائل المسلمين ومشاكلهم ولقاء الطلاب الجزائريين بالمفكرين والاساتذة والاستفادة منهم، بل ولقاء الاساتذة بعضهم بالبعض الآخر وهم آتون من أقصى نقاط الأرض.

واقامة الملتقى السادس عشر هذا العام في المدينة المجاهدة تلمسان انما هو بمناسبة تأسيس دار الحديث فيها من قبل الامام عبدالحميدبن باديس ونصيره الشيخ البشير الابراهيمي وهو امر ينسجم وموضوع الملتقى وهو (السُّنَّةُ).

وقد انعقد الملتقى تحت شعار (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وجرت بحوث علمية عديدة وجلسات فكرية لاشك في ثمراتها العميمة.

نشاط الوفد الايراني

كان الوفد يتكون من الشيخ عبدالحسين المعزي والشيخ محمدعلي

التسخيري ويمكن تلخيص نشاطه بما يلي:

١ ــ النشاط الفكري: إلقاء محاضرة بعنوان (الدفاع عن العمل بالسُّنَّة الشريفة). وقد قدم الوفد بالاضافة الى ذلك توضيحات حول قضايا فكرية متنوعة.

٢ ــ اللقاءات المتعددة بالشخصيات الفكرية الآتية من انحاء العالم وتوضيح الحقائق وفضح الكثير من الاكاذيب ورفع الشبهات المثارة حول الثورة الاسلامية والتشيع.

٣ ــ اللقاءات الكثيرة المتعددة بالاخوة الطلبة الجزائريين وقد وجدنا فيهم روحا اسلامية عالية مشتاقة للغد الأفضل.

٤ ــ اللقاءات الدينية بالمسؤولين الدينيين.

٥ ــ اللقاءات العديدة بالفئات المختلفة من الشعب الجزائري المؤمن حيث وجدنا فيهم الحس الاسلامي المتوقد.

ومن ذلك اشتراكنا في صلاة الجمعة في تلمسان حيث القيت خطبة مفصلة عن الثورة الاسلامية.

والاشتراك في جلسات ليلية مع العوائل الجزائرية المؤمنة.

٦ ــ الادلاء بأحاديث للصحف والمجلات الجزائرية.

على هامش الملتق:

١ ــ لاحظنا بكل وضوح الخلاف التاريخي بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي.

٢ ــ كانت بعض البحوث اكاديمية بحتة بحيث لم يكن ليدركها الشباب الأمر الذي يتطلب التنبيه الى لزوم تبسيطها.

٣ ــ كانت البحوث مزدحمة بحيث لم يجد بعض الأساتذة سبيلا لالقاء بحوثهم.

٤ ــ كانت هناك شبهات كثيرة مبثوثة في الاذهان الأمر الذي تطلب ساعات من التوضيح.

وفي الختام نسأل الله تعالى ان يوفق العاملين لما فيه خير هذه الأمة وعلاؤها.

حول الاجتهاد في مدرسة
اهل البيت عليهم السلام

محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

يمكن تقسيم البحث في الموضوع الى فصول خمسة:

(١) ــ حديث عام حول الاجتهاد.

(٢) ــ تاريخه لدى مدرسة اهل البيت(ع).

(٣) ــ خصائص المدرسة اليوم.

(٤) ــ الاجتهاد والثورة الاسلامية.

اولا: حديث عام حول الاجتهاد

والذي يهمنا فعلا منه ما يمهد للفصل التالي.

التعريف

وهو مأخوذ من الجهد، و بذل الوسع للقيام بعمل ما، وحين ننتقل الى المعنى المصطلح نجد ان له معنيين: عام وخاص.

أمّا المعنى العام: فقد قيل ان الاجتهاد هو (استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي)[1].

ولدى الاعتراض بخصوصية أخذ الظن ــ المقصود به المعتبر قطعا ــ عدل

---

١ ــ كفاية الاصول ج ٢ ص ٣٤٧ طبع النجف.

الى ذكر العلم فعرفه الخضري بأنه (بذل الفقيه وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة)[2].

واذا اريد هذا التعريف ان يسلم من بعض الاعتراض لزم ان يراد بالعلم: العلم الوجداني، والعلم التعبدي، أو يراد بالحكم مايعمم الحكم الواقعي أو الظاهري. إلّا أنّ التعريف يبقى ناقصاً لعدم شموله عمليات استنباط الوظيفة العملية العقلية، ولذا عرفته المدرسة الاصولية الحديثة بأنه (ملكة تحصيل الحجج على الاحكام الشرعية او الوظائف العملية شرعية أو عقلية)[3]، فهو يشمل كل جهد يبذل للتوصل الى احكام الشريعة.

اما المفهوم الخاص للاجتهاد: فقد ذكروا له تعريفات تنتهي الى ان المراد به هو (الرأي) الذي يقف الى جنب الاصول الفقهية الاخرى وله مصاديق مختلفة كالقياس والاستحسان على أحد معانيه. ولكي لا يمتلك جانب الرأي الشخصي غير المسموح به فقد عرفه الدكتور خلاف بأنه (بذل الوسع للتوصل الى الحكم في واقعة لانص فيها؛ بالتفكير، واستخدام الوسائل التي هدى الشرع اليها للاستنباط بها فيما لانص فيه).

واذا قبلنا هذا التعريف، عاد النزاع حول الاجتهاد بالمعنى الخاص نزاعا حول ما اذا كان الشارع قد سمح بالرأي كمنبع أصيل للفقه فيما لانص فيه طبعا أم لا؟

اما اذا اريد منه إعمال النظر في الاستفادة من المنابع الاخرى فقد دخل في الاجتهاد العام ولم يتفرد بخاصية معينة، فاذا عرّفنا الاستحسان ــ مثلا ــ بأنه تقديم اقوى الدليلين لم يكن الاستحسان مصدراً رئيسيا بقدر ما هو تعيين للحجة الفعلية من اللاّحجة.

فالنزاع اذن ينصب حول جعل الرأي منبعا أصيلا ــ طبعا اذا كان يؤدي الى الظن ــ أمّا إذا أدّى الى القطع فلا ينازع في حجيته إلّا البعض ممن يرفضون حجية القطع اذا أنتجه إعمال الرأي. ومدرسة اهل البيت معروفة بموقفها المعارض لهذا النوع من الاجتهاد.

---

٢ ــ اصول الفقه للخضري ص٣٥٧.

٣ ــ مصباح الاصول ص٤٣٤.

اما اعتمادها على العقل كأصل رابع فهو اعتماد على ما ادى فيه الحكم العقلي الى القطع بالحكم، أو فلنعبِّر عنه بـ (ما كشف العقل فيه عن الحكم الشرعي قطعا). وان كانت بعض المسالك ترفض حتى مثل هذا القطع كما ستاتي الاشارة اليه.

ولا أجدني الآن بصدد الاستدلال لهذا الموقف او ذاك بقدر هدفي في التعريف بهذه المدرسة الفقهية العريقة.

ضرورة الاجتهاد

اذا لخَّصنا معنى الاجتهاد في كونه عملية تحديد الموقف تجاه الشريعة تحديدا استدلاليا، ادركنا بكل بساطة ضرورة عملية الاجتهاد. و بشيء من التحليل وملاحظة النقاط التالية ندرك لاضرورة الاجتهاد فحسب، بل تزايد هذه الضرورة يوما بعد يوم وما دام في الارض انسان يعمل الاسلام على قيادته نحو السعادة.

وقبل كل شيء يجب ان نقول اننا نتحدث عن الاجتهاد بالمعنى العام هنا. اما النقاط التي يجب ملاحظتها فمنها:

اولا: ان الشريعة انما اعطيت في المجموع الكلي للكتاب والسنة و بصورة تفرض الحاجة لجهد علمي في دراستها ومقارنتها. فهناك العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ والحاكم والمحكوم والوارد والمورود، وهناك التعارض والتزاحم في التطبيق وغير ذلك كثير من الامور التي تستدعي حالة خبرو ية مجهدة.

ثانيا: وتزداد هذه الحاجة كلما ابتعد الشخص عن زمن صدور النص، وهذا الفاصل الزمني يحمل في طياته الكثير من المضاعفات كضياع بعض النصوص، ونسيانها، ودخول الموضوع بينها وتغير كثير من اساليب التعبير، وقرائن التفهم وغير ذلك مما يتطلب الفحص والدقة والجهد المستمر.

ثالثا: وان تطور الحياة وتعقدها يصحبه انطراح عدد كبير من الوقائع التي لم يرد فيها نص خاص مما يوجب الرجوع الى القواعد العامة... و بنفس المستوى نجد الاسلام يواجه اسئلة متكررة تطرح مدى القبول بالانفتاح على بعض النظم المستوردة او المتحدية له والآتية من عقول البشر (شرقيهم وغر بيهم).

رابعا: وان الاسلام رسالة حياة وتنظيم خالد لكل شؤون المجتمع وحينئذ

فهناك مواقع في عملية التربية الكبرى لايمكن تسليمها الا لمجتهد بالشريعة عالم بخفاياها وروحها وتعاليمها حتى يملك كلمة الفصل من خلال ذلك فالقيادة والقضاء مثلا لا تتمان من دون فقيه ومجتهد متضلع في الشريعة.

ويمكننا بعد هذه النقاط ان نسرد عناصر اخرى ولكننا نكتفي بما ذكر لنقول باختصار ان الاجتهاد في الواقع يعني:

ابقاء الروح الاسلامية الفعالة، الحَرِكَة، المواكبة للتحول

والموفرة للقدرة على الخلود،

ونفي الجمود الممتد،

وتعميق الاستفادة الاكبر من تعاليم الاسلام،

وضمان الوصول الأقرب الى واقعه،

وتقديم الحلول الأنجع للحياة الانسانية، والاجوبة القاطعة للأسئلة الحادثة المتجددة،

وقطع الطريق على المتطفلين على عملية إبداء الرأي في الاحكام ممن امتلكوا ابواق الدعاية وكراسي السلطة وراحوا يفتون هنا وهناك وهم لايملكون أي تخصص في ذلك [٤].

والممر المحاسب والمسيطر على كل ما يراد ادخاله الى الاسلام من تصور وحكم، او الى المجتمع الاسلامي كنظام تطبيقي، او الى السلوك الفردي كخلق وامثال ذلك.

والمجال التقريبي المنطقي بين المسالك المتنوعة والمذاهب والمناحي المتفاوتة. والضمان لوجود مجموعة طليعية همها الحفاظ على الاسلام الاصيل من عبث المنافقين والمتحللين وذوي الفكر الخليط، اوالتربية العقلية اللاّإسلامية، ونفي أيّ ذيلية فكرية واجتماعية مما يؤهلها للتأكيد على تطبيقه الصحيح في الحياة الاجتماعية.

وتوفر القدرة على الرؤية الاستنباطية الصحيحة في كل المجالات، ومنها مجال معرفة المفاهيم الاسلامية.

---

٤ ــ ومن أمثلة ذلك ما رأيناه أحيانا من حاكم عسكري يفتي في الدين، او متسلط يحذف حكما شرعيا بمبرر بلغة فهمه القاصر اوحتى رياضي يتحدث عن حرية المرأة على الطريقة الغربية والمصيبة في هذا المجال جمّةٌ مستفحلة.

وبالتالي فان الاجتهاد يوفر للنظام الاسلامي من يملأ له منصب القيادة الواعية السليمة، ومنصب الفتوى المهم، ومنصب القضاء الشرعي.

ذلك ان الاسلام بتخطيطه للحياة الاجتماعية لاحظ الجوانب الفطرية الثابتة فشرع لها قوانين ثابته لاشباع متطلباتها كما لاحظ الجوانب المتغيرة فواجهها بقوانين عامة تشمل حالاتها المتنوعة وترك لولي الأمر المجتهد القائد الفرصة للقيام بتنظيم الحياة على اساس المصلحة الاجتماعية المتغيرة بعد ان وضع له اشعاعات وتعليمات يسلك بها افضل البدائل المطروحة امامه عبر التشاور مع ذوي الخبرة المتخصصين الرساليين.

ولو كان في المجال متسع لتحدثنا عن التطبيقات العملية لهذا المبدأ في حقول مختلفة ولكن لا مجال هنا لذلك.

وبعد هذا كله لا تجدنا بحاجة لعرض ضرورة فتح مجال تقليد غير المجتهدين لهم في الاحكام الشرعية بعد ملاحظة الاسلوب العقلائي، بل وقبل ذلك دلالة الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة على هذه الحقيقة.

انها ضرورة الرجوع الى الخبراء (وما كان الناس لينفروا كافة) على ان الشريعة احتاطت في التقليد فشرحت شروط العالم المقلَّد بل أوجبت ــ في أكثر الآراء ــ الرجوع الى الاعلم.

وهكذا يستمر هذان المبدءان بعد انحفاظ مصادر الشريعة (الكتاب والسنة) وتراكم خبرات المجتهدين.

اما مادعا الى اغلاق باب الاجتهاد من عوامل:

كانقسام الدولة الاسلامية وتناحر الحكام وانشغالهم عن تشجيع حركة التشريع، وانشغال العلماء بامور الدنيا.

او انقسام المجتهدين الى فرق واحزاب متعصبة.

او انتشار المتطفلين على الفتوى والقضاء وعدم وجود ضوابط.

او ما قيل من شيوع شيء من التحاسد.

او نبوغ شخصيات علمية لامعة سدت بطبيعة عظمتها الطريق على الآخرين احتراماً لها وانبهاراً بها.

الى ما هنالك من عوامل سياسية او حتى فقهية او غير ذلك.

اما كل هذه العوامل فيمكنها ان تذوب اذاما لاحظنا:

ضرورة الاجتهاد المستمر،

وانضباط القواعد الاجتهادية حتى عادت متقاربة وهذا ما نجده بوضوح في (الاستحسان)،

واتساع الحياة والتعقيدات والوقائع المطروحة،

وقبل كل ذلك انحفاظ المصادر التشريعية الاولى،

وتزايد خبرات المجتهدين المتراكمة عبر البحث والتنقيب.

فمن يقارن ما وصلت اليه الجامعة العلمية في قم اليوم من نظريات اصولية يجد البون شاسعا بينه و بين المستوى قبل مئة عام مثلا.

ومن الملاحظ ان الاجتهاد يتعقد بتعقد الحاجة وفي مرحلة من تطوره يتحول الى عمليتين متعاقبتين احداهما اصولية تركز على دراسة العناصر المشتركة التي يمكن الاستفادة منها في مختلف الابواب الفقهية، والثانية فقهية تدرس الواقعة وتطبق تلك القواعد.

ومن هنا عُبِّرَ عن علم الاصول بـ (منطق الفقه) باعتبارانه يقوم بنفس ما يقوم به علم المنطق بالنسبة للافكار الانسانية عموما من تنظيم قواعدها التي تعصمها عن الخطأ.

وهنا ندرك أنَّ علم الاصول نشأ في أحضان علم الفقه، كما نشأ علم الفقه في أحضان علم الحديث ــ كما يعبر المرحوم الشهيد الصدر ــ.

الاجتهاد وخطر الذاتية

ولأستاذنا المرحوم الشهيد الصدر بحث رائع في هذا المجال جاء في مقدمة الجزء الثاني من كتابه القيم «اقتصادنا» وهوبصدد اكتشاف المذهب الاقتصادي الاسلامي من خلال الأبنية العلوية له وهي الاحكام والأسس التي تشكل أرضيته الاجتماعية وهي العقيدة والمفاهيم والعواطف. وملخص بحثه هو أن:

الاجتهاد يعني تسرب بعض المواقف الذاتية احيانا الى النتيجة، و يشتد الخطر و يتفاقم عندما تفصل بين الشخص الممارس، والنصوص التي يمارسها فواصل تاريخية وواقعية كبيرة وحين تكون تلك النصوص بصدد علاج قضايا يعيش الممارس واقعا مخالفا كل المخالفة لطريقة النصوص في علاج تلك القضايا ــ كالنصوص التشريعية المرتبطة بالجوانب الاجتماعية من حياة الانسان فعملية

اكتشاف المذهب الاقتصادي الاسلامي مثلا تتعرض لخطر الذاتية اكثر منها في استنباط الاحكام الفردية كالحكم بطهارة بول الطائر مثلا.

ثم هو يحاول تحديد منابع الخطر في الامور التالية:

أ ــ تبرير الواقع

حيث يندفع الممارس ــ عن لاشعور احيانا ــ الى تطوير النصوص الى الشكل الذى يبرر به واقعا فاسدا يعيشه و يراه ضرورة: كمحاولة البعض تبرير الفائدة الربوية مدعيا ان الاسلام ينهى عنها اذا كانت كبيرة جدا (اضعافا مضاعفة) دون الالتفات الى النص الشريف القائل (وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم).

ب ــ دمج النص ضمن اطار خاص

كأن يؤمن بمنحى خاص ثم يعمد الى النصوص فيختار منها ما يناسب منحاه او ما لا يصطدم به كأن نفترض الممارس يحمل نظرة تقديسية للملكية الفردية مما يدعه يعرض عن بعض النصوص التي لاتتلاءم وذلك فقد كتب فقيه يعلق على النص القائل (بأن الارض اذا لم يعمرها صاحبها اخذها منه ولي الامر واستثمرها لحساب الامة) ليقول هذا الفقيه (الاولى عندي ترك العمل بهذه الرواية فانها تخالف الاصول والادلة العقلية).

ومن امثلة ذلك ما تلقيه الاقترانات اللغوية للّفظة من تضليل. فكلمة الاشتراكية اشرطت بكتلة من الافكار والقيم والسلوك وحينئذ فنحن نواجه خطر الاستجابة للاشراط الاجتماعي لتلك الكلمات.

جـ ــ تجريد الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه

وهي عملية تمديد للدليل دون مبرر موضوعي، وأكثر ما تأتي في مجال الاستفادة من عنصر التقرير كدليل على الحكم الشرعي. كأن يستفيد شخص جواز الانتاج الرأسمالي في الشريعة الاسلامية من سكوت الشريعة عما كان يجري أمام المعصوم من عمليات اجارة في مجال تملك المواد المعدنية.

د ـ اتخاذ موقف نفسي معين بصورة مسبقة تجاه النص

و يتوضح هذا بافتراض فقيهين احدهما يحمل هما نفسيا لاكتشاف النظم الاجتماعية الاسلامية والآخر يركز على اكتشاف احكام السلوك الفردي فانها بطبيعة الحال يختلفان في النتائج حينما يدرسان نصوصا متشابهة.

والواقع ان ضرورة الاجتهاد تتجاوز كل نقاط الخطر فيه.

وانما الذي يجب ان نركز عليه هو معرفة مكامن الخطر وتجنبها قدر الامكان بنفس المستوى الذي نؤكد فيه على الاجتهاد نؤكد على لزوم توفر المجتهد على المعدات الضرورية له من العلوم والمعارف، وحتى القدرات النفسية باعتبار أن الاجتهاد ملكة تكتسب خلال ممارسة شاقة، وكذلك لزوم كون هذه الممارسة ضمن القواعد والاصول التي تقررها الشريعة.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الاجتهاد لدى مدرسة أهل البيت(ع)

طبق ما تقدم فإن عملية الاجتهاد كانت تصاحب حتى عصر المعصوم مع قلة الحاجة اليه في زمانه، واذا كان علم الاصول مظهرا جليا من مظاهر الاجتهاد فإنا نستطيع ان نفسر كيف تأخر نشوء هذا العلم لدى المدارس الاسلامية الاخرى، ذلك ان هذه المدرسة كانت تؤمن بامتداد عصر النص الشرعي الى حوالي مئتين وخمسين عاما بعد الفترة التي اعتقدت فيها المدارس الاخرى بانتهاء عصر النص المباشر من المعصوم وهوالرسول الاعظم، وبمجرد ان انتهى عصر الغيبة الصغرى للامام المهدي و بدأ عصر الغيبة الكبرى تفتحت الذهنية الاصولية ودرست العناصر المشتركة وان كانت بذور الفكر الاصولي قد تشكلت في أذهان أصحاب الأئمة(ع) منذ عصر الصادقين وربما ألفت رسائل في ذلك.

ومنذ ذاك رفضت مدرسة اهل البيت الاجتهاد بالمعنى الخاص ورأت فيه اتباعا للظن دون دليل معتبر، ومنفذا للآراء الشخصية والاستحسانات الطارئة، وناقشت الادلة التي ذكرتها المدارس الاخرى، وجاءت عن الامام الصادق(ع) روايات كثيرة ضد هذا المنحى، واعتقدت هذه المدرسة ان النصوص الشرعية والقواعد الرائعة المعطاة كفيلة بتغطية كل الوقائع المستقبلية وملاءمة الاسلام لكل الظروف والتغيرات. فإذا كانت القواعد الشرعية متناهية فإنها قادرة على شمول

مصاديق غير متناهية، وأثبتت ذلك عمليا خلال القرون المتمادية. وقد أيدتها في هذا المنحى بعض المدارس السنية كالظاهرية التي شنت حملة ضد القياس مثلا.

وعلى أي حال فربما ادى اشتراك لفظ الاجتهاد بين المعنى العام والمعنى الخاص الى التحرز عن اللفظ وتأليف الكتب ضد (الاجتهاد) و يقصد به المعنى الخاص طبعا كمصنف عبدالله بن عبدالرحمن الزبيري الذي أسماه (الاستفادة في الطعون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس) وصنف إسماعيل بن علي النوبختي في عصر الغيبة الصغرى كتابا في الرد على الاجتهاد ـــ كما ذكر الرجالي الشيعي المعروف (النجاشي) في كتابه ـــ.

و بعد الغيبة الصغرى يأتي العالم الكبير (الصدوق) في أواسط القرن الرابع ليواصل الحملة و يأتي بعده تلميذه الشيخ المفيد في أواخر نفس القرن فينقض على ابن الجنيد في (اجتهاد الرأي).

ثم يأتي دور تلميذه السيد المرتضى في أوائل القرن الخامس فيذم الاجتهاد وطريقة من عوّل عليه في كتبه كالذريعة والانتصار.

ويأتي بعده تلميذه المجدد الكبير الشيخ الطوسي في أواسط القرن الخامس ليقول في كتاب العدة (اما القياس والاجتهاد فعندنا انهما ليسا بدليلين، بل محظور في الشريعة استعمالهما).

و يأتي بعده ابن إدريس في أواخر القرن السادس ليقول (والقياس والاستحسان والاجتهاد باطل عندنا).

و يرى استاذنا الشهيد الصدر ان الكلمة ظلت هكذا حتى رأينا المحقق الحلي المتوفى سنة (٦٧٦) هـ، في كتابه (المعارج) يفرق بين المفهومين بعد ان يعرف الاجتهاد في تحصيل الاحكام بالطرق النظرية التي ليس احدها القياس.

ولكن المرحوم الحلي يحصره في عمليات الاستنباط من غير ظواهر النصوص ولكنه بعد ذلك شمل العمليات الاستنباطيّةَ منها ايضا بل وشمل مسائل تحديد المواقف العملية وهي ما تنتجه الاصول العملية حين الشك في الحكم الشرعي.

و ربما كان لتفريق علماء السنة بين المفهومين أثره في هذا التحول فإننا نجد الغزالي مثلا في كتابه المعروف (المستصفى) لم يستعمل الكلمة في خصوص اجتهاد الرأي، وكذلك ابن الحاجب في (مختصره) الذي شرحه العضدي.

و يرى المرحوم الشهيد المطهري ان روح التقارب كانت سائدة رغم الخلاف. فبمجرد ان ينفتح باب التقارب باتساع مفهوم مثلايتم التقارب بشكل طبيعي، والاجتهاد احد موارده، والاجماع كذلك فإن مدرسة أهل البيت ترفض النظر للاجماع حجة برأسه ولكنها طرحته وقبلته بعد اتساع مفهومه لشمول الاجماع الكاشف عن رأي المعصوم. ومن ذلك اعتبار الأدلة أربعة قياسا على الأدلة الاربعة لدى المدرسة السنية، ولكن بتبديل القياس او الاجتهاد الى العقل ولكن في احكامه القطعية الكاشفة عن الحكم الشرعي عبر قاعدة التلازم.

والملاحظ ان كل علماء الامامية الذين حملوا على الاجتهاد كانوا هم ــ كماهو الظاهر ــ يطبقون عملية الاجتهاد بمعناها الأعم.

والملاحظ ان المسيرة الاجتهادية الممتدة والمفتوحة لدى مدرسة اهل البيت(ع) واجهت بالاضافة الى العرقلة السابقة الناشئة عن شيء من الخلط بين المفهومين العام والخاص للاجتهاد واجهت حالتين أخريين كادت الثانية منهما تعصف بالمسيرة الاجتهادية على الاطلاق وتغلق الباب تماما.

اما الاولى: فكانت الفترة التي تلت حياة شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (رحمة الله عليه) فقد كانت عظمة هذا الرجل ومؤلفاته وشخصيته مسيطرة الى الحد الذي امتنع معه العلماء بعده عن إظهار أي نظر جديد. و بقي هذا الوضع سائداً حتى بزغ نجم العالم الجليل ابن ادريس الحلي فراح يتحدّى ذلك الوضع و يسدي بذلك خدمة كبرى لمسيرة الاجتهاد.

واما الثانية: فكانت الحركة الاخبارية التي بدأت منذ حوالي أربعة قرون على يد الشيخ الملا أمين الأسد آبادي الذي استطاع أن يجذب اليه بعض العلماء. وقد امتازت مدرسته بالوقوف ضد حجية الحكم العقلي مطلقا ورفض الاجماع بل وحتى التوقف عن العمل بالظواهر الكتابية الا اذا فسرتها احاديث اهل البيت وادعت ان كل الاحاديث الواردة في الكتب الاربعة الرئيسية للامامية وهي (الكافي) و (التهذيب) و (الاستبصار) و (من لايحضره الفقيه) صحيحة ومعتبرة بل هي قطعية الصدور، وراحت تنكر أي تخصص في الدّين، وتنفي التقليد، وتطالب الناس بمراجعة الروايات مباشرة والعمل بها.

والحديث هنا طويل الا ان هذا الخطر ارتفع بظهور مجموعة من العلماء على رأسهم العالم الكبير الوحيد البهبهاني وغيره مما فتت هذا المسلك ولم يعد له وجود

ـ إلّا نادرا ـ بعد ان كاد يشيع الجمود والانحراف بالمسيرة الفكرية الصاعدة.

وجاءت الضربة القاضية له على يد المرحوم الشيخ الانصاري (أعلى الله مقامه).

وقبل ان ننتقل الى المرحلة الثالثة من البحث نود ان ننبه الى ان البحوث والمجالات الكثيرة التي تتعلق بهذه المرحلة وارهاصاتها وعقباتها قد طويت هنا او أشير إليها إشارة عابرة لضيق المجال.

ومن أهم تلك البحوث أثر الروح الاجتهادية المستقلة التي تسمح للمجتهد أن ينقض كل ادلة من سبقه ويختار رأياً جديداً ولا تدعه يقلد حتى في سنة رواية واحدة بل عليه ان يدرس كل اصول علم الرجال واحوال رجال السند و يُكَوِّنَ رأيه المستقل، نعم أثرت هذه الروح على المواقف السياسية المستقلة المعارضة للانحراف خصوصا في العصور الاخيرة فليترك هذا البحث اذن الى مجاله الخاص.

ثالثا : خصائص المدرسة الاجتهادية الحديثة

يمكننا ـ كما مر ـ ان نعتبر بزوغ الشيخ الانصاري في مدرسة النجف العلمية دفعة جديدة للمرحلة التي بدأها المرحوم الوحيد البهبهاني.

و يكفي إلقاء نظرة ولو سريعة على كتابه الضخم (فرائد الاصول) والمعروف لدى العلماء بكتاب (الرسائل) لمعرفة التأثير العميق والطفرة التي حدثت في هذا الجانب.

و يأتي بعده كتاب (كفاية الاصول) الذي الفه فقيه عصره المرحوم الآخوند الخراساني وهو بدوره أثرى المسيرة الاجتهادية أيما إثراء، ومن بعده ياتي دور الازدهار والتوسع الفكرى الكبير على أيدي امثال المرحوم الميرزا النائيني والشيخ العراقي والشيخ الاصفهاني وامثالهم والامام الخميني القائد والسيد الشهيد الصدر (رض).

وهكذا نصل الى مرحلة القمة اليوم المتمثلة في علماء الحاضرة العلمية وعلى رأسهم فقيه الامة ومجتهدها العظيم الامام الخميني دام ظله الشريف.

ويمكننا أن نذكر من خصائص هذه المرحلة الحديثة مايلي:

اولا : المنهجية الدقيقة في عرض المراحل الاجتهادية إذ يبدأ الشخص السائر في طريق الاجتهاد بتهيئة مقدماته من دراسته العلوم اللغوية والبلاغية

والمنطقية والحديثية والفقهية والتفسيرية والاصولية وغيرها مما يرتبط بعملية الاجتهاد من قريب أو بعيد أحيانا كعلم الهيئة وعلم الحساب وحتى بعض البحوث الاجتماعية والنفسية.

وبعد الانتهاء من هذه المرحلة تبدأ عملية تحديد الموقف الاصولي من خلال دراسة العناصر المشتركة في الوقائع الفقهية وهي نوعان:

الأول: الادلة المحرزة التي يطلب بها كشف الواقع كالكتاب والسنة والاجماع والعقل.

والثاني: الادلة العملية التي يطلب بها تحديد الوظيفة العملية في حالة الشك في الحكم الواقعي.

وقبل البحث عن هذه العناصر تأتي بحوث مقدمية ضخمة كالبحث عن:

الحكم الشرعي وتقسيماته ومبادئه، والتضاد بين الاحكام التكليفية والحكم الواقعي والظاهري واجتماعها.

والبحث عن حجية القطع (معذريته ومنجزيته) والقطع الموضوعي والطريقي، وأمثال ذلك.

وفي مجال الأدلة المحرزة للواقع التشريعي تأتي بحوث موسعة في الأدلة الشرعية بعد تقسيمها الى لفظية وغير لفظية، وفي اللفظية يشمل البحث عن الظهور، والوضع والمجاز وعلامات الحقيقة والمجاز، والاشتراك، والمعنى الحرفي، والجمل التامة والناقصة، والامر والنهي، والاطلاق، والعموم، والمفاهيم وضوابطها والتطابق بين الدلالات وغير ذلك.

وفي الادلة الشرعية غير اللفظية يتحدث عن دلالة الفعل، والسكوت والسيرة.

وفي مجال اثبات صغرى الدليل الشرعي يتحدث عن وسائل الاثبات الوجداني بالخبر المتواتر وبالاجماع وبسيرة المتشرعة ووسائل الاحراز التعبدي كخبر الواحد.

وفي مجال حجية الدلالة في الدليل الشرعي يتحدث عن حُجية الظهور، وظواهر القرآن الكريم.

وفي مجال الدليل العقلي يتحدث عن إثبات القضايا العقلية وتقسيماتها

و بعض القواعد العقلية مثل:

قاعدة إمكان التكليف المشروط، وقاعدة تنويع القيود، ومسألة أخذ قصد امتثال الأمر في متعلقه، والتخيير العقلي والشرعي في الواجب، وامتناع اجتماع الامر والنهي، والوجوب الغيري لمقدمات الواجب، واقتضاء وجوب الشيء لحرمة ضده، واقتضاء الحرمة البطلان، وامكان النسخ، والملازمة بين الحسن والقبح والامر والنهي، والاستقراء والقياس.

ثم يأتي البحث عن حجية الدليل العقلي التي ترجع بالتالي الى حجية القطع.

امافي مجال الاصولية العملية.

فيتحدث فيها ببحوث مفصلة عن البراءة والعلم الاجمالي، والاستصحاب وفيه بحوث عميقة، والتخيير، والاشتغال.

وأخيرا يتحدث بشكل واسع عن مسألة التعارض بين الأدلة اللفظية والتعارض بين الأصول العملية ثم التعارض بين الأدلة اللفظية والاصول العملية، كل هذا وغيره في مجال البحث الاصولي وهو المرحلة الاولى من عملية الاستنباط، وتليها العملية الفقهية بدراسة العناصر الخاصة بالواقعة من جميع جهاتها.

ثانيا: الدقة والتعمق الفني فإن من يلاحظ عمق الدراسات الاصولية اليوم في الحواضر العلمية في قم والنجف يدرك الأبعاد الواسعة التي انتهت اليها بفضل فتح باب الاجتهاد وحتى لتجدهم يقضون الاسابيع في بحث قد يبدو بسيطا لاول وهلة كبحث الوضع وبحث الشرط المتأخر وبحث مقدمة الواجب، ولكن السير معهم يوقف الانسان على عوالم من النظريات المبدعة وذلك كالذي نراه في بحث الحكومة والورود والترتب وامثالها. ان الحديث عن الجانب الفني ممتع للغاية ولا مجال له هنا.

ثالثا: الاستيعاب التقريبي للعناصر المشتركة في عمليات الاستنباط وذلك نتيجة تلك المنهجية والدقة معا، وانما عبرنا بالتقريبي لأن مجال اكتشاف عناصر جديدة ما زال مفتوحا امام العقل الانساني الجوّال.

رابعا: الاتجاه الاجتماعي الذي راح يفرض وجوده خصوصا في الفترة الأخيرة.

فإن الاجتهاد وهو عملية تمكين للمسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية

للحياة. وللتطبيق مجالات: فردية واجتماعية ــ هذا على الصعيد النظرى ــ ولكن الملاحظ ان هذه العملية كانت تتجه تاريخيا الى التطبيق الفردي ــ على الاكثر ــ لدى الامامية وذلك نتيجة لظروف موضوعية وملابسات تاريخية عميقة الجذور منذ سقوط الحكم الاسلامي على اثر الغزو الاستعماري الكافر وطرحت القواعد الفكرية اللااسلامية لبناء الحياة الانسانية من مثل الفكرة الاستعمارية الخبيثة (فصل الدين عن السياسة وعن الحياة) وفكرة الالتقاط أي الجمع بين تطبيق الاحكام الاسلامية في الجانب واستجداء القوانين الغربية في الجوانب الاجتماعية الضخمة الاخرى، وفكرة الحرية في السلوك حتى ولو شخصت الاحكام (كما في الحجاب، ومسألة الخمر، والقمار) بذلك احست الحركة الاجتهادية بالخطر، وان التركيز على الجانب الفردي مرتبط كل الارتباط بالجانب الاجتماعي، اذ بدأ الاول ينهار بانهيار الثاني.

ومن ناحية اخرى ــ كما يقول المرحوم الشهيد الصدر ــ (الامة نفسها تعي وجودها وتفكر في رسالتها الحقيقية المتمثلة في الاسلام، بعد ان اكتشفت واقع القواعد الفكرية الجديدة، ونوع التجارب الاجتماعية المزيفة التي حملها اليها الاستعمار، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الوعي على حركة الاجتهاد نفسها ويؤكد احساسها الذاتي خلال التجربة المريرة التي عاشتها في عصر مابعد الاستعمار بأن الاسلام كل لا يتجزأ)[٥].

وكان لهذا اثره الكبير في دفع الروح الجهادية للاجتهاد لديهم الى الامام فصدرت بحوث ضخمة في هذا المجال وان تطوره المستقبلي يبشر بألف خير بعد نجاح الثورة الاسلامية الكبرى التي قادها مجتهد اعلى هو الامام الخميني الرائد بعد ان مهد لها هو وتلامذته بأروع تمهيد سواء على صعيد تحريك الحوزات العلمية، وطرح الرؤى الاجتماعية الكبرى أمامها، أوعلى صعيد إشعار الامة بالخطر وإثارة حبها وعواطفها نحو التطبيق الاسلامي الشامل. ولا ادل على ذلك من محاضرات الامام القائد في مجال (الحكومة الاسلامية) التي انتشرت قبل اكثر من عشر سنين من نجاح الثورة ومدت الوعي كالعافية الى عروق الامة المسلمة في ايران وغيرها. نعم بعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى اندفعت عملية الاجتهاد الى الامام ليس لدى

---

٥ ــ من مقال المرحوم الشهيد الكبير حول الاتجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد.

الشيعة فحسب بل وحتى على الصعيد السني في ايران بعد ان كان على الجميع ان يجيبوا على الاسئلة الاجتماعية الجديدة في المجال العائلي والمجال الاداري والمجال الحقوقي والمجال القضائي والمجال العسكري والمجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال التربوي والمجال الجنائي وغير ذلك كثير كثير فكانت الثورة الاسلامية المباركة مصدر خير لا يحصى في هذا المجال خصوصا بعد ان طلب الامام القائد من الفقهاء هذا المعنى. ولا ننسى ونحن بهذا الصدد ظهور خاصية المقارنة في الفترة الاخيرة بين المذاهب الاسلامية في الحياة وغيرها من المذاهب المادية وهو ما تمثل اكثر من غيره في مؤلفات من قبيل (اقتصادنا) للشهيد الكبير والمجتهد الصدر و (نظام حقوق المرأة في الاسلام) للشهيد الكبير المجتهد المطهري و (البنك اللاّربوي في الاسلام) للشهيد الكبير المجتهد الصدر.[٦]

رابعا : الاجتهاد والثورة الاسلامية المباركة في ايران

يمكننا ان نعزو نجاح الثورة الاسلامية المباركة في ايران المسلمة الى عوامل كثيرة إلاّ أن الأهم الاهم منها هو عنصر الاجتهاد الحر الذي تمتعت به الجوامع الدينية هناك فقد لعب دورا ضخما أذهل الاستكبار العالمي وافقده صوابه بعد ان لم يكن يملك قدرة تقديره.... وإلاّ فهل يمكننا ان نصدق ان مدينة كمدينة قم تضرب عن العمل وتغلق محلاتها لمدة ثلاثة عشر شهرا لولا وجود عنصر الاجتهاد الرائع وتغلغل مفعوله في الامة المسلمة؟

وهل يمكن ان نصدق سجود الجماهير على الارض لله والدبابات تتجه اليها مزمجرة لكنها تبقى بجنودها ترتجف امام الايمان العظيم؟ والحديث واسع في هذا المجال.

لقد امتلك المجتهدون وجوداً قويا في أعماق الأمة المسلمة أثر فيها:

وعياً رائعاً لتعاليم الاسلام من جهة ومؤامرات أعدائه من جهة أخرى.

وعاطفة واعية قائمة على أساس ذلك الوعي.

وانشداداً عملياً الى قيادته المجتهدة يتجاوز كل التصورات.

---

٦ ــ وربما كان هذا احد العوامل التي دفعت الاستعمار للقضاء على هاتين الشخصيتين العظيمتين تماما كما خطط للقضاء على غيرهما من امثال الشهيد البناء وسيد قطب وعودة وغيرهم.

أمّا كيف امتلك الاجتهاد هذا التأثير الرائع في إنجاح الثورة الاسلامية فله مجال واسع من الحديث ولكننا نشير هنا الى بعض الأمور الموضحة لذلك فهناك :

اولا: الانعكاس الطبيعي للروح الاجتهادية الحرة على شخصية المجتهدين والسائرين في طريق الاجتهاد مما انتج استقلالية اقتصادية وسياسية، وقبل كل شيء استقلالية في الشخصية، ومن الواضح دور هذا الاستقلال في ارعاب الحكام وتكتيل الجماهير حول القيادة.

ثانيا: الروح الحريصة التي ينتجها الاجتهاد في مجال العمل على تطبيق الاسلام في كل مجالات الحياة خصوصا حينما يجد المجتهد أنَّ الاحكام التي يبذل في سبيل استنباطها السنين الطوال و يدرك قدسيتها قبل كل شيء ضائعة مهملة مما يحركه نحو إيجاد الجو المناسب للتطبيق.

ثالثا: الدور العظيم الذي يقوم به التقليد للمجتهدين الأحياء في شدهم عقائديا الى القيادة بنحو لا تستطيع أية حكومة مهما كان ارهابها أن تقطع الاواصر العقائدية هذه لأنها تمتد من القلب والعمق العقائدي الى من يتمثل بهم الاجتهاد.

رابعا: أهمية الاعتقاد بولاية الفقيه باعتباره امتداداً للقيادة الأصيلة التي يجب ان تطبق التجربة الاسلامية في الحياة... فإن هذه الولاية تمتلك قدرة توجيه الجماهير بل وحتى المجتهدين الآخرين وفق اوامر المجتهد الولي... ولها مفعولها العظيم في اضفاء الطبيعة الاسلامية على الحياة وملء المنطقة التشريعية التي تركها الاسلام لولي الامر ليقوم بتطبيق توجيهات الشريعة في مجالها.

هذا الى غير ذلك من العناصر التي توجتها شخصية الامام الخميني القائد القوية المتقيدة الزاهدة الصابرة فاستثمرت هذا الوعي والاخلاص لتحقيق الخطوة الاولى من الهدف المنشود وهو نجاح الثورة الاسلامية.

اما بعد نجاح الثورة الاسلامية فان نفس العوامل ـــ ولكن بمستوى اقوى وأعمق ـــ هي التي مكنت الشعب الاسلامي المؤمن من الوقوف بوجه كل قوى الاستكبار العالمي وعملائه ومؤمراته المتنوعة.

ولا يسعنا المجال هنا لعرض كل الآثار.

الا اننا نستعرض باختصار الدور الذي منحه الدستور الاسلامي للمجتهد الفقيه في مجال القيادة وادارة الحياة الاسلامية. فقبل كل شيء جعل الدستور

الاسلامي الفقيه قائداً للامة المسلمة، وذكر له أعلى الصلاحيات وهي الولاية العامة التي قررتها الشريعة له.

فقالت المادة الخامسة بأن الولاية العامة انما هي للفقيه العادل الواعي المدبر الذي تؤيده بالطبع جماهير الامة المسلمة، واذا لم يتوفر هذا الشرط في شخص شُكِّلَ مجلس قيادة من الفقهاء الواعين العدول.

في حين فصَّلت المواد من ١٠٧ــ ١١٢ صلاحيات القائد، وفي المادة السابعة بعدالمئة: يقوم الخبراء في الامور الفقهية بتشخيص القائد وانتخابه بشروطه المذكورة له.

وتقرر المادة (٩١) تشكيل مجلس حراس الدستور على نحو يكون ستة من اعضائه من الفقهاء و يقوم هؤلاء الستة بدراسة ما اذا كانت القوانين التي يصادق عليها مجلس الشورى الاسلامي منسجمة مع التعاليم الاسلامية ام لا، في حين يعطي الاعضاء كلهم رأيهم في مدى انسجامها مع الدستور الاسلامي.

وتؤكد المادة (١٦٢) على ان يكون رئيس القوة القضائية مجتهدا عادلا.

وهكذا نجد الدستور يتلاءم وما قرره الاسلام للمجتهد من مناصب مهمة.

اما منصب الفتوى والتقليد فهو يرتبط بقرار الفرد نفسه وتوصله الى الاعلم الذي يجب ان يقلده في احكام دينه ولا ربط له بالدستور.

وختاما نبتهل الى العلي القدير ان يوفق طلاب العلوم الدينية للاجتهاد الحر المطلق ومجتهدينا لتوخي رضا الله والحقيقة وعرض الاسلام خير عرض والقيام بواجبهم الاجتماعي، وامتنا للعمل بتعاليم الاسلام، والقضاء على كل انحراف عنه فانه فسق وظلم وكفر وان غد التطبيق الاسلامي الشامل لقريب.

والله الموفق.

قياس الاستنباط

د. گرجي

بسمه تعالى

بعدالحمدلله، والصلاة على رسول الله(ص) وآله الأخبار، واصحابه البررة.

مقدمة:

اذا ما رتّبنا في مقام الاستدلال على مسألة من المسائل الفقهية قياساً كأن نقول: نفقة الزوجة والولد ممّا امر به الشارع[1] وكلما امر به الشارع واجب (لأن الأمر يدل على الوجوب) فنفقة الزوجة والولد واجبة؛ فاننّا قد استعملنا في هذا المورد قضايا ثلاثا يُسميها المنطقيون على الترتيب: الصغرى والكبرى والنتيجة.

القضيّة الاولى، وهي الصغرى؛ قضية يجدها الفقهاء في منابع الفقه الاسلامي أي الكتاب والسنة وموارد الاجماع والقياس والمصالح المرسلة وغيرها، و يستعملونها في قياس الاستنباط، وهي في المثال: أمر الشّارع المقدس بالانفاق

---

١ ــ المقصود بالقياس هنا هو القياس المنطقي وهو قضيتان اُلِفتا بنحو يكون عقلاً مستلزماً لقضية ثالثة تسمى بالنتيجة كما في المثال المذكور في المتن وكقولنا الخيار حق، وكل حق يقبل الانتقال الى الورثة، فالخيار يقبل الانتقال الى الورثة، و ــ كما اشير اليه ــ القضية الاولى تسمى بالصغرى، والقضية الثانية تسمى بالكبرى، والقضية الثالثة تسمى بالنتيجة.

الذي وجدوه في القرآن الكريم.[2]

القضيّة الثانية، وهي الكبرى مسألة اصولية يأخذها الفقهاء من علم الاصول ويجعلونها مبنى لاستنباطهم الفقهي. وهي مسألة دلالة الأمر على الوجوب في المثال المتقدم.

القضيّة الثالثة، وهي النتيجة ـــ مسألة فقهية يكون غرض الفقيه استنباطها بالاستعانة بالقضيتين الأولين اللّتين هما الأساس للقياس أي الصغرى والكبرى.

ولنتعرّض الآن باختصار لدراسة هذه القضايا الثلاث المذكورة:

١ ـــ **الصغرى**: على رأي الشيعة الامامية المصدر الفقهي أيّاما كان يجب بحكم العقل أن يكون واجداً لاحدى الخصوصيتين على سبيل منع الخلو[3]: فامّا ان يكون موجباً لحصول القطع بالواقع، واما أن يقوم على حجيته وجواز الاستناد اليه دليل معتبر. وآلا فلو لم يكن واجداً لاحدى الخصوصيتين فلا يكون حجة وقابلاً للاستناد بوجه، سواء ثبت عدم حجيته بدليل معتبر كما في بعض أنواع القياس الفقهي[4] على رأي الشيعة الاماميّة، أو كانت حجّيّته مشكوكة: أي لم يدل دليل معتبر على حجّيّته ولا على عدم حجيته: كالشهرة الفتوائية[5] عند المحقّقين من الشيعة الامامية.

اما اذا ثبت عدم حجّيّته فواضح فان الدليل المعتبر الدّالّ على عدم حجّيّة المصدر جعله في حكم غير الحجّة فكيف يمكن الاستناد الى ما لايكون حجة. وامّا اذا كانت حجية المصدر مشكوكة فلأن الأصل العقلائي يقتضي عدم حجية ماتكون حجيته مشكوكة بداهة ان سيرة العقلاء جارية على ان مالم تُحرز حجيته

---

٢ ـــ قال الله ـــ تعالى ـــ: «**وَعَلَى المولود لَهُ رزقُهُنّ وكسوتُهُنّ**» (سورة البقرة: ٢٣٣).

٣ ـــ منع الخلو اصطلاح منطقي، وهو نسبة خاصة في القضية المنفصلة يمكن ان يجتمع فيها كلا شقي المنفصلة ولكن لايمكن أن ينعدم كلا الشقين كما في المثال المذكور في المتن: الدليل لابد: إمّا أن يكون مفيداً للقطع بالواقع أو يقوم على اعتباره وحجيته دليل معتبر، فانه يمكن أن تجتمع في الدليل كلتا الخصوصيتين ولكن لا يمكن أن يفقد الدليل كلتا الخصوصيتين.

٤ ـــ القياس الفقهي إلحاق موضوع بموضوع آخر في الحكم لجامع مشترك بينهما كإلحاق الاجارة بالبيع في بطلان التعليق لجامع كون كليهما عقداً لازماً.

٥ ـــ الشهرة الفتوائية التي هي إحدى أقسام الشهرة عبارة عن مجرد اشتهار الفتوى بحكم بين الفقهاء كاشتهار الفتوى بصحة المعاطاة.

بدليل معتبر لايستندون اليه، ولذلك قالوا: الشكّ في الحجية مساوق للقطع بعدم الحجية [٦].

فعلى هذا ففي جميع المصادر الفقهيّة حتّى ما تكون حجيته في الجملة قطعية كالكتاب الشريف والسنة النبوية. لابد وأن ينظر اليه في الأوضاع والشرائط المختلفة بعين الدقة والاعتبار: هل ينطبق عليه أحد الضابطين أولا؟ ولتوضيح ذلك نقول:

١ ـ الكتاب: العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو وان كان من حيث السند غير قابل للخدشة والمناقشة إلا ان آياته من حيث الدلالة على أنواع:

الأول: مايكون نصاً على المعنى ولا يحتمل فيه خلاف، كقوله تعالى:

«أحل الله البيع» [٧]

و **«لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطلِ إلّا ان تكون تجارة عن تراض منكم»** [٨]

و **«الصلح خير»** [٩]

فإنّ دلالتها على أصل صحة البيع والتجارة ومشروعية الصلح أمر قطعي لايحتمل فيه خلاف.

الثاني: الآيات التي لا تكون قطعية في الدلالة على معناها ولكن احتمال الخلاف فيها ضعيف، كما في نفس الآيات المذكورة من حيث دلالتها على عدم اعتبار لغة خاصة أو لفظ مخصوص بل عدم اعتبار مطلق اللفظ في البيع والتجارة والصلح فان دلالتها على ذلك بالظهور الناشئ من الاطلاق الذي يحتمل فيه خلاف ضعيف.

---

٦ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري، الرسائل المحشّاة، ص ٥٢. المحقق الخراساني، كفاية الاصول المحشّاة بحاشية المشكيني، ج ٢ ص ٥٥. السيد علي الشاهرودي، الدراسات، ص ٧٥ وغيرهم في المصادر الأُخَر.

٧ ـ سورة البقرة: ٢٧٥.

٨ ـ سورة النساء: ٣٨.

٩ ـ سورة النساء: ١٢٧.

الثالث: الآيات التي تكون في الدلالة على المعنى مجملاً كقوله ـ تعالى ـ:
«أقيموا الصلاة وآتوا الزكوة» [10]

فانه لايدل بوجه على ان الصلاة أو الزكاة ما هي، ومن أي شيء تركبت، وبأيّ شيءٍ تقيدت، أو الآيات التي لها ظهور في معنىً لكن نقطع بأنّ ظهورها ليس بمراد، وأمّا ماذا أُريد منها فالآية لا تدل عليه بوجه كقوله تعالى:

«وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» [11]

فإنّ الظاهر من النظر إلى الرب هو رؤية ذاته المقدسة بالبصر، وهو ليس بمراد قطعاً لاستحالته عقلاً. لكن ما المراد منه بعد ذلك فلا يستفاد من الآية الشريفة بوجه.

وبعد ما ذكرناه من الأقسام الثلاثة نقول:

القسم الأول منها ــ حيث كان السند والدلالة كلاهما فيه قطعيّين يكون ذلك موجبا للقطع بالحكم الواقعي فيكون مشمولاً للضابط الأول.

والقسم الثاني منها ــ فالسند فيه وان كان قطعياً إلا ان المفروض ان دلالته ليست بقطعية، لكن لما قام دليل معتبر على حجية دلالته ــ وهو قيام السيرة العقلائية على حجية الظواهر مع عدم ردع الشارع المقدس عنه ــ فيكون مشمولا للضابط الثاني.

اما القسم الثالث ــ فحيث انه غير مشمول لأحد الضابطين المذكورين فلا يكون قابلاً للاستناد بوجه، نعم اذا دلّ دليل معتبر على لزوم اتباع بعض محتملات الجمل أو على خلاف الظاهر فيكون حجة وقابلاً للاستناد، ولكن لابنفسه بل بضميمة ذلك الدليل المعتبر. والذين لا يرون ظواهر الآيات حجة [12]

---

١٠ ــ سورة النساء: ٧٦.

١١ ــ سورة القيامة: ٢٢و٢٣.

١٢ ــ استشكل في حجية ظواهر الآيات طائفتان من العلماء: احداهما الاخباريون الذين ذهبوا الى كون الظواهر من المتشابهات: (راجع في أدلتهم في ذلك والجواب عنها: الرسائل المحشاة ص٦٠ والكفاية ج ٢ ص ٥٩..) والثانية بعض الاصوليين الذين ذهبوا الى ان حجيّة الظواهر مختصة بالمقصودين بالافهام، وان المتأخرين عن زمن نزول الخطابات القرآنية غير مقصودين بالافهام. (راجع الكفاية ج ١، ص ٣٥٩ وج ٢، ص ٦١).

فليس عدم استنادهم لظواهر الكتاب لأجل انكارهم الضابط الثاني بل لأن الظواهر عندهم من قبيل المجملات والمؤوّلات التي تكون خارجة عن كلا الضّابطين، وما لم يُؤيّدها دليل معتبر لامجال للاستناد اليها بوجه.

ب ــ السنة:

وهي عبارة عن قول النبي(ص): (أو مطلق المعصوم(ع)) وفعله وتقريره[١٣] ولا مجال للبحث والخلاف في أصل حجيتها في الجملة، إنما الخلاف فى أنها من أي طريق تثبت؟ هل تثبت بخبر الواحد الثقة؟ مع أنه:

اولاً: غير قطعيّ سنداً، إذ اخبار العادل أو الثقة لايوجب حصول القطع بل وحتى الظن الإطمئناني بصدور الخبر عنه(ع).

ثانياً: غير قطعي دلالة، إذ الغالب أنها بالظهور لابالنصوصية، بل كثيراً ما لم يسلَم للخبر حتّى الظهور، لأن التقطيعات [١٤] الواردة على الأخبار من ناحية أصحاب المجاميع المعتبرة أوجبت سقوط قرائن خلاف الظاهر فيها، ولا أقل من تغير مواضع القرائن فيها وحينئذ فكيف يبق لها ظهور؟

وثالثاً: في أخبار أئمتنا المعصومين(ع) على فرض قطعيتها سنداً ودلالةً يمكن ــ كما صرحوا أنفسهم(ع) ــ[١٥] أن تكون صادرة عنهم بعنوان التقية فكيف يمكن حصول الإطمئنان بأنها صدرت لبيان الحكم الواقعي؟

بناء على هذا؛ فان كان البحث في الآيات القرآنية من جهة الدلالة فقط، فالبحث في الاخبار من جهات ثلاث:

الاولى: من جهة أصل صدورها عن المعصوم(ع).

الثانية: من جهة دلالتها بعد فرض صدورها عنه(ع).

الثالثة: من جهة أنّها بعد فرض صدورها ووضوح دلالتها هل صدرت لبيان الحكم الواقعي أو صدرت بعنوان التقية ونحوها.

---

١٣ ــ السنة على رأي أهل السنة مختصة بقول النبي(ص) وفعله وتقريره، أمّا على رأي الشيعة الامامية فلا تختص بذلك بل تشمل قول مطلق المعصوم وفعله وتقريره فتشمل أقوال الأئمة(ع) وأفعالهم وتقريراتهم لأنهم أيضاً معصومون (الاصول العامة ص١٢٢).

١٤ ــ المقصود من التقطيع تجزئة أصحاب الجوامع المعتبرة الأحاديث بحسب الأحكام الواردة فيها وجعل كل جزء في الباب المناسب له.

١٥ ــ راجع الأخبار العلاجية في الرسائل المحشّاة، التعادل والتراجيح،ص ٣٥٥.

لكن المحققين على أن شيئاً من هذه الجهات الثلاث لا يمنع عن العمل بخبر الثقة:

اما الاولى: فلأن خبر الثقة لاشك في حجيته من جهة السند لجريان سيرة العقلاء على العمل به بل ولدلالة الأدلة الأربعة على ذلك[١٦]

واما الثانية: فلأن ظواهر الأخبار أيضاً كسائر الظواهر ممّا جرى على العمل بها بناء العقلاء ولم يردع عنه الشارع، فتكون حجة بلا كلام. والتقطيعات الواردة لا تكون مانعة عن انعقاد الظهور فيها، فإنها صدرت عمّن يكونون واجدين لخصوصيتين:

الاولى: انهم كانوا من أهل البصيرة والإطلاع ويميّزون القرائن عن غيرها.

والثانية: انهم كانوا عدولاً لا يُلقون الناس باسقاط القرائن أو تغيير مواضعها في خلاف الواقع تَعَمُّداً، إلا أن يقال: يحتمل أن يكون حذف القرائن أو تغيير مواضعها خطأً أو سهواً أو نسياناً. لكن هذا الإحتمال ينتفي بأصالة عدم السهو والنسيان والخطأ التي عليها بناء العقلاء. بناء على هذا فلا يبقى وجه لعدم العمل بظهورات الأخبار.

وأما الثالثة: فلأن التقية ونحوها أيضاً على خلاف الأصل العقلائي، فان العقلاء بنوا على حمل كلام كل متكلم على مراده الواقعي، وانما يحملون كلام المتكلم على التقية ونحوها اذا علموا ذلك على وجه القطع أو كان عليه دليل معتبر.[١٧]

فاذا لم يكن هناك علم ولا يكون في البين دليل معتبر على ذلك فالأصل العقلائي يقتضي أن يحمل الكلام على إرادة الواقع.

فعلى هذا فالأحاديث الحاكية عن السنّة كالآيات القرآنية لا تكون خارجة عن هذه الأنواع الثلاثة:

الأول: أن يكون كشف الحديث عن السنة قطعياً، كما اذا كان صدور الحديث عن المعصوم قطعياً كأن تلقاه الشخص عن المعصوم بنفسه و بلاواسطة أو كان منقولاً عنه بالتواتر أو بخبر واحد يكون محفوفاً بالقرائن القطعية.

---

١٦ ــ راجع الرسائل ص١٠٧ والكفاية ج٢ ص٨٣.

١٧ ــ الرسائل، التعادل والتراجيح، ص٣٥٥.

والى جانب قطعية كشفه عن السنة تكون دلالته أيضاً قطعيّة، ولا يحتمل فيه التقية وسائر انحاء خلاف الواقع.

فحينئذ أي حينما توفّرت فيه الشروط الثلاثة أي قطعية الكشف عن السنة وقطعيّة الدلالة وعدم احتمال التقية ونحوها يكون الحديث مشمولاً للضّابط الأول من القضية المنفصلة.

الثاني: ما كان كشفه عن السنة غير قطعي إلا أن هناك دليلاً معتبراً دلّ على حجيته كما إذا كان منقولاً عن ثقة فان أدلة حجية خبر الثقة تدل على اعتباره وحجيته.

أو كانت دلالته غير قطعية ولكن ظهور دلالته جعله بمنزلة النص بموجب أدلة حجية الظهور.

أو كانت جهة صدور الخبر غير قطعية، لكن بما أن التقية ونحوها غير قطعية، ولم يدل عليها دليل معتبر، فلابد وأن يحمل على بيان الواقع بموجب الأصل العقلائي.

وهذا القسم يكون مشمولاً للضابط الثاني من القضية المنفصلة.

الثالث: ما لم تتوفر فيه خصوصيات القسمين المذكورين. كأن يكون المخبر غير ثقة أو تكون الدلالة على نحو الاجمال أو التأويل، أو دلّ دليل معتبر على أن الخبر صدر بعنوان التقية ونحوها، أو تيقناً بذلك، فهذا القسم خارج عن كلا الضابطين المذكورين، ولذلك لايكون قابلاً للاستناد بوجه.

ولابد هنا أيضا من الالتفات الى هذه النكتة، وهي ان الذين لا يقولون بحجية الخبر الواحد، لايكون عدم عملهم بالخبر بسبب عدم قولهم بصحة الضابطين المذكورين بل لزعمهم أن خبر الواحد هو مصداق القسم الثالث لا مصداق القسم الثاني وذلك بسبب قيام الدليل على عدم اعتباره أو لعدم قيام الدليل على اعتباره.

ج ـ الإجماع

وهو عبارة عن اتفاق أمة محمد(ص) أو اتفاق نظر الفقهاء في أمر من الأمور الفقهية وقد اختلفوا في وجه حجية الاجماع فعلماء الشيعة الامامية يقولون: ان حجية الإجماع من جهة كشفه عن نظر الشارع أو دليل معتبر. فاذا كان في

الإجماع مثل هذا الكشف فهو حجة، وإلاّ فلا[18].

أما فقهاء أهل السنّة ــ فكما يستفاد من استدلالهم ــ أنهم يعتمدون على الاجماع بسبب نفس الاجماع واتفاق الكلمة لا بسبب كاشفيته عن أمر آخر[19]، وعلى أي حال:

فان قبلنا كاشفية الاجماع عن نظر الشارع، أو عن دليل معتبر على نحو الاطلاق أو في موارد خاصة على الأقل (كما عليه الشيعة الامامية) أو في حالة انكار الكشف، قبلنا أدلة أهل السنّة على حجية نفس الإجماع من حيث السند والدلالة، يكون الإجماع أيضاً مشمولاً للضابطين المذكورين، وفي غير هذه الصورة، يخرج عن شمول الضابطين، ولا يبقى أبداً وجه للاعتماد عليه.

د ــ العقل

انّي كلّما فحصت في كتب السابقين من علماء الشيعة وأهل السنّة، لم أجد في بداية الامر مصدرا تشريعياً لاستنباط الاحكام والحقوق الاسلامية تحت عنوان العقل، مقابل الكتاب والسنّة والإجماع، بل إنهم بعد ذكر الكتاب، والسنة، والإجماع ذكروا بعض الامارات والاصول التي كان يزعم أهل السنة كلهم أو بعضهم أنها يمكن أن تكون مصدراً لاستنباط الأحكام والمسائل الحقوقية بمقتضى آيات الكتاب الشريف، والسنة النبوية، والإجماع، أو بموجب الدليل العقلي أحياناً، من دون أن يضعوها تحت عنوان الدليل العقلي، وهذه من قبيل: القياس، والاستحسان والمصالح المرسلة والذرايع والبراءة الأصلية. وأقل ما قبل في المسالة. والاستصحاب وغيره.[20] ولقد راج هذا النهج على هذا النحو قرابة أربعة قرون من العصور الاولى من ظهور الحقوق الاسلامية ومبانيها.

وربما كان أول العلماء الذين طرحوا المصدر الرابع للشريعة الاسلامية تحت عنوان العقل من أهل السنة ــ على ما وقعت عليه ــ هو الامام أبو حامد

---

١٨ ــ الرسائل بداية بحث الاجماع.

١٩ ــ استدلوا في ذلك بأدلة أقواها قول النبي(ص): **(لا تَجْتَمِعُ أُمتي على الخطأ)** (راجع المستصفى للغزالي (ج ١ ص ١٧٥ ط بولاق ١٣٢٢) ومن الواضح ان الظاهر من هذا الدليل حجية الاجماع بلحاظ نفس الاجماع.

٢٠ ــ راجع رسالة الشافعي ومعتمد أبي الحسين البصري وأحكام الامدي واحكام ابن حزم ومختصر ابن الحاجب وذريعة السيد المرتضى وعدة الشيخ الطوسي.

محمد بن محمد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .ق) في كتاب المستصفى[٢١]، ومن فقهاء الشيعة الشيخ الجليل ابوعبدالله محمد بن ادريس العجلي الحلي (المتوفى سنة ٥٩٨هـ .ق) وذلك في بداية كتاب السرائر[٢٢]

غير أن طرح الدليل الرابع تحت عنوان العقل بين أهل السنة لم يلق رواجاً، وانما كانوا يطرحون ذلك على الأغلب تحت عنوان القياس، ولكنه بالتدريج راج رواجاً كاملاً عند الشيعة حتى قيدوا مطلق (الأدلة) التي كانوا يعدونها في الماضي موضوع علم الاصول[٢٣]، بقيد (الأربعة) وقصدهم من الدليل الرابع دليل العقل هذا.[٢٤]

لقد عرفت علماء الاصول الدليل العقلي بقولهم: (حكم عقلي يتوصل به الى حكم شرعي) أو (ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى حكم شرعي) وقد قسموه الى قسمين: مستقل وغير مستقل.[٢٥]

فالحكم العقلي المستقل ما لايحتاج في استنباط الحكم الشرعي منه الى ضم مقدمة شرعية اليه كحكم العقل بحسن الاحسان وقبح الظلم. أو من البديهي ان استنباط حسن الاحسان وحرمة الظلم من هذا الحكم العقلي شرعاً لايمكن إلا بمعونة قاعدة الملازمة بين حكم العقل والشرع التي هي أيضاً حكم عقلي من دون حاجة الى ضم حكم شرعي اليه.

والحكم العقلي غير المستقل. هو حكم عقلي لا يكفي لوحده لاستنباط حكم شرعي منه. بل لابد من ضم مقدمة شرعية اليه حتى يستطاع من مجموع المقدمة الشرعية والمقدمة العقلية استنتاج الحكم الشرعي. مثال ذلك ان حكم العقل بثبوت الملازمة بين وجوب الشيء ووجوب مقدمته حكم عقلي غير مستقل إذ بمجرد الملازمة بين وجوب الشيء ووجوب مقدمته لا يمكن استنتاج الوجوب شرعاً كأن يقال: نفقة الزوج والولد واجبان شرعاً، وكل ما هو واجب شرعاً

---

٢١ ــ ج ١، ص ٢١٧.

٢٢ ــ ص ٤.

٢٣ ــ راجع الذريعة الى اصول الشريعة، ط جامعة طهران ١٣٤٦ هـ ش ص ٧ وعدة الأصول ط. طهران ١٣١٤ ص ٢.

٢٤ ــ راجع المناهج والحقائق والضوابط والقوامع والقوانين والفصول وغيرها.

٢٥ ــ المصادر المتقدمة، القسم الرابع.

ـ فبحكم الملازمة بين وجوب الشيء ووجوب مقدمته ـ تكون مقدمته أيضاً واجباً شرعاً فتحصيل المال الذي هو مقدمة نفقة الزوج والولد إذن يكون واجباً شرعاً.

وعلى كل حال، فان ما يجب ذكره الآن، هو ان كل ما ذكره العلماء في هذا المقام ـ سواء سميناه دليلاً عقلياً أم لم نسمه مثل: الاصول العملية[٢٦] والقياس[٢٧] والاستحسان[٢٨] والمصالح المرسلة[٢٩] والذرائع[٣٠] والعرف وغيره اذا انطبق عليه أحد الضابطين المذكورين. أعني: إما أن يكون موجباً لحصول القطع بالحكم الواقعي أو يقوم دليل معتبر على حجيته فهو من دون شك حجة، مثل كل واحد من الاصول العملية في مورده الخاص الذي قام الدليل المعتبر على حجيته فيه، ومثل القياس المنصوص العلة الذي بحسب اختلاف دليل الأصل يمكن أن يكون مشمولاً لأحد الضابطين المذكورين، وهكذا قياس الأولوية الذي هو أيضاً تابع لدليل الأصل. وكذلك الاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها، فانها أيضاً فيما

---

٢٦ ـ الاصول العملية أربعة: ١ ـ البراءة: وهي الحكم بنفي التكليف المشكوك في موارد الشكوك البدئية كالحكم بعدم وجوب الشرط الابتدائي. ٢ ـ الاستصحاب وهو الحكم ببقاء ما كان عند الشك كالحكم ببقاء الدّين المشكوك بقاؤه. ٣ ـ الاشتغال أو الاحتياط وهو الحكم ببقاء اشتغال الذمة عند الشك في فراغها كما في موارد العلم الاجمالي بالتكليف فان الحكم ببقاء اشتغال الذمة مالم يعلم بفراغها يقتضي الاحتياط في موارد العلم الاجمالي. ٤ ـ التخيير، وهو الحكم بكون المكلف مخيراً في الأخذ بأحد طرفي الاحتمال عند دوران الأمر بين المحذورين.

٢٧ ـ قد مضى تعريف القياس الفقهي في بداية البحث.

٢٨ ـ قد عرف الاستحسان بوجوه مختلفة (راجع الاصول العامة ص ٣٦١) والأنسب بمفهومه اللغوي تعريفه بما يستحسنه المجتهد بعقله» ولعل المراد من (عقله) شمّه الفقهي، ومثلوا له بالاستحمام من دون تعيين مقدار صرف الماء ومقدار المكث في الحمام: فان الظاهر انه من باب الاجارة، مع ان الاجارة لا تصح من دون تعيين العوضين، فقالوا: لابأس به من باب الاستحسان. لكن مع ذلك انكره الشافعي (كالشيعة الامامية) وقال: (من استحسن فقد شرَّعَ) (المستصفى: ج ١ ص ٢٧٤) وظني ان مثال الاستحمام ليس من باب الاجارة ولا من باب الاستحسان بل هو من باب الصلح أو الجعالة.

٢٩ ـ المصالح المرسلة مصالح لم يعتبرها الشارع ولم يلغها بل سكت عنها: ومثلوا لها بقتل الأسارى من المسلمين الذين تجتّن بهم الكفار، واختلفوا في حجية المصالح، وقال الشافعي بأنها كالاستحسان من باب التشريع المحرم (الاصول العامة للفقه المقارن ص ٣٨٠ نقلاً عن مصادر التشريع الاسلامي ص ٧٤/١) والحق ان المصالح اذا كانت قطعية وكانت من باب تزاحم الأهم والمهم فيتقدم الأهم عقلاً كالمثال.

٣٠ ـ الذرائع جمع الذريعة، والمراد منها الوسيلة وطريق الوصول الى الشيء (راجع الاصول العامة ص ٤٠٨ نقلاً عن اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٣٧).

اذا دلّ على حجيتها دليل عقلي قطعي مثل: ترجيح الأهم على المهم في باب التزاحم حيث ينطبق عليه بعض تعريفات الاستحسان[٣١] ومثل المصالح اللزومية التي تحصلت من النصوص والقواعد الكلية الحقوقية أو من الحكم العقلي القطعي حيث تطابق معها بعض التعبيرات في باب المصالح المرسلة[٣٢] واذا لم ينطبق عليه أحد الضابطين المذكورين فهو من دون شك ليس بحجة سواء دل دليل معتبر على عدم اعتباره مثل القياس المستنبط العلة (على رأي الشيعة الامامية) أو أن يكون اعتباره وعدم اعتباره مشكوكين مثل الاستحسانات والمصالح الظنية التي لا يدل على اعتبارها دليل معتبر.

وفي هذا الباب أيضاً ــ كما علم في بابي الكتاب والسنة ــ فان نزاع العلماء في صغرى الضابطة لا في كبراها، بمعنى ان الذين لايجدون بعض الاصول أو الامارات حجة، لا يعدون ذلك مصداقاً للضابطتين المذكورتين، إلا أنهم مع عدّهم ذلك مصداقاً لاحدى الضابطتين، مع ذلك ينكرون حجيتها.

٢ ــ الكبرى

ان الكبرى لقياس الاستنباط ــ كما أُشير في بداية البحث ــ هي النظرات التي اختارها الفقهاء في مسائل الاصول.

ولقد قسم الاصوليون الإمامية المسائل الاصولية باعتبارات مختلفة الى عدة أنواع، وآخر تقسيم يكون متعارفاً الآن هو تقسيمها الى: المبادئ والمسائل، وتقسيم المسائل أيضاً الى مباحث الألفاظ والأدلة العقلية، وتقسيم الأدلة العقلية أيضاً الى مباحث القطع، ومباحث الظن (الامارات) ومباحث الشك (الاصول العملية) ومباحث التعادل والتراجيح، ثم بحثوا في الأخيرــ كما كان متعارفاً منذ القديم ــ مسائل الاجتهاد والتقليد كما اقتضته أوضاع كتبهم.

ولقد وجدتُ لأسباب وملاحظات التقسيم التالي أكثر مناسبة ونشرتُ ما رأيته في احدى المقالات المنشورة في مجلة (مقالات و بررسيها) أي (مقالات وبحوث) التي تصدر عن كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية وهذه خلاصة لذلك

---

٣١ ــ راجع الاصول العامة ص ٣٦٤.

٣٢ ــ راجع المصدر المذكور ص ٣٨١ نقلاً عن المستصفى ج ١ ص ١٤٠.

التقسيم:

١ ـ مبادئ علم الاصول اللغوية، من قبيل: الوضع وأقسامه، الحقيقة والمجاز، المنقول والمشترك، الصحيح والأعم، والمشتق وغيره. ومن الواضح ان هذه المسائل خارجة عن المسائل الأصلية لعلم الاصول، ولكن لما كانت حسب المتعارف تبحث هذه المسائل في أول الكتب الاصولية، لذلك فاني قد جعلتها قسماً من علم الاصول تأسياً بالآخرين.

٢ ـ مباحث الألفاظ: مثل مدلول الأمر، مدلول النهي، الجمل الخبرية التي تستعمل في مقام الطلب، الفور والتراخي، المرة والتكرار، التوصلي والتعبدي، الأمر عقيب الخطر، مباحث العام والخاص، المطلق والمقيد، المجمل والمبين ونظيرها.

٣ ـ مباحث الاستلزامات (الأدلة العقلية غير المستقلة) مثل: مبحث الأجزاء، وجوب المقدمة، مبحث الضد، اجتماع الأمر والنهي، دلالة النهي على الفساد.

ويمكن إلحاق مباحث المفاهيم بهذا القسم كما أن إلحاقها بمباحث الألفاظ لا مانع منه أيضاً.

إن المسائل في هذا القسم ـ كما علم سابقاً ـ تركيب من الدليل الشرعي والدليل العقلي، بمعنى أن أصل المسألة عقلي، ولكن لا يمكن أن يستنتج منها حكم شرعي إلا اذا ضُمَّ اليها دليل شرعي، وقد أشرنا فيما مضى الى هذه المسألة وأوضحناها بذكر مثال.

٤ ـ المسائل العقلائية: وهي المسائل التي جرت عليها سيرة العقلاء المستمرة مثل حجية الظهورات، وحجية خبر الثقة، وحجية الأصول اللفظية، وأصالة الحقيقة، وأصالة العموم، وأصالة الاطلاق، وأصالة عدم القرينة، وأصالة عدم التقدير ونظير ذلك.

٥ ـ المباحث الشرعية: أعني الاصول والامارات التي قام على حجيّتها دليل شرعي مثل: أصالة البراءة الشرعية والاحتياط الشرعي، والاستصحاب وغيره، وحجية ظواهر الكتاب والحديث بل يمكن عدُّ الاجماع أيضاً من هذا القسم.

٦ ـ تعارض الأدلة الذي يعبرون عنه بالتعادل والتراجيح. واصول

مباحث هذا القسم ترجع الى المباحث العقلية والعقلائية والشرعية، مثل أصالة تساقط المتعارضين، ولزوم الجمع العرفي في موارد إمكان الجمع، والترجيح بالمرجحات المنصوصة ونحوها.

٧ ــ الاجتهاد والتقليد ــ مسائل الاجتهاد والتقليد وان ذكرها علماء الاصول غالباً في نهايات كتبهم الاصولية، إلا أنها بلا شك مسائل فقهية ولابد وان يفتح لها ــ كما في الرسائل العملية ــ باب خاص في الكتب الفقهية.

مسائل علم الاصول مسائل اقتباسية ــ كما علم جيداً من هذا المختصر أنّ مسائل علم الاصول غالباً مسائل قد اقتبست من علوم مختلفة كالعلوم الأدبية والعلوم العقلية وغيرها.

موضوع علم الاصول ــ قد اختلف علماء الاصول في ان موضوع علم الاصول هو ماذا؟ هل هو الأدلة الأربعة أو شيء آخر؟ وعلى الأول هل هو ذات الأدلة أو الأدلة بوصف كونها دليلاً؟ وبحثوا في ذلك كثيراً، لكن لابد وان يعلم ان البحث في ان موضوع هذا العلم أو محموله هو ماذا ليس بمهم، إنما المهم أن يعلم أن المسألة ــ موضوعها أو محمولها أي شيء كان ــ هل يمكن أن تقع كبرى لقياس الاستنباط؟ فعلى تقدير الامكان تجعل مسألة اصولية وعلى تقدير عدم الامكان لا.

٣ ــ نتيجة القياس:

ان نتيجة قياس الاستنباط مسائل أو قواعد فقهية وحيث ان لتلك المسائل أو القواعد روابط بين موضوعاتها ومحمولاتها فلابد لمعرفتها من معرفة نفس تلك الموضوعات والمحمولات أولاً، ثم معرفة الروابط فيما بينهما. وأيضاً حيث ان الموضوعات ــ كما ستعرف ــ تختلف حسب اختلاف المحمولات فمعرفة موضوعات المسائل تتوقف على معرفة محمولاتها فنبدأ أولاً بتعريف محمولات المسائل ثم نعقبه بإيضاح موضوعاتها فنقول:

ماهي محمولات المسائل الفقهية؟ ان محمولات المسائل الفقهية مفاهيم[٣٣]

---

٣٣ ــ المفاهيم المحمولية يمكن أن تكون من المشتقات العرفية كالواجب والحرام وغيرهما ويمكن ان تكون من الجوامد العرفية كالزوج والأخ وغير ذلك وكيف كانت فهي موضوع البحث في مسألة المشتق الاصولي إذ يمكن ان يبحث حتى في مثل الزوج انه حقيقة في الزوج الفعلي او في الأعم منه ومن الماضي.

انتزعت من الأحكام الشرعية بلحاظ انتسابها الى متعلقاتها وموضوعاتها[٣٤] نظير الواجب والحرام والسبب والشرط وغيرها التي انتزعت من وجوب الواجبات وحرمة المحرمات وسببية أسباب الأحكام وشرطية شروطها ونحو ذلك.

ماهو الحكم الشرعي؟ قد عرف الحكم الشرعي بوجوه[٣٥] لا يخلو شيء منها من الخلل.[٣٦]

والصحيح بنظري القاصر ان ما اعتبره الشارع المقدس[٣٧] بعنوان التاريخية لموضوعات مختلفة[٣٨] هو المسمى بالحكم الشرعي كالوجوب والحرمة والملكية والزوجية والطهارة والنجاسة والضمان وغيرها. ومن البديهي ان صدق الحكم على هذه الاعتبارات عرفاً كسائر الاعتبارات الأخر يتوقف على أن يبرزها الحاكم أي ينشئها ــ بنحو من أنحاء الابراز وعليه فما لم تبرز ولم تبين فالحكم وان كان بحقيقته موجوداً بوجود الاعتبار النفساني لكنه لايكون بنظر العرف مصداقا للحكم أصلاً.

الحكم الشرعي ينقسم الى قسمين: تكليفي و وضعي.

فالحكم التكليفي؛ حكم تعلق أولاً و بالذات أي مستقيماً و بلاواسطة في العروض بأفعال المكلفين وتروكهم، ولم يترتب على إطاعته وعصيانه بلحاظ نفس الحكم إلا الثواب والعقاب الاخرويان، كوجوب الانفاق، والعمل بالتعهدات وحرمة القمار، ونقض العهد.

الحكم التكليفي ينحصر عقلاً في خمسة أنواع: الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهية والاباحة وتسمى تلك الأنواع عندهم بالاحكام الخمسة

---

٣٤ ــ المتعلقات والموضوعات في المقام مترادفتان لكن ربما فرق بينهما بأنَّ المتعلقات هي الأفعال والتروك التي تعلقت بها الاحكام التكليفية لكن الموضوعات هي ما تعلقت بها تلك الأفعال والتروك فمثلاً في مثل وجوب الوفاء بالعقود أو الشروط: الوفاء متعلق الوجوب والعقد أو الشرط موضوعه.

٣٥ ــ قد ذكروا في تعريف الحكم الشرعي تعبيرات: منها خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين (الفصول، الأدلة العقلية، انقسام الحكم الى العقلي والشرعي) ومنها الارادة والكراهة اللتان ذكرهما صاحب الكفاية في تعريف الحكم الاقتضائي (ج ١ ص ٢٤٢) ومنها الانشاء (حاشية الشيخ محمد حسين الاصفهاني على متاجر الشيخ الانصاري ص ٤) ومنها الطلب (زبدة الاصول ص ٢٩ــ ٣٠ط. طهران برادران نجفي) ومنها غير ذلك.

٣٦ ــ فان الخطاب والإنشاء دال ومبرز للحكم لا نفس الحكم والارادة والكراهة وما يشابهها من الامور الحقيقية التي تكون من مبادئ الحكم؛ لا أنها نفس الحكم الذي هو أمر اعتباري.

٣٧ ــ الاعتبار بنفسه مصداق للحكم باعتبار ولكن الفقهاء يطلقون الحكم على ما اعتبره الشارع (المعتبر) لا على نفس الاعتبار.

التكليفية.

والحكم الوضعي حكم تعلق أولاً وبالذات بالأشخاص أو الأشياء، ويكون تعلقه بالأفعال والتروك على نحو غير مستقيم؛ كالزوجية والسببية والملكية والضمان، فانها تعلقت مباشرة بالزوج والزوجة، وبمثل اليد التي هي سبب للضمان والمال الذي هو مملوك أو مضمون، نعم ــ كما اشير اليه ــ هذه الأحكام تنتهي الى أحكام تكليفية أُخر، من قبيل وجوب التمكين ووجوب النفقة، ووجوب الرد، وجواز التصرف، وحينئذ فتتعلق بنحو غير مباشر بأفعال من قبيل الانفاق والتمكين، والرد والتصرف فتعلقها بالأفعال تعلق غير مباشر.

هل الأحكام الوضعية تنحصر في عدد معين كالثلاثة: السببية والشرطية والمانعية، أو الخمسة باضافة الصحة والبطلان الى تلك الثلاثة، أو السبعة باضافة العلية والعلامية الى تلك الخمسة، أو التسعة باضافة العزيمة والرخصة الى تلك السبعة ــ كما ذكرها البعض[39] ــ أو انها لا تنحصر بهذه الأعداد؟

الحق انها لا تنحصر: إذ لاشك ان في المجعولات الشرعية أحكاماً كثيرة لا تكون في زمرة الأحكام التكليفية ولا في تلك الأحكام الوضعية المذكورة كالملكية والزوجية والضمان والطهارة والنجاسة والحرية والرقية وغيرها. وعليه فالأحكام الوضعية لا تنحصر بذلك: والضابط فيه ان الأحكام الوضعية كل مجعول للشارع المقدس، عدا الماهيات المخترعة كالصلاة والصوم، وما عدا الأحكام التكليفية الخمسة سواء كانت من تلك الاعداد أو من غيرها، وما ذكرنا في تعريفها صادق على الجميع ولا دليل على التعريف بوجه يختص بالبعض. هذا تمام الكلام في محمولات المسائل الفقهية، واما موضوعاتها:

ما هي موضوعاتها؛ المسائل الفقهية؟ فما ذكرنا في باب محمولات المسائل الفقهية ظهر الحال في موضوعات تلك المسائل فان الحكم الفقهي ان كان من

---

٣٨ ــ قد يكون موضوع الحكم بنفسه من المجعولات الشرعية كالصلاة والصوم وقد يكون أمراً عادياً ــ كما هو الغالب ــ كالعقد والقمار والكذب وغيرها. والقسم الاول وان كان باعتبار بنفسه مصداقاً للحكم إلا ان الفقهاء لا يطلقون عليه بنفسه الحكم، بل يطلقون الحكم على ما ترتب عليه كالوجوب وغيره. واما الموضوعات فيسمونها الماهيات الجعلية أو الماهيات المخترعة (راجع قواعد الشهيد ص ٧٠ وتقريرات الكاظمي، الطبعة الثانية، الجزء الرابع، ص٢٢٨).

٣٩ ــ راجع الكفاية، المجلد الثاني، ص ٣٠٢.

الأحكام التكليفية فباليقين نقطع بأن موضوعاتها لا تكون إلا من أفعال المكلفين وتروكهم كوجوب الصلاة والصوم وحرمة شرب الخمر والميسر، فان تعلقت أحياناً بغيرها فبالقطع نعلم بأن في التقدير فعلاً او تركاً كما في قوله تعالى:

(**حرمت عليكم امهاتكم**)[٤٠] أي نكاحُهنّ.

و (**حرمت عليكم الميتة والدم**)[٤١] أي أكلُها

و (**أحلت لكم بهيمة الأنعام**)[٤٢] أي أكلها أوركوبها ونحو ذلك.

واما ان كان الحكم من الأحكام الوضعية فموضوعاتها لا تكون إلا شخصاً أو شيئاً كالزوجية والحرية والرقية فان موضوعاتها: الزوج والزوجة والحر والرق، وكالملكية والضمان فان موضوعاتها الملك والمال. فما هو المعروف من كون موضوعات مسائل الفقه أفعال المكلفين فليس اطلاقه أمراً صحيحاً.

المسائل الفقهيةـ وبعد ما ذكرناه في تعريف موضوعات مسائل الفقه ومحمولاتها ظهر الحال في نفس المسائل فانها روابط شرعية بين الموضوعات والمحمولات كوجوب النفقة وحرمة القمار والسرقة وإباحة المأكولات والمشروبات المحللة وصحة العقود ولزومها وجزئية الايجاب والقبول لها وهكذا شرطية البلوغ والعقل ومانعية ــ الجهل والتعليق ــ بالنسبة اليها وغيرها من المسائل.

تقسيم مسائل الفقه: ــ مسائل الفقه تنقسم إلى أقسام:

١ ــ **العبادات:** ــ وهي ما وضعه الشارع المقدس وقرره تعبداً له ــ تبارك وتعالى ــ وتعظيماً وإجلالاً لجنابه ــ جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ــ ومن المعلوم ان صحة هذه الوظائف منوطة بقصد التقرب اليه تعالى، واتيانها بداعي امتثال أمر كالصلاة والصوم والحج ونحوها. وهذا القسم ينقسم الى قسمين:

الأول: ما تكون وظائف فردية وان لازمتها أحياناً أهداف اجتماعية، وهي كالأمثلة المتقدمة وتلحق بها مقدماتها التي بعضها بنفسها عبادية: كالوضوء والغسل، وبعضها غير عبادية: كطهارة الثوب والبدن ونحوها. ويذكر في باب الطهارة أحكام كثيرة بالمناسبة كأحكام المياه والآبار والنجاسات والمطهرات والأموات وغيرها.

---

٤٠ ــ سورة النساء: ٢٣.

٤١ ــ سورة المائدة: ٣.

٤٢ ــ سورة المائدة: ١.

الثاني: ما تكون ــ بلاشك ــ وظائف اجتماعية قد جعلها الشارع حفظاً للمجتمع الاسلامي وصيانة له عن الخلل والفساد، بل قد تكون حكمة تشريعها بقاء بنيان الاسلام وأساسه، من غير فرق بين أن يكون واجباً عينياً أو كفائياً. وهذا نظير المقررات المالية كالزكاة والخمس والخراج والجزية والفيء والغنيمة ونحوها. أو غير المالية: كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وارشاد الجاهل وتنبيه الغافل ونحوها.

في هذا القسم وان تعلق غرض الشارع أحياناً بإتيانه بقصد التقرب وبداعي امتثال أمره كسائر العبادات لكنه بالقطع واليقين من ناحية أهدافه الاجتماعية وملاكه العقلائي لا يتوقف على ذلك، بداهة ان الغرض المترتب على الجهاد وأداء الزكاة وساير الحقوق المالية وهو صيانة الدين والمجتمع الاسلامي عن الخلل والفساد يترتب عليها وان لم يأت بها العامل بداعي امتثال أمرها.

٢ ــ المعاملات: وهي العقود والايقاعات ــ فانها امور عقلائية قررت لأجل إيجاد تعهدات وارتباطات بين أفراد المجتمع: بعضها مع بعض أو لأجل اعدام تلك التعهدات والارتباطات، والشارع المقدس أمضاها واعتبرها، وهذا القسم لا تتوقف صحته على قصد القربة وامتثال الأمر، ولكن يتوقف مضافاً الى القصد والرضا على الانشاء، ابراز العاقد أو الموقع مقاصده المكنونة في نفسه وتبيين ذلك وتفهيمه، بل ــ كما أشرنا اليه سابقاً ــ ربما يُعَد الانشاء بنظر العرف من مقومات المعاملات. وذلك مثل: البيع، والاجارة، والصلح، والنكاح، والطلاق وغيرها. وهذا القسم على نوعين:

الاول: ــ ما يتوقف علىٰ قصد طرفي المعاملة ورضاهما وإنشائهما كالبيع والاجارة والصلح والنكاح وهذا يسمى عقداً.

الثاني: ــ ما لا يتوقف إلا على قصد واحد ورضا وإنشاء واحد كالطلاق والإبراء والفسخ ونحوها. وهذا يسمى إيقاعاً. ولكل واحد من القسمين تقسيمات وأقسام لامجال لذكرها الآن.

٣ ــ الأحكام (بالمعنى الأخص): وهي ما وضعها الشارع المقدس وقررها لجلب مصالح أو لدفع مفاسد ملزمة في الأغلب (أي تكون تلك المصالح والمفاسد لازمة الرعاية) ولا يحتاج فيها الى قصد القربة ولا الى القصد والرضا والانشاء من ناحية أحد إلا الشارع المقدس. وهذا كباب الأطعمة والاشربة والفرائض

والحدود والقصاص ونحوها. وهذا القسم على أنواع نشير الى ما هو المهم منها.

الأول ــ ما جــعــل لأجل السياسات والتنبيهات البدنية، والغرض منه اعتبار أفراد المجتمع وأحياناً نفس مرتكبي الجرائم والجنايات كالحدود والتعزيرات، ومن المعلوم ان الحاكم والمنفذ في هذا الباب هو القاضي والحاكم الشرعي وحده.

الثاني: ــ ما يكون المقصود فيه تنبيه المجرم والخاطئ وأحياناً تخفيف الذنب لكن ليس الملحوظ فيه اعتبار الآخرين، وذلك كالكفارات.

الثالث: الغرامات. وهي ما جعلها الشارع لأجل جبران الخسائر المالية أو البدنية الواردة من ناحية أحد على غيره عمداً أو غير عمد كقواعد الا تلاف والتسبيب وضمان اليد ونحوها وهكذا كأحكام الديات.

الرابع ــ وهناك قسم آخر من الاحكام جعلها الشارع لموضوعات مختلفة كاحكام الاطعمة والاشربة والصيد والذباحة واحياء الموات وغيرها.

٤ ــ الاقضية: وهي ما جعلها الشارع لدفع المشاجرات والخصومات التي تقع بين أفراد المجتمع بسبب التجاوزات العمدية وغير العمدية و يعبرون عنها بباب القضاء، و يلحقها باب الشهادات. وانما جعلنا هذا القسم قسماً خاصاً مع أنه يمكن عده من أنواع القسم السابق (الأحكام) لأن له أحكاماً خاصة ليست في ساير الأقسام.

٥ ــ النذر وشبهه: هذا قسم خاص من التعهدات يشبه العقود والايقاعات من وجه، و يشبه العبادات من وجه آخر. فهو يشبه العقود والايقاعات من جهة توقف صحته على الإنشاء، و يشبه العبادات من جهة ماذكره الشهيد الثاني في شرح اللمعة من قيام اجماع الفقهاء على اعتبار نوع خاص من قصد القربة فيه[٤٣] لكن طرف التعهد في هذا القسم من التعهد هو الله ــ تعالى ــ وحده لا افراد المجتمع، بخلاف ساير التعهدات. وهذا القسم من التعهد يعبرون عنه بالنذر وشبهه (العهد واليمين).

المسائل الفقهية: ــ للمسائل الفقهية اطلاقان:

أحدهما: ــ ما يمكن التعبير عنه بالمسائل الفقهية بالمعنى الأعم، وهي كما ذكرناه، والروابط الشرعية التي بين موضوعات الفقه ومحمولاته. وعليه فتشمل

---

٤٣ ــ ج ٣ ص ٣٩ ط. النجف ١٣٨٧.

جميع الروابط الشرعية بينها ولا تختص بقسم خاص منها.

الثاني: ــ ما يمكن التعبير عنه بالمسائل الفقهية بالمعنى الأخص وهي نوع خاص من الروابط المذكورة في قبال القواعد الفقهية التي هي نوع آخر منها وحينئذ فالمقصود من المسائل الفقهية ــ مسائل تكون موضوعاتها عنواناً أولياً لفعل خاص أو انسان أو شيء مخصوص؛ كوجوب نفقة الزوجة، وصحة البيع وعدم صحة عقد الصبي، والمجنون، وعدم إرث الزوجة من العقار.

والمقصود من العنوان الاولي يقرب مما عبّر به المنطقيون بالوصف العنواني و يعنون به الوصف الذي يتصف به الشيء قبل اتصافه بكل وصف آخر كانسانية الانسان، وكون البيع بيعاً أو الزوج والزوجة زوجاً وزوجة.

اما القواعد الفقهية ــ فهي المسائل التي تكون على سبيل منع الخلوّ واجدة لأحد شرطين:

أحدهما ــ أن يكون موضوع المسألة عنواناً ثانوياً للأفعال أو لسائر موضوعات المسائل كقواعد وجوب الوفاء بالعقود أو الشروط، ولاضرر، ونفي الحرج، ورفع الاكراه والاضطرار ونحوها.

الثاني ــ أن لايكون موضوع المسألة عنواناً خاصاً لفعل أو شخص بل يكون موضوعها أمراً شاملاً لموضوعات مسائل فقهية عديدة كقاعدتي ما يضمن وما لايضمن، فان القاعدة الاولى تشمل عقوداً متعددةً من قبيل البيع والاجارة (بالنسبة الى المنافع) والصلح والهبة المعوضة والمزارعة والمساقاة والجعالة والوكالة بعوض المسابقة وغيرها كما ان القاعدة الثانية أيضاً تشمل عقوداً عديدة من قبيل الهبة والصلح بلا عوض والوكالة والوديعة والمضاربة (بالنسبة الى رأس المال) والاجارة (بالنسبة الى العين المستأجرة) وغيرها. وكأصالتي الصحة واللزوم وقواعد أُخر.

ويمكن إرجاع الشرط الثاني الى الشرط الأول أيضاً إلا ان في الشرط الأول عنوان موضوع القاعدة مشخص بخلاف الشرط الثاني.

تقرير موجز عن الملتقى السابع عشر للفكر الاسلامي
المنعقد في الجزائر في مدينة قسنطينة
من (١٩ــ٢٦ يوليو ١٩٨٣م)
الموافق (٨ــ١٥/ شوال/١٤٠٣هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

دأبت الجزائر بُعَيْدَ استقلالها عن الاستعمار الفرنسي على عقد هذا الملتقى كل عام في احدى المناطق الجزائرية.. وقد عقد هذا العام في مدينة قسنطينة وهي من أقدم المدن الجزائرية واجملها.

ويمتاز الملتقى بما يلي مما يكسبه أهمية خاصة:

اولا: تاريخه الممتد الى سبعة عشر عاما مما يمنحه مكانة خاصة في الفكر الاسلامي، و يعطيه صفة مجمع مؤثر سدَّ بعض الفراغ في هذا المجال.

ثانيا: تنوع المفكرين الحاضرين فيه حيث يلتقي فيه اساتذه من شتى انحاء العالم وفيهم علماء وفقهاء ومفكرون ودعاة معروفون كالشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالمنعم النمر، والشيخ يوسف القرضاوي، والدكتور سعيد رمضان البوطي، والاستاذ محمد سلام مذكور، والاستاذ روجيه غارودي، والدكتور عماد الدين خليل وغيرهم.

ثالثا: الحرية التي يتوفر عليها لقول الحق وإبداء الرأي بصراحة.

رابعا: حضور عدد كبير من الطلاب الجزائريين من شتى انحاء الجزائر الامر الذي يكسبه صفة جماهيرية تقريبا.

خامسا: نقل ما يدور فيه من أفكار عبر الاذاعة المسموعة والمرئية الى

الشعب الجزائري وعبر ما ينشر من مجلات وصحف عالمية الى العالم الاسلامي.

فاذا اضفنا الى العوامل السابقة طبيعة الشعب الجزائري المسلمة المتعطشة للعلم والنهضة، وجو الصحوة العام الذي يسيطر عليه وعلى العالم الاسلامي، وما حدث في المؤتمر من طرح للآراء المختلفة ومناقشة لها. وخصوصا بعد ان كان موضوعه هذا العام (الاجتهاد) إذا أضفنا كل ذلك عرفنا جانبا كبيراً من الأهمية التي يتمتع بها هذا الملتقى المهم.

عناوين المقالات التي اعدت للملتقى:

هذا وقد اعد الذين دعوا للاشتراك في المؤتمر مقالات متنوعة حسب اختصاصاتهم بحيث لم يتسع وقت المؤتمر لإلقائها كلها مما دعا إلى تقليل وقت الحديث واكتفاء الكثيرين بالفهرسة لمقالاتهم واعطاء نبذة عنها وترك الباقي للمطالعة وذلك كما فعل اعضاء الوفد الايراني.

وهذه قائمة ببعض الموضوعات المقدمة للمؤتمر:

١ــ الاجتهاد ــ حكمه، مجالاته، حجيته، اقسامه	الدكتور البوطي
٢ــ الاجتهادــ حكمه، مجالاته، حجيته، اقسامه	الدكتور القرضاوي.
٣ــ الاجتهادــ حكمه، مجالاته، حجيته، اقسامه	الدكتور سلقيني.
٤ــ الاجتهاد في صدرالاسلام.	الشيخ عبدالفتاح ابوغده.
٥ــ الاجتهاد في عهد الصحابة	البروفيسور محمد حميدالله.
٦ــ الاجتهاد في عهد التابعين	الدكتورة وهبه الزحيلي
٧ــ الاجتهاد عند الحنفية	الدكتور يوسف قواقجي.
٨ــ الاجتهادونشأة المذاهب الفقهية	الشيخ ابوالحسن الندوي.
٩ــ منهجية الاجتهادفي المذهب المالكي	الشيخ احمد حماني.
١٠ــ حول الاجتهادفي مدرسة اهل البيت	الشيخ محمدعلي التسخيري.
١١ــ قياس الاستنباط المنطقي في الفقه	الدكتور ابوالقاسم كرجي
١٢ــ الاستدلال عند الأئمة الاربعة	الدكتور عمار الطالبي
١٣ــ محاولات الاجتهاد من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر	الدكتور صبحي الصالح
١٤ــ الاجتهاد في القرن الاخير	الدكتور عبدالمنعم النمر.

١٥ــ الاجتهاد في العصر الحديث — الشيخ محمد ابوشهبة (توفي عشية المؤتمر).

١٦ــ الاجتهاد في العصر الحديث — الشيخ حاج توري.

١٧ــ الاجتهاد ودور الفقه في حل المشكلات — الدكتور مصطفى الزرقا

١٨ــ اهمية استثمار الخطط المنهجية في الاجتهاد على الوقائع — الدكتور محمدسلام مذكور

١٩ــ حتمية الاجتهاد — الدكتور عماد الدين خليل

٢٠ــ نحو اجتهاد متحرك — الشيخ محمد الغزالي

هذا وكما نلاحظ فقد شاركت الجمهورية الاسلامية الايرانية في المؤتمر بموضوعين هما: (قياس الاستنباط المنطقي في المجال الفقهي) للدكتور ابوالقاسم كرجي، و(الاجتهاد في مدرسة اهل البيت(ع)) للشيخ محمد علي التسخيري. وقد قامت منظمة الاعلام الاسلامي ــ قسم العلاقات الدولية ــ بايفادهما الى الجزائر.

وقد تناول الموضوع الذي قدمه الشيخ التسخيري ما يلي:

أ ــ التعريف بالاجتهاد، والتفريق بين الاجتهاد بمعناه العام المقبول وهو (بذل الوسع لتحصيل الحجج على الاحكام الشرعية او الوظائف العملية شرعية او عقلية)، والاجتهاد بالمعنى الخاص (وملخصه جعل الرأي الانساني مصدراً من مصادر الفقه).

والتأكيد على رفض المعنى الخاص من جهة، وانفتاح باب الاجتهاد دائماً لدى مدرسة أهل البيت بالمعنى العام.

ب ــ ضرورة الاجتهاد المستمر، ورفض أي اغلاق له، وعدم وجود أي مبرر لذلك.

جـ ــ أخطار الاجتهاد: وأهمها تسرب العنصر الذاتي للمجتهد وكيف يمكن تفاديها.

د ــ لمحة تاريخية عن الاجتهاد في مدرسة اهل البيت(ع). متى بدأ؟ وماهي مميزاته؟ وماهي مراحله بشكل عام؟.

هـ ــ خصائص المدرسة الاجتهادية الحديثة من:

المنهجية الدقيقة،

والعمق الفني،
والاستيعاب التقريبي للعناصر المشتركة في العمليات الفقهية،
والاتجاه الاجتماعي بعملية الاجتهاد.

و ــ الاجتهاد والثورة الاسلامية حيث تم الحديث عن الدور الذي لعبه هذا العنصر (وخصوصاً انفتاح الباب فيه) من التمهيد للثورة الاسلامية المباركة من خلال:

ــ نشر الوعي لتعاليم الاسلام،
ــ وبعث العاطفة الاسلامية،
ــ وخلق الانشداد القوي الى قيادة الامام الخميني الرائدة.

وقد ذكر هنا الخصائص التي منحت الاجتهاد هذه الاهلية ليقوم بهذا الدور العظيم.

ز ــ وأخيراً عرض بعض المواد التي تتعرض لدور المجتهد في الدستور الاسلامي.

هذا وقد قدم الوفد بعض الايضاحات حول المسائل التالية:

مسألة الحجاب، مسألة النظر الى الله تعالى، مسألة الحكم الاسلامي، مسألة البنوك الاسلامية والغاء الربا، أهمية الملتقى في رفع الكثير من سوء التفاهم حتى في الاصول الفقهية كالاستحسان والمصالح المرسلة، لزوم تحرر الفقيه سياسياً وفكرياً، مسألة ابتناء الاحكام الاسلامية على المصالح والمفاسد الواقعية، الاستفادة من المنطق في عملية الاستدلال، فكرة جواز المصافحة مع النساء، وأمثال ذلك.

وبالمناسبة فان بعض الاساتذة طرح هذه الفكرة مدعيا عدم الدليل على حرمتها فنوقش الامر معه على ضوء:

أ ــ ما هو الظاهر بالاولوية من دليل وجوب الغض وحرمة التركيز في النظر فان النهي عن المصافحة أولى عند العرف فيكون ظاهراً فيه.

ب ــ وإجماع الفقهاء على الحرمة.

وسوف يتم العمل على تقديم دراسةٍ بذلك.

النشاطات الاخرى

هذا وقد وفق الوفد للقيام بنشاطات أخرى منها:

أ ــ الالتقاء بالشباب الجزائري المتعطش للمعرفة الاسلامية، والاستماع الى اسئلته المختلفة حول الجوانب العقائدية والسياسية والوضع الاجتماعي في ايران، وما يشاع من أمور عن الثورة الاسلامية ومكتسباتها، وما يتخوفون منه على مستقبلها، و يعودون فرحين تماما حين يتلقون الاطمئنان على مستقبلها الزاهر.

ان الشباب الجزائري ليشعرون تماماً بأنهم جزء من الثورة وأنهم يجب أن يحموا ظهرها و يقدموا لها ماتريد، ولذلك تجدهم في كل مرة يعرضون شتى خدماتهم وإمكاناتهم في هذا السبيل.

والواقع أن الانسان لا يستطيع أن يعبر عن مشاعر الشباب الجزائري المسلم أصدق تعبير مهما أوتي من براعة.

ب ــ الالتقاء باعضاء الوفود الاخرى؛ فقد تمت لقاءات كثيرة بالاخوة المفكرين الذين حضروا من أنحاء العالم وربما طال بعض هذه اللقاءات الى مدة معتدٍّ بها، وقد تناولت احاديث هذه اللقاءات شتى المواضيع:

وكان اكثر التساؤلات يطوف حول الحرب والاهداف المتوخاة واستراتيجية الجمهورية الاسلامية مع اجماع تام على انحراف العصابة الصدامية عن الصراط السوي وعمالتها للكفر العالمي وتوجيه اللوم لتلك الدول التي تقف الى جانبها وتمدها بالمال والحياة.

كما كانت بعض المسائل العقائدية والفقهية المختلف عليها تطرح بروح أخوية و يسير البحث فيها بكل هدوء وسعي للحقيقة.

و بين الحين والحين كنا نطرح بعض الأسئلة عن وضع المسلمين في منطقة من نتحدث معه مما كان يزيدنا معلومات عن وضع اخوتنا فيها.

كما ان الكثير من هؤلاء المفكرين وكذلك الطلاب كانوا يقترحون علينا مقترحات مختلفة. منها:

١ ــ لزوم الاتصال الاكثر بالعالم الاسلامي والمذاهب الفقهية المختلفة وتوضيح حقيقة المواقف المتخذة خصوصا مع هذا التشو يه الاعلامي الضخم ضد الثورة الاسلامية.

٢ ــ نوعيـة العلاقات السياسية التي ينبغي ان تسلكها الثورة الاسلامية لكـي تحقق ما يصبو اليه المسلمون في كل مكان من الشعور بآلامهم والعمل على تحقيق آمالهم.

٣ ــ فتح باب الالتحاق الأوسع بالجامعة العلمية في قم المقدسة للطلاّب المسلمين من شتى أنحاء العالم.

٤ ــ موضـوع الاهـتـمام بدعوة الشخصيات الاسلامية وإعطائها الحفاوة اللازمة وفسح المجال لها كي تقوم بالاطلاع على الحقيقة.

وغير ذلك من المقترحات المفيدة.

هـذا وقـد كـانـت هـنـاك لـقـاءات عـامة اخرى الا أننا في الواقع لم نجد الفرصة الكافية للاتصال بالشعب في المساجد الامر الذي كنا نقوم به في كل عام ولعـل ذلـك لتأخر وصولنا فقد كانت الدعوة الموجهة الينا تقول ان المؤتمر يبدأ من (٢٤/ يـولـيـو) ولـكن الموعد كان قد تغيير الى (١٩/ يوليو) ولم يحصل لنا العلم به وعلى اي حال فقد امكننا حضور قسط جيد من المؤتمر.

اختتام المؤتمر

هـذا وقـد تم اخـتـتـام المؤتـمـر بـكـلـمـة وجهها مندوب لبنان نيابة عن المؤتمرين وقد جاء فيها:

«لـقـد بحث هذا الملتقى أعظم شأن من شؤون البناء الداخلي لهذه الأمة، وهي مسألة الاجتهاد في الشريعة الاسلامية».

وكـذلـك «ان المسلمين يمثلون أمة حضارية وثقافية في العالم الحديث كما كـانـوا في المـاضـي، وان جمـيـع الـنكبات التي أنزلها الاستعمار بالمسلمين بصفتيه القـديمة والجديدة، وجميع عمليات التهشم السياسي، و التزوير الثقافي، والتغريب الحضاري، لم تفلح في تحطيم الوحدة الاسلامية».

كما القى وزير الشؤون الدينية كلمة جاء فيها:

«فـبـتـعـاون الـكـفـاءات نوفر اسباب النجاح لأعمالنا، و باحترام الآراء نـضمن ازدهـار مـواهـبـنـا ومـلـكاتنا، و بضبط شروط المجتهد وتوضيح صفاته نعيد للاجتهاد مـكـانـتـه وحـرمـتـه، ونـقـضي على الفوضى التشريعية التي تتخبط فيها مجتـمـعاتنا الاسلامية ونُقصي عن سـاحته الطفيليين المتعيلمين الذين لا يجوز لهم

الكلام في الدين، فضلا عن الاجتهاد في شريعة الله، والمنحرفين الذين يتخذون الاجتهاد وسيلة للتخفيف من التكاليف الشرعية ويمنحون للناس رخصاً يحللون بها ما حرم الله».

بعض توصيات اللجان

وقد أوصت اللجنة الاولى بما يلي:

١ ــ التحذير من الاجتهادات المخطئة التي لم تتوفر لأصحابها شروط الاجتهاد وهم لذلك غير مؤهلين، ولا تعتبر أحكامهم شرعية.

٢ ــ التأكيد على أن الاجتهاد لا يكون في مورد النص الصريح الصحيح في الكتاب والسنة، ولا فيما استقر عليه إجماع الأمة الاسلامية.

٣ ــ وجوب قيام علماء المسلمين بواجبهم في مجال استنباط الحكم الشرعي لمواجهة القضايا والتحديات التي تفرضها الحضارة المعاصرة، ووجوب اعلان: أن لا اجتهاد لمن لم تتوفر له شروطه المذكورة في الفقرة الثانية من هذا التقرير.

٤ ــ العمل الجاد على توضيح مناهج المجتهدين، وخاصة اصحاب المذاهب المعتمدة، وتحديد مواطن اللقاء والاختلاف في أصولهم، وإثرائها بالاستفادة من مناهج البحث الحديثة.

٥ ــ دعوة الامة الاسلامية الى العناية الكاملة بوضع المناهج الدراسية للعلوم الشرعية واللغة العربية، الى جانب العلوم الاخرى، باعتبارها أدوات ضرورية وملحة لتكوين العالم المجتهد: واستخدام أحدث وأنجع وسائل التربية والتعليم في كافة المستويات، لتحقيق هذا الغرض.

٦ ــ مناشدة الأمة الاسلامية الرجوع الى المختصين من العلماء في كل ما يجدُّ من مشكلات العصر، واستفتاؤهم لمعرفة حكم الله فيها، فالرجوع الى ذوي الاختصاص في علوم الدين واجب لايقل في أهميته عن الرجوع الى أهل الاختصاص في المجالات الاخرى.

٧ ــ ضرورة ارتفاع العلماء والقضاة والمفتين والمرشدين الى مستوى الأحداث والقضايا والأوضاع التي يعيشها المسلمون، وعليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم نحو دينهم وأمتهم ومصير الأجيال المسلمة أمام الله عزوجل، فيتخيرون

لحل مشكلات العصر من الأحكام الشرعية أوفق ما يجدونه في الفقه الاسلامي لمختلف المذاهب الاسلامية المعتمدة.

٨ ــ مناشدة الدول الاسلامية اعتماد الشريعة الاسلامية مصدر التشريع في كافة قوانينها.

وسجلت اللجنة الثانية ما يلي:

أولا: فيما يتعلق بتقويم محاولات الاجتهاد الفردي والجماعي التي ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري:

١ ــ الاعتزاز بما قامت به الحركات الاصلاحية الفردية والجماعية من اثارة روح التجديد والاجتهاد في ضوء كتاب الله العزيز والسنة النبوية الشريفة ومواكبة التطور العلمي والحضاري.

٢ ــ تقدير الدور الحيوي المهم الذي تجلى في نشاط العلماء والباحثين في اعداد وسائل الدراسات العليا المتنوعة في نطاق الدراسات المقارنة وفي نمو حركة التأليف بالمنهج العلمي الحديث لتطوير الفقه الاسلامي والافادة من تاريخ التشريع وأصول الفقه والقواعد الشرعية الكلية.

٣ ــ الاشادة بتقنينات الأحوال الشخصية في بعض البلاد الاسلامية المستمدة من أحكام الشريعة المبنية على استنباط سليم لدعم نظام الأسرة المسلمة.

٤ ــ تشجيع المبادرات والجهود المبذولة لجعل القانون المدني والجزائي مستمداً من أحكام الشريعة الاسلامية، والدعوة الى تعميم مشروعات القوانين على بقية بلدان العالم الاسلامي، بالاعتماد على مبدأ الاجتهاد الجماعي والفردي، والاستفادة من مختلف المذاهب الفقهية الاسلامية، والاستجابة لتطلعات المسلم المعاصر.

٥ ــ دعم ما تقوم به بعض الجامعات العالمية من إحداث مقاعد للدراسات الاسلامية والعمل على إسناد مهام التدريس فيها الى اختصاصيين مسلمين ثقات.

ثانيا: وأما ما يتعلق بالشطر الثاني من موضوع اللجنة وهو:

حاجة المسلمين الى الاجتهاد في قضايا معاصرة، فان اللجنة توصي بما يلي: ــ

١ ــ التأكيد على أهمية الاجتهاد بوصفه ضرورة ملحة في هذا العصر.

٢ ــ العمل على توفير روح الانسجام والتنسيق بين المجتهدين أفراداً و بين المجامع الفقهية في البلاد الاسلامية، والإفادة من مجهوداتها وضمان فعاليتها، ونشر نتائج اجتهاداتها بمجلة دورية خاصة.

٣ ــ الالحاح على وضع نظرية متكاملة في الاقتصاد الاسلامي لحماية مصلحة الجماعة. والاستفادة من قدرات الفرد وصيانة حقوقه ومبادراته الايجابية، وفقا للمبادئ التالية: ــ

أ ــ تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية.

ب ــ تعميق ثم تعميم تجربة المصارف الاسلامية والتأمين الاسلامي، ودعمهما في مختلف المجالات في الداخل والخارج.

ج ــ الانطلاق من مبدأ الحلال والحرام في قضايا الغذاء والمشروبات.

د ــ دعوة العلماء الى الاجتهاد من اجل ايجاد الحلول الشرعية لمشكلة الذبائح واللحوم في موسم الحج، لسد حاجات الفقراء وتفادي اتلاف الاموال واهدارها.

٤ ــ الافتاء الجماعي المبني على التشاور في مشكلة بعض العمليات الجراحية المستجدة، لنقل او زرع بعض الاعضاء من شخص لآخر، بما يتفق مع حق الحياة المقدس. والحفاظ على كرامة الانسان التي هي أحد مقومات الشريعة الاسلامية.

٥ ــ الارتفاع بمستوى الاجتهاد عن الخوض في بعض الامور الثانوية، والتصدي للقضايا المهمة التي تواجه المسلمين في بلادهم وفي البلاد الاخرى غير المسلمة.

٦ ــ التعجل بانجاز موسوعة الفقه الاسلامي، وتحديد مدة قصيرة لاخراجها وتسهيل توزيعها.

٧ ــ احداث كليات أو معاهد للفقه المقارن، وتزويدها بالمصادر اللازمة لها، واتباع الطريقة الحديثة في بيان أحكام الفقه، وفهرسة مصطلحاتها، طبقا للنظام الالهي.

٨ ــ احياء دور الجامعات الاسلامية العريقة، باعتبارها مراكز اشعاع حضاري قوي، ودعمها باحداث جامعات متخصصة للعلوم الاسلامية ومعاهد شرعية، والعمل على اعداد المدرسين الاكفاء لها.

وانتهت اللجنة الثالثة الى تبنّي التوصيات التالية:ـ

١ ـ ان الملتقى السابع عشر للفكر الاسلامي، إذ يُحيِّي المبادرة الطيبة المتمثلة في تأسيس المجمع الفقهي الاسلامي في مكة المكرمة بقرار من مؤتمر القمة الاسلامي الثالث يدعو، بالحاح، الى منح هذا المجمع كافة الوسائل المادية والضمانات التي من شأنها ان تحفظ له استقلاله في العمل، وتحميه من كل انواع الضغوط والتأثيرات، وتوفر لاعضائه جواً من الحرية الفكرية الكاملة، ليتمكن من ايجاد حلول شرعية لمشكلات المسلمين بما يرضي الله ورسوله.

٢ ـ وضع منهجية جديدة للدراسات الاسلامية تؤدي الى تحقيق الاجتهاد الفقهي وتيسير السبل اليه.

٣ ـ صبغ العلوم الانسانية كافة بصبغة اسلامية، وتشكيل اللجان المتخصصة لوضع المناهج الكفيلة بتحقيق هذه الغاية.

٤ ـ تدريس العلوم الاسلامية الضرورية من عقيدة، وفقه، وثقافة اسلامية، وغيرها، بمنهج علمي محكم، في مختلف مراحل التعليم، مع عناية خاصة بالقرآن الكريم وعلومه، و بالحديث الشريف والسيرة النبوية المطهرة.

٥ ـ السعي الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في جميع مناحي الحياة، باعتباره أهم عامل في تنشيط حركة الاجتهاد.

٦ ـ القيام باحصاء الكفاءات العلمية الاسلامية في سائر فروع المعرفة، وعقد ندوات دورية لهم لتحقيق التعارف والتعاون فيما بينهم، وتبادل الخبرات، ودراسة افضل السبل للاستفادة المثلى من اختصاصاتهم، والتخطيط لمعالجة قضايا الأمة المعاصرة.

٧ ـ العمل على إنشاء جامعة اسلامية عالمية للدراسات الفقهية العليا.

٨ ـ العمل على تفقيه عامة المسلمين بدينهم وتسخير كافة وسائل الاعلام الممكنة والتلفزة خاصة لتحقيق هذا الهدف.

٩ ـ إنشاء مكتبات فقهية ومراكز للابحاث الفقهية مزودة بجميع الامكانات المعاصرة، وحصر امهات المراجع والكتب الاسلامية، وفهرستها فهرسة آلية، وتصنيفها بشكل ييسر للباحثين في شتى فنون المعرفة مهمة الاطلاع على كنوز المعرفة الاسلامية.

١٠ ـ الاهتمام بفتح مراكز للابحاث، مهمتها توفير الكتاب الدراسي

الجامعي الاسلامي، في سائر الدراسات الانسانية، يعتمد في إعداده على أصول الاسلام وقواعده وكلياته، ويحقق غاياته.

١١ ــ اعادة كتابة العلوم الاسلامية، وفي مقدمتها علم (اصول الفقه)، بأسلوب ميسر، باعتباره من أهم العلوم التي يعتمد عليها الاجتهاد.

١٢ ــ اعداد كتب فقهية تعتمد منهج التدليل والتعليل، وذكر الخلاف، والمقارنة بين المذاهب، اسهاما في ايجاد العقلية الفقهية المتحررة من التعصب المذهبي، واشاعة آداب الاختلاف.

١٣ ــ مناشدة الجامعات في البلاد الاسلامية أن تلتزم في مناهجها عدم الفصل بين العلوم الاسلامية والعلوم الأخرى، وفقاً للنظرة الاسلامية الشاملة الموحدة.

١٤ ــ وضع مادة «الاجتهاد» ضمن مواد الدراسة في الكليات والمعاهد الجامعية، لتزو يد الدارسين بما يعمق معارفهم الفقهية في الاجتهاد.

١٥ ــ دعوة المجمع الفقهي والهيئات الاسلامية الى تخصيص جائزة علمية كبرى للعلماء المجتهدين الذين يحققون نتائج معتبرة في مجالات الفقه بوجه خاص، والمجالات العلمية الاسلامية بوجه عام.

١٦ ــ التأكيد بأن مجال الاجتهاد هوما لم يكن فيه دليل صحيح الثبوت صريح الدلالة من الكتاب والسنة، بناء على قاعدة: «لا اجتهاد مع النص».

١٧ ــ التذكير بأن الآراء الاجتهادية المبنية على أعراف أو مصالح زمنية هي التي يمكن ان تتغير بتغير الزمان، والمكان، والعرف، والحال.

١٨ ــ اعتماد الاجتهاد الجماعي دعماً للاجتهاد الفردي الذي قد لا تتوفر له الضمانات الكافية. والذي قد يكون عرضة للجنوح والخطأ.

١٩ ــ الترخيص لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الشرعية أن يتبع اماما من أئمة الفقه، مع استحسان تعرفه على أدلة إمامه قدر المستطاع.

على هامش الملتقى

وفي ختام هذا التقرير الموجز نود ان نذكر النقاط التالية:

اولاً: ان كل من التقينا به من الاساتذة والطلاب وعامة الشعب هؤلاء

جميعا كانوا يؤكدون عمالة صدام وانحرافه، ولم نلتق بواحد يدافع عنه حتى جدلاً، وانما المسألة الغامضة لدى بعضهم هي الحرب، ودماء المسلمين وحين كنا نوضح لهم الموقف بملاحظة النقطتين المهمتين التاليتين كان الموقف يتوضح أمامهم بشكل تام وهما:

الاولى: دموية صدام وخروجه عن الطبيعة الآدمية وتحوله الى وحش يهدم البيوت بصواريخ (١٢م) و يقصف مقيمي صلاة الجمعة، و يذبح الالوف و يذيب أبدانهم في أحواض الأسيد.

والثانية: كونه آلة بيد الاستعمار يحركها متى شاء، وهو الآن يشعر بانتصار الاسلام، فيعمل جاهداً على ان يسلم له عميله، ولكن شعبنا لن يدعه حتى يقطع ذراعه الخبيثة هذه.

وما انتصاراتنا قبل ايام في المنطقة الشمالية إلا دليل على ذلك الإصرار..

ثانيا: الملاحظ يجد ان الثورة الجزائرية قامت على اساس العقيدة والعاطفة الاسلامية الاصيلة، وكان العلماء من امثال الشيخ عبدالحميدبن باديس والشيخ البشير الابراهيمي وزملائه من قادة الحركة الاصلاحية المتأثرة بحركة المرحوم الافغاني والمرحوم عبده، كان هؤلاء في طليعة الثوار والمحرضين على الثورة ولقد كان المليون والنصف شهيد يستشهدون مكبرين معلنين اسلامهم.

ولا غرو فالصفاء الاسلامي في الجزائر مما يعشقه المرء، وربما كان هذا هو السبب في تصريحات المسؤولين وعمل الجزائر على اقامة هذا الملتقى.

الا أننا نوجهها كلمة محبة واخلاص للمسؤولين في الجزائر الشقيقة كي يسعوا جادين للقضاء على المظاهر اللااسلامية الكثيرة التي شاهدناها من:

الخلاعة التي لاحد لها في مجال اللباس النسوي في الشوارع وعلى الشواطئ

والبرامج التي لا يرضاها الاسلام في التلفزة والمذياع.

ومحلات القمار والرقص الداعر والخمر المنتشرة هنا وهناك .

ومن الكتب والمقالات المنتشرة التي لا تنسجم مع الروح الاسلامية و يا حبذا لو رأينا صحف الجزائر زاخرة بالدعوة الى الاسلام ومبادئه الحنيفة.

كما نرجو ان يتم العمل على فتح المعاهد الاسلامية الحرة، وان تؤدي صلوات الجمعة وخطبها دورها الاسلامي الرشيد البناء لتربية جيل اسلامي

ثوري فعّال يعمل على تطبيق الاسلام على كل مناحي الحياة، وهذا ما توحي به بعض تصريحات الرئيس الشاذلي بن جديد و يؤكده المسؤولون في وزارة الشؤون الدينية فنرجو ان ينزل الى حيز التطبيق.

والواقع ان مجتمعاتنا في كل الاراضي الاسلامية مبتلاة بمثل هذه الامراض الخبيثة، وهي امر قبيح، الا ان الاقبح منه سكوت العلماء والدعاة الذين تسلموا الامر في هذا العصر عن مثل هذه الانحرافات وعدم المبالاة بوجودها، ولا ادري كيف يدعي الانسان الاسلام، وهو يرى الله يعصىٰ جهاراً في بلد الاسلام، ولا يعترض، بل لايسخّر وجوده للاعتراض.

ان الله قد اخذ على العلماء ان لا يقاروا على كضة ظالم ولاسغب مظلوم، وانحراف منحرف، وهتك حرمة، فَلِمَ السكوت بل والتبرير احيانا؟ وهاكم جريمة السادات اللعين بالذهاب الى اسرائيل وتبرير بعض مشايخ السوء لهذه الجريمة بألف دليل ودليل، وعلى وزن السادات الحكام الآخرون الذين تحولوا بين عشية وضحاها الى فقهاء يفتون بما يشاؤون وعدتهم هي السيف والخديعة بدلا من الفقه والشريعة.

ولايفوتنا هنا الحديث عن الحجاب، هذا الحكم الاسلامي المنسي في كثير من المناطق الاسلامية وكأنَّ الاسلام لم يأت به.. ان عملية نبذ الحجاب تجاوزت كون تركه صغيرة، فشكلت عملية تحد له واصرار ضده والاصرار على الصغائر كبائر بل تجاوزت الى انكاره وهو ضرورة فقهية اسلامية لا تنكر فماذا يقول علماؤنا وامامهم هذه الظاهرة؟ بل هم يشهدونها في المعاهد التي يشرفون عليها والمؤتمرات التي فيها يحاضرون؟ ولماذا التهاون والأمة مستعدة للرجوع الى اسلامها، وظاهرة الحجاب تنتشر ربما بتأثير من العقيدة الاسلامية التي عادت حية والثورة الاسلامية ومفاهيمها المنتشرة وقد وقفت في المؤتمر فتاة في الصف السادس من الكلية الطبية معلنة ان حجابها منحها قدرة اكبر على مواصلة الدراسة بكل جدية ولم يمنعها عن أي شيء صحيح فشكلت أروع مثل يدفعنا معشر العلماء للتأكيد على نفي هذه الظاهرة، وقد دعونا الى تطهير جو الملتقى على الاقل من غير المحجبات وأيدنا الطلبة وكثير من الاساتذة الا ان البعض أجازوا ذلك مع الاسف بحجة ان مثل هذه الاجتماعات تعقد في اوربا وامريكا فهل تمنع السافرات من حضورها؟ وهو قياس مع فارق ونحن في مؤتمر علمي فقهي اسلامي في ارض

اسلامية.

ان الثورة الاسلامية لتفتخر بجد في أنها طبقت هذا الحكم الاسلامي الاصيل وعمّمته على كل شؤون المجتمع فكانت الارض الايرانية هي الارض الوحيدة التي طهرت من هذه المعصية الى الحد الممكن.

ثالثا: ــ ولحظنا في المؤتمر نزعات مختلفة، ومستويات متفاوتة مما كان ينتج احيانا عدم انسجام واضح بين أستاذ لا يعرف من الفقه شيئا يحاول طرح رأي فقهي ،وآخر فقيه لم يَعِ جوانب الحياة العملية يقع في مداخل هو في غنى عنها.

الامر الذي تركنا في حيرة وتساؤل عن السبب الذي دعا المشرفين على الملتقى لمثل هذه الدعوات رغم شكرنا الجزيل لجهودهم الجبارة في هذا الصدد.

ولكن من المؤلم حقا هو ما اشرنا اليه من قبل وهو ان تتحول الدعوة الى فتح باب الاجتهاد ــ وهي دعوة مقدسة، عمل مذهب اهل البيت(ع) على تبنيها والعمل بها منذ اليوم الاول ــ ان تتحول الى دعوة لإعمال الاهواء والنزعات والظن، واستنباط العلل الوهمية او المظنونة وتعميمها، وجعل مسايرة التطور الحديث في شكله الاجتماعي أصلاً لا يُحاد عنه، وعلى الشريعة مهما كان الامر ان تنسجم معه والا فما معنى:

الدعوة الى ان يسمح الفقهاء بصلاة الجمة يوم الاحد في امريكا باعتبار ان الناس مشغولون يوم الجمعة.

والدعوة الى القول بالبنوك الربوية واقعاً قائماً لايمكن استبداله،

والدعوة الى جواز المصافحة لأنه لايمكن التفريق فيها بين الرجال المستقبلين والنساء المستقبلات،

وفسح المجال لغير الفقهاء ليبدوا آراءهم في المسائل بحجة ان الفقه للجميع او غير ذلك من الدعوات التي لا تعبر الا عن انهزامية مزيفة.

والواقع اننا نحذر السادة من العلماء الراغبين الى فتح باب الاجتهاد ــ رغم ان اصل دعوتهم جيد وضروري بلاريب ــ ان يضعوا موازين وقواعد تمثل الحد الادنى الذي ينبغي ان يلتزم به اوعلى الاقل ان يفتحوا حوارا علميا لمعرفة هذه الاسس الاجتهادية وهذا هو نفس ما اكدته قرارات وتوصيات المؤتمر.

واننا لندعوهم مخلصين الى دراسة ما توصلت اليه المدرسة الاصولية الحديثة لدى الشيعة ليجدوا كنوزاً من الفكر والدقة والعمق ، مما أبقى باب الاجتهاد

مفتوحاً لديهم بشكل دائم دون ان يؤدي ذلك الى هذا التسيب الذي نشهده في بعض المناطق.

والواقع ان علماء الفريقين مدعوون للتعرف الاكبر على بعضهم البعض واكتشاف الكنوز لدى كل فريق فان فيه خير المسلمين وصلاحهم.

كما ينبغي نشر علوم اصول الفقه وكتبه وتعميمها فان فيها الكثير من الصيانة من التسيب الملحوظ.

كما ندعو الى نشر ثمار التجربة الاسلامية في مجال القضاء على المفاسد الاسلامية (القمار، الربا، الخلاعة، السفور..) تنبيهاً للمسلمين بإمكانيات تطبيق الشريعة واساليبه المفضلة.

لقد كان غريبا علينا ان يدعي مفكر معروف في الملتقى انه لم يطلع على كتاب او اطروحة في البنك اللاربوي لحد الآن في حين ان الشهيد آية الله الصدر كان قد طبع اطروحته سنة ١٩٦٨ م أي قبل اكثر من (١٥) عاماً!!

وقد ثارت حول هذه المسألة نقاشات حول الصعوبات التي تواجهها البنوك اللاربوية في مجتمعات تتعامل بالربا وقد أوضحنا في قبال ذلك ان الاسلام يستطيع ان يضع اطروحته اللاربوية حتى في مثل هذه الظروف الربوية ولكن الاسهل والاجدى ان يتم التغيير الجذري باقامة الحكم الاسلامي النظيف ومن ثم فما اسهل العمل على الغاء الربا في المجتمع الاسلامي بتمامه وهذا ما قامت به الجمهورية الاسلامية الايرانية وننتظر ان يطبق مشروعها تطبيقاً كاملاً مشكلاً نموذجاً يحتذى في كل البلاد الاسلامية.

رابعا: تشكل هذه الملتقيات جوا جيدا لطرح الكثير من الامور السياسية التي تهم العالم الاسلامي من قريب ومنها مسائل الحرب الظالمة التي شَنَّها العراق على الجمهورية الاسلامية، والمسلمون في الدول الشرقية،

و مشروعات السلام مع العدو الاسرائيلي،

وما يسمى بلجنة القدس.

وقضية الجهاد الاسلامية في العراق،

وكيفية تنسيق العمل على اسقاط نظام الطاغية صدام،

وفكرة تصدير الثورة الاسلامية،

والتآمر السعودي على القضية الاسلامية، وتمهيد السعودية لتقوية

الاستعمار، والعمل الاستكباري على تتويج السعودية خليفة على العالم الاسلامي و وصيته عليه، وغير ذلك.

خامسا: كان الملحوظ هو الجو المؤيد للثورة الاسلامية فلم يكن لأعدائها العملاء كالعراق والسعوية والدول الرجعية الاخرى دور يذكر في مسيرة الملتقى ــ وانما كان الكل يلهج بالثورة الاسلامية ويتسقطون اخبارها ويتساءلون عن الامام الخميني وصحته ويبدون شوقهم لزيارته ويحمّلوننا سلامهم الحار له دام ظله.

وختاماً نسأل الله ان يوفق الامة الاسلامية للانتصار على أعدائها بقيادة الامام القائد الخميني.

سادسا: وجهنا اللوم والتأنيب والتقريع لبعض الذين حضروا مؤتمر بغداد فاعتذروا بأن همهم الاصلاح ولم يدروا أنهم بهذا حاولوا ان يُضفوا اصفة الشرعية عبثا على نظام البعث الدموي الكافر وانهم ساهموا في جريمة قصف المدن الايرانية بعد المؤتمر وقتل كوكبة من العلماء والمفكرين العراقيين نتيجةً لموقفهم السلبي من المؤتمر.

محمدعلي التسخيري

آخر شوال/١٤٠٣

الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامي

الجزائر

٨ ــ ١٤ ذي القعدة ١٤٠٤ هـ

١٠ ــ ١٦ تموز ١٩٨٤م

الصحوة الإسلامية
حقيقتها ــ وأسبابها ــ ودوامها

محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحوة الاسلامية اليوم... حقيقتها، و أسبابها، واستدامتها

يكاد الحديث عن هذا الموضوع يكون من أجمل الحديث، لأنه يتعلق بأهم قضية وأهم ظاهرة تعيشها الامة الاسلامية، كمنعطف في تاريخها المبارك ... وما أجمل ان نركز على قضايانا المعاصرة، من زوايتها العقائدية والحضارية، بدلا من الانخراط في مشاكل عقيمة، بعيدة عن الواقع الذي نعيشه، والاهداف التي نرنو اليها.

وقد اخترت في مجال تناولي هذه الظاهرة المباركة، أن أتعرض لها من الزوايا الثلاث: (الحقيقة، الاسباب، الاستدامة)، تحقيقا للترابط المقوم بين هذه الزوايا، وتأكيدا للنتائج العملية التي يجب ان ننتهي اليها من خلال البحث.

ـ ١ ـ

حقيقة الصحوة الاسلامية

ان من نافلة القول ان نتحدث عن التركيبة الاسلامية ــ ككل ــ، الا ان التذكير بها يحقق تمهيدا جيدا لفهم حقيقة الصحوة الاسلامية.

فالاسلام عقيدة تحدد للانسان موقفه من الوجود والكون والحياة

والانسان، بتاريخه وحاضره ومستقبله.

وتنبثق من هذه العقيدة مفاهيم، تشكل اساسا عمليا واسع الأبعاد.

وعلى اساس من العقيدة والمفاهيم الحياتية، تتخذ العواطف الانسانية مسارا توجيهيا، يختلف اختلافا عنها عندما لا تعيش في هذا الاطار.

وبعد كل هذه الارضية المناسبة يأتي البناء الاجتماعي الاسلامي ليشمل تخطيط الاسلام لكل نواحي الحياة الانسانية.

وحينئذ:

فالمسلم الواعي حقا يتمتع بالعناصر التالية:

اولا: فهم الحقيقة الاسلامية فهما مطرد العمق.

ثانيا: وايمان منطقي بها.

ثالثا: ونفوذ ايماني الى العواطف، وصياغتها الصياغة التي تنسجم بها مع الاسس.

رابعا: وانتهاء الى المجال العملي، الشخصي والعام.

انها العناصر التي يتميز بها المسلم الواعي، والتي يصعد الانسان مدارج الكمال من خلال تأصلها في وجوده وحياته.

وعنصر الفهم

يعم فهم الاسلام ــ اسسا وبناء نظريا ــ من جهة، وفي الاطار العملي التنفيذي من جهة اخرى، واعني بالفهم الاسلامي التطبيقي: فهم التعليمات الاسلامية الهادفة لكيفية ملء المساحة المباحة، او ما اطلق عليها احد كبار المفكرين (منطقة الفراغ)، التي تركها الاسلام للحاكم الاسلامي ليقوم بملئها على ضوء التعليمات، مع ملاحظة المصلحة الاسلامية العليا، والظروف الموضوعية القائمة.

ويعتبر ما يسمى بالعلم اللدني ــ الموحى مباشرة ــ اسمى درجات هذا الفهم، في حين يتلوه في الدرجة ما يتحصل بالاجتهاد الأصيل الصحيح.

اما عنصر الايمان

فهو بدوره متفاوت الدرجة، مما يبرر ان يؤمر الذين آمنوا بالايمان، وتصعيد

هذه الدرجة، أو توسيع المساحة الايمانية، و يشمل الايمان بالموقع المحدد من الكون، والمنطلق الحياتي، والهدف السامي، ونوع السبيل الى الهدف.

واذا ركزنا على الصعيد العاطفي، رأينا نفس التدريج فيه، حتى يصل الامر الى مستوى ان يملأ الحب الإلهي وجود العبد، و يسمو هذا، حتى ليقول الحديث عن الزهراء(ع) تلميذة الاسلام، ان الله تعالى يرضى لرضاها و يغضب لغضبها وحتى يتحول الدين الى حب كله، (وهل الدين الا الحب) كما جاء في بعض الروايات.

ومن هنا يدعى المؤمنون الى تجاوز مرحلة الايمان العقلي المجرد، الى مرحلة الخشوع والتحرك العاطفي. فيقول تعالى:

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق. ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم» (الحديد/١٦).

واخيرا تصل المرحلة الى عنصر العمل، الذي يأتي بشكل طبيعي بعد التحرك العاطفي. ذلك ان الارادة الانسانية هي حصيلة الشوق المؤكد الى حد كبير..

واشد الناس تمزقا في الشخصية: هم أولئك الذين تنفصل اعمالهم عن عقائدهم وعواطفهم، واذكر هنا قولة للفرزدق، قالها بعد ان سأله سبط رسول الله الحسين بن علي (عليه السلام) عن اهل الكوفة فاجاب: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك».

والواقع ان انعدام العمل يشكل قرينة طبيعية على عدم فاعلية الاسس، يقول القرآن الكريم:

«أرأيت الذي يكذب بالدين؟ فذلك الذي يدعُّ اليتيم ولا يحضُّ على طعام المسكين»

بعد هذا التحديد لمعالم الوعي والصحوة، يمكننا ان نشخص تحققها في أيِّ زمان ومجتمع، عبر ملاحظة تحولها الى ظاهرة اجتماعية، وعدم اقتصارها على مجموعة صغيرة. نعم اذا شملت الصحوة قطاعا كبيرا، وتعاطفت معه الاكثرية الجماهيرية المسلمة، امكن ـ بحق ـ ان يتحلى ذلك المجتمع بحالة الصحوة الاسلامية.

هكذا كانت الغفوة

ولقد مرت امتنا الاسلامية بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة، وشملها تخدير وضياع مقيت، يهتزله القلب ألما.

فالفهم **الاسلامي الصحيح** غير متوفر، إلاّ على أصعدة فردية محدودة المجالات، وحينئذ فمن الطبيعي ان لاتجد تعاليم الاسلام المحيية للنفوس مجالها الطبيعي المؤثر في القيام ببناء النفوس و المجتمع.

والتجزيئية: تعمل عملها الخبيث، في تمزيق الفرد المسلم من كل الجهات فهو ممزق في رؤيته الكونية، وقد اراد له الاسلام ان يتخذ رؤية واحدة تجاه الاشياء، وهو ممزق في شخصيته، حائر بين الالتزام بقوانين السماء والاتجاه مع الواقع الفاسد، والولاءات متعددة وآلهة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، واللون، وحتى العلم؛ كلها تشكل مطلقات يجردها الذهن الانساني من نسبيتها، ويمنحها صفة الاطلاق لتشكل بالتالي قيودا على التحرك الحضاري الى الامام، والانشغال بالهموم الضيقة والشخصية هو الديدن العام، وقليل أولئك الذين يفكرون لصالح الامة كل الامة، و يعيشون قضاياها الرئيسية، وجرائم الكفر والانحراف الفكري والخلقي تسود الساحة، فلا تجد امامها من يقف في وجهها.

والروح الحماسية ميتة، إلاّ تعصبا لمال أو تجمع أو مذهب خاص أو حاكم طاغ.

ومن الطبيعي والحال هذه ان تكون هذه القابلية محفزا للاحتلال على مختلف الأصعدة، ومنها الصعيد العسكري.

هكذا كان الحال: و بدأت الصحوة ــ شيئا فشيئا ــ حتى بلغت ما نحن فيه من حال.

ــ ٢ ــ

معالم الصحوة

وقد تمثلت معالم الصحوة اليوم في امور كثيرة، لسنا بصدد استيعابها بقدر ما نحن فيه من الاشارة، حيث نجدها في:

ــ هذا الاتجاه العام نحو تفهم الاسلام ومعرفة جوانبه الحياتية.

ــ وهذا الاتجاه الصارم للقطاعات المختلفة، وخصوصا قطاع الجيل الشاب نحو تطبيق الاسلام على كل شؤون الحياة الاجتماعية والفردية، والنظر للاسلام كمنقذ من كل المهالك والمشاكل التي تورطت فيها مسيرة الامة.

ــ وهذا التفهم الواعي لدور قوى الاستكبار العالمي، في التخطيط لإفناء الشخصية الاسلامية، ثم العمل على امتصاص دمائها.

ــ وكذلك تفهم الطاقات الضخمة التي تملكها الأمة المسلمة، ونوع المرحلة التاريخية التي تعيشها.

ــ وكذلك هذا الترابط الاحساسي والشعوري بين افرادها، حتى ليهتز المسلم اليوم في أقصى المعمورة لألم المسلم في الجانب الآخر منها.

ــ ورغم اختلاف مستويات التخطيط فانها تكشف جميعا عن التطلع والعمل على صنع المستقبل.

ــ وهذه الحرارة الثورية المتصاعدة، والتي راحت تقض مضاجع اللصوص الكبار وتهز عروش العملاء الصغار، وتمزق استار المتسترين والمتبرقعين، انها حرارة الخشوع والتضحية والفداء في سبيل العقيدة، وهي تستمد اوارها من انطلاقة المسلم في الصدر الأول نحو الجهاد في سبيل إعلاء راية الاسلام، ناسيا دنياه ومتعه، في سبيل متعة تحقيق الهدف السامي العظيم.

وأخيرا وليس آخرا

هذا الاتجاه الجماهيري نحو تعميم الاخلاق الاسلامية على المجتمع، ونفي مظاهر الطاغوت والعصيان، اذ رأينا الحجاب الاسلامي يسري سريان العافية في اوصال المجتمعات الاسلامية، ورأينا النفور من مظاهر الخلاعة والخمر والميسر وباقي العادات السيئة، يمثل ظاهرة اسلامية ضخمة.

كل هذا ارعب دهاقنة الكفر وعملاءهم، حتى أيقنوا أن ما كانوا يخشونه قد تحقق، واستعادوا من جديد الى ذاكراتهم قولة غلادستون عن القرآن، كأكبر عنصر دفاعي لدى المسلم، وقولة ديغول حين حذرهم ــ في الاربعينات ــ من هذا العملاق النائم، والذي تداعب خصلات شعره مياه الاطلسي، وتغسل رجليه مياه البحر الهادئ... فراحوا يكررون التحذير.

فهذا وزير الخارجية الامريكي يحذر العالم من اليقظة الاسلامية، وهذا

وزير الخارجية الاسرائيلية يكرر التحذير وهذان العملاقان المتعاديان يضعان يدا بيد لمواجهة المد الاسلامي. لقد اشتد التخطيط لمواجهة هذا السيل الاسلامي العرم، الذي يهدد حضارتهم بالزوال، لأنه يحمل العلاج الناجع، والذي يمزق احلامهم، و يقضي على منافعهم الرخيصة.

و كأنَّ الاستعمار ــ بين عشية وضحاها ــ وجد ان كل احابيله و بؤره السرطانية، التي زرعها في قلب هذه الامة، وكل الآلهة التي نصبها امامها ــ كما اشرنا اليها من قبل ــ وجد هذه الآلهة تتهاوى وتتمزق تماما، كما وجد المبشر المسيحي نفسه في حيرة، عندما حدث بعض المسلمين عن معاجز الرب المسيح فراحوا يصلون على محمد (ص) وآل محمد.

لقد وجد الاستعمار ان القوى والاساطيل الجامدة تذوب عند كل صرخة تكبير يطلقها مجاهد مسلم، واستولى الرعب على الطغاة عندما وجدوا ان القيود والسجون ترتجف، أمام تكبير الاسير المسلم وصرخته الربانية الهادرة.

الاسباب

وليس من الصعب على من ينطلق في تفكيره من زاوية إسلامية موضوعية أن يكتشف اسباب هذا التحول العظيم في حياة الأمة ــ نعم قد يعمى عنها الحوّل القلّب، اما البصير، فلا يشك في كونه لطفا إلهيا محضا، شمل هذه الأمة بعد فترة، وأهلها لأن تطرح نفسها في الساحة العالمية، وتمكن إسلامها من قيادة العالم من جديد، موطئة لليوم الموعود، و يوم «يكون الدين كله لله».

اما العناصر التي أهلت الأمة لشمول اللُّطف الإلهي لها، فهي:

اولا: العمل الدؤوب للعلماء والمفكرين الذين أحسوا بداء هذه الامة، وراحوا يخططون و يرسمون في احداقها سبل العلاج... والواقع ان عمل العلماء انصبَّ على أن يستعيد الاسلام دوره في النفوس والعقول، وحينئذ فهو يتكفل بدفعها نحو سبل السعادة، بما يحمله من طاقات ذاتية، وابداع متدفق يفجر طاقات الفطرة، و يستخرج مكنوناتها، و يستثير دفائنها، واذا تجلت الفطرة النفسية على السطح الحياتي، كان الفلاح كله.

والجدير بالذكر: أن هؤلاء المفكرين لم يستطيعوا ان يحققوا ما حققوا الا بعد ان حرروا نفوسهم من المتع الرخيصة، ونذروا أنفسهم للهدف، وتخلصوا من

قيود التبعية للحكام الذين شكلوا ــ في فترة الغفوة ــ قيودا ظالمة، ومازال الكثيرون منهم يشكلون ذلك ، وإلاّ بعد ان اتصفوا بالعلمية والروح التغييرية الاسلامية معا.

ولن تستطيع كل اساليب التمويه والخداع والاتهام ان تمحو من اسماع الامة صرخات الافغاني، وعبده، والبنّا، وسيد، وعوده، والمودودي، وابن باديس والابراهيمي، والمطهري والصدر، والامام القائد الخميني، بعد ان أدت دورها العظيم في تحقيق هذه الصحوة المباركة.

ثانيا: الدور الرائع الذي لعبته الحركات الاسلامية، في نشر التوعية والحماس الثوري بين أبناء الامة، وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك ، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك ، إلاّ أنها جميعا قد اججت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الاسلام، واوجدت شعورا ذا مساحة معتدٍّ بها، بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة للاسلام... وإني لأعلم أن الكثير الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير هذا العامل، كما أعلم ان الكثير من المحاولات الاستعمارية والعميلة قد جرت لجرّ البعض منها الى سبيل الاحتواء، أو الانضواء تحت الرايات الخادعة، أو الاعتماد على نظم لا تمت الى الاسلام بصلة، وطبيعي أن هذه المحاولات لابد وأن ينكشف زيفها في فضاء الوعي السائد، وهكذا كان الامر، وراحت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير.

ثالثا: ردود الفعل التي اعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الاسلامي فرغم التخطيط الدقيق لهذا الهجوم، والعمل على ان يستوعب مختلف الجوانب الحياتية و يستكمل كل عناصر النجاح المطلوب، بل ورغم هذا النجاح الظاهري، الذي تصور الاستكبار العالمي انه حققه، فسلب الامة فكرها، وايمانها باسلامها، وعاطفتها الحماسية، وشخصيتها، و بالتالي ثروتها المادية، حتى ظن انها ماتت، او هي توشك أن تموت، بعد ان شد وثاقها بالحدود المصطنعة، ومزق وجودها بالتناحر القومي، والوطني، والعنصري، والتاريخي، وزرع في وجودها البؤر السرطانية الخبيثة، واثقل كاهلها بالعملاء الحكام، وسرب الى اوصالها سمومه الفكرية والعاطفية، وملأ حياتها بالمجون والترف والفسق فان من كان يرى ايران في عهد الشاه، يصيبه الذهول لمصير هذه الامة، واليأس القاتل من هداها، وعودتها

الى الاسلام.

نعم رغم كل هذا انتج الهجوم نتيجة عكسية، فقد ايقظ الامة وعلّمها أنَّ سرَّ وجودها هو اسلامها العظيم، وانها لن تجد السعادة إلاّ في ظله.

وقد كان تأثير الهجوم العكسي على طريقين:

الاول: انه كشف نفسه وحضارته واخلاقه أمام أبناء هذه الأمة. فلقد أثبتت كل الآراء والنظم التي خططها للحياة الاجتماعية فشلها، وعريها، وغربتها عن فطرة الانسان، وشعور المسلم وعقليته. وهي حقيقة أدركها الاستعمار تماما قبل غيره، فراح يستر فشله بعملية الترقيع، أي عملية إلباس الأفكار الغربية لبوس العروبة والشرق والاسلام، مما فضح به نفسه اكثر فاكثر.

لقد أثبتت الفلسفة الغربية خواءها أمام الفلسفة الاسلامية، وأعلنت التنظيمات الغربية عن إفلاسها أمام عمق التخطيط الاسلامي. أما الأخلاق والإنسانية فلا يعرفها الغرب إلاّ شعارات لا مضمون لها على الإطلاق... كل هذا ترك أثره ـ بلاريب ـ في التوعية من حيث لايريد العدو.

الثاني: انه دفع الحريصين، المؤمنين بمستقبل هذه الامة، لاتخاذ موقف المواجهة والتخطيط الدؤوب للصحوة المباركة.

وبعد هذا الفشل، لم تفد الاستعمار كل اساليب التطبيع الخبيثة، ولم تجده نفعا حتى الاقنعة الاسلامية، والمظاهر الخادعة التي تعلن الدفاع عن الاسلام، ولكنها تحرف الاسلام نفسه في أذهان الأمة، وتفرغه من محتواه الثوري والتغييري، بعباداته طقوس واجترار عقيم، واذا بنظمه قيود للحياة الفردية، وانزواء عن الحياة الاجتماعية.

إنه التحريف والتخريف وهو أمر لاينطلي على الفطرة التي سرعان ما تكتشف زيفه فينقلب الامر لصالح الحقيقة.

وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير المسلمة، تلك الصيغ الرجعية للحكم الاسلامي، وتلك الاطروحات البديلة المموهة للوحدة الاسلامية، والتي صورتها للأمة وحدة بين الحكام، وراحت تعلن للأمة ـ كل يوم ـ أنها تسير على خطى تحقيق الوحدة. وتمر أعوامٌ وأعوامٌ، واذا بالأمة تجد نفسها أسيرة الخداع من أول الطريق، فلا الشخصية عادت، ولا الارض السليبة استعيدت، ولا الفوارق الظالمة الاجتماعية رفعت، بل سارت الحال من سيئ إلى أسوأ، يغضب له الرب

العظيم، و يفرح له الشيطان الرجيم.

نعم، فشلت كل أساليب مقاومة الهجوم الغربي بالاسلوب الغربي،لالشيء إلاّ لأنها كانت من صنع الغرب نفسه، وأنّى تنقذ الأمة من ورطتها الحادّة الاساليب الشيوعية او الليبرالية.

رابعا: الاحداث الضخمة في العالم الاسلامي، وفي مقدمتها نجاح الثورة الاسلامية المباركة، بقيادة الامام العالم الزاهد الشجاع الخميني والتي هزت العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه، وحققت حلما كان يبدو بعيد التحقق، من شعب أعزل، لا يملك إلاّ إيمانه وقبضاته العزلاء.

وقد استطاعت هذه الثورة المباركة، عبر الكثير من المعطيات أن تؤثر الأثر الاكبر في تحقق الصحوة، وتناميها، وانتشارها.

لقدشملت تلك المعطيات الأصعدة الحياتية المختلفة، وأعطت الأمة الإسلامية والعالم دروسا رائعة.

إنها أكدت للشعوب المسلمة:

قدرتها على أن تقارع اقوى القوى وتهزمها.

وضرورة وجود القيادة الحكيمة، والتفاف الشعب حولها،

ولزوم تحرر العلماء من سيطرة الحكومات، ليقودوا شعوبهم.

وكيف تتدخل يد الغيب في نصرة المؤمنين وارعاب الطغاة.

ونوعية ومقدار المعاجز التي يحققها حضور الشعب المسلم، في الساحة السياسية والتشريعية.

وكيف يتلاحم مبدأ قيادة الفقيه العادل ونظام الشورى، في عملية رائعة الأثر.

وكيف يتحول كل التآمر الاستعماري لصالح القضية الاسلامية.

وأن الاسلام يستطيع ــ تطبيقيا ونظريا ــ ان يشمل جميع الجوانب الحياتية.

وكيف يتم تطهير الجو من الانحرافات الاخلاقية والاجتماعية وفضح الأنظمة التي ادعت الاسلام وخدمت قضية الاستكبار.

ولزوم تقديم القرابين من أجل الاسلام، والدروس المعبرة في الشهادة والتسابق نحوها، بما لم يعهد إلاّ في الصدر الاسلامي الأول.

وتحدي هيبة الدول الكافرة العظمى، وتمريغ أنوفها في التراب.

وقد استطاعت الثورة الاسلامية ان تهزم كل الاساليب القومية، والوطنية الضيقة، والشيوعية الملحدة، والليبرالية غير الملتزمة، وكل الطروحات التي موه الغرب بها على الامة الاسلامية.

كما دعت الى توحيد المسلمين ضد العدو الكافر، فقامت بأروع الخطى في هذا السبيل.

وانتهجت سياسة اقتصادية مستقلة، قائمة على أساس الاكتفاء الذاتي، فاستطاعت ان تقف على قدميها، رغم كل أنماط الحصار والظروف القاسية، التي فرضها الاستعمار وعملاؤه.

وغيرت كل أساليب التعليم، صابغة اياها بالصبغة الاسلامية الخالصة.

وطهّرت كل وسائل الإعلام من أدران الانحراف والتحريف، واضعة أسس إعلام إسلامي نزيه، واتبعت نظاما تربويا إسلاميا، شمل كل الجوانب.

ونجحت في القضاء على التناقضات الحادة بين الفئات الاجتماعية، عاملة في سبيل الارتفاع بالطبقة المحرومة، مانعة من الإسراف وتجاوز الحد دون أن تخرج عن الحدود الاسلامية.

ولا نستطيع أن نستمر في تعداد المعطيات فهي مما لايمكن عرضه بهذه العجالة.

كل هذه المعطيات وغيرها كثير كثير أحدثت ثورة في كل مكان وهزت الجماهير هزاً وفتحت آفاق الأمل نحو الغد الاسلامي الأمثل.

الأمر الذي لاحق شبحه الاستعمار وعملاءه في كل مكان، فراح يعد حساب أمره من جديد، بعد أن أعلنت عقوله الألكترونية المعقدة فشلها في تقرير الموقف الجديد.

على أننا يجب أن لاننسى وجود بعض العوامل الاخرى، ولكنها ــ مهما تسامت ــ ثانوية جدا، لا تستطيع أن تحضى بهذا الشرف الكبير.

ـ ٣ ـ

ملاحظات حول
الصحوة الاسلامية وما يحف بها

الملاحظة الاولى: حول الصحوة الاسلامية، وتأجيجها، و إدامتها:

بكل اختصار نقول: ان هذه الصحوة من أعظم النعم علينا، فينبغي أن نشكر الله تعالى عليها، وشكر هذه النعمة يعني الانسجام معها، ووعيها جيداً، والعمل على تعميمها وتعميقها وديمومتها في الحياة...

فالتحول الكبير لايتم إلاّ في فترات الصحوة العامة، والقائد الفذ هو الذي يستطيع أن يضمن الوعي المتأجج حماسا في شعبه لقضيته الكبرى، فاذا ما خبا ذلك التأجج ،كان ذلك إيذانا بموت المسيرة بلاريب.

إن التأجج الواعي ليحول كل العقبات إلى جسور، وكل المؤامرات المعادية الى ضربات معاكسة، يزكي بها نفسه، و ينفي عن وجوده النفايات الضارة...

هذا ويجب ان لا تغيب عن بالنا حقيقة مهمة هي: ان الايمان قد يحصل في لحظة صحو و بكل سهولة، ولكن الأمر الصعب هو الاستقامة على خطه، والعمل بمقتضياته، والصمود امام الضربات والعقبات، الداخلية والخارجية.

وربما كانت هذه الصعوبة هي السر الكامن في قولته (ص): «شيبتني هود»، وذلك لمكان آية الاستقامة فيها: «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك».

وهكذا يمكن أن ينطبق الأمر على التحولات التي تحدثها صحوة إجتماعية ما، فقد يكون السيل عارما، والثورة ضخمة بحيث لايقف أمامها الطغاة، فينهارون، وقد تحدث بارقة، فتعم الصحوة قطاعا واسعا.

أما الأمر المهم فهو المحافظة على الصحوة، ونتائج الثورة المباركة، وإدامتها بعد أن يهدأ الطوفان، ويملك العدو الفرصة الكافية للمواجهة والتخطيط، بل وتنسحب من الميدان العامل عناصر فقدت فاعليتها، أو رأت الأمر على خلاف مصلحتها الذاتية، أو غير ذلك مما يعترض ــ عادة ــ سبيل العاملين.

ومن هنا فان على كل الواعين القادة، وكل مسلم يدعو ربه ان يجعله للمتقين اماما، ان يجعلوا الحفاظ على الصحوة، بل و توسعتها وتأجيجها، في طليعة ما يفكرون به، و يعملون على صيانته، وإلاّ فالخيانة العظمى، والتفريط المخزي.

إن عليهم أن يواصلوا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكل ما يملكون من طاقة، و بعد أن يحرروا وجودهم وفكرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبي، فالتحرير الذاتي شرط أساسي لعملية التحرير الاجتماعي.

وإن عليهم أن لايتوانوا في عملية ضخ الزخم الثوري في العروق النابضة. فأي فتور في ذلك يعني النكوص بلاريب، وعندما أتحدث عن الثورة فلا أعني إلاّ التغيير على الخط الفطري الصاعد، والذي تتلاحم فيه العقيدة والمفاهيم، والعواطف والأعمال، وهو ما أشرنا إليه في طليعة الحديث.

الملاحظة الثانية: الصحوة والتطرف:

لابد من ان ننبه إلى أن هناك أعراضا قد تصحب عملية الصحوة، أو عملية الثورة، ينبغي ان يلتفت لها العاملون:

ــ فمن اعراض هذه الصحوة ما قد يبدو من تطرف في تقييم الجهاد، حتى ليرفض الدخول في أي حوار فردي بنّاء، أو حكم لسلوك خاص، بحجة الانشغال في عملية الجهاد، بل وحتى يكون التركيز كله على نصوص الجهاد، مع إهمال للنصوص الأخرى. وما هي ــ جمعيا ــ إلاّ أجزاء لنظام فكري وعملي متلاحم، لايتم عطاؤه إلاّ بالتركيب والتناغم والانسجام، وقد ابتلينا في إيران وغيرها باناس جهلة، تصوروا أن الاسلام ينحصر في هذا المعنى، وانحرفوا الى الحد الذي نبذوا الاسلام نفسه، وانخرطوا في المسلك اليساري الإلحادي.

ــ كما أن من أعراضها على الصعيد الاجتهادي أن يفرط المرء في التجديد، حتى لينبذ الأسس القويمة التي أسسها القدماء من المفكرين المسلمين، وحتى ليتصور الانسان أنه ينبغي ان ينفصل عن كل تراثه، بحجة الصحوة الجديدة.

إلاّ أنَّ الصحوة إذا امتلكت قيادتها الواعية، وأحست في شتى مجالاتها بالشمول الاسلامي والتفاعل الانساني، كهدف إسلامي، لم تنحرف الى مجالات التطرف.

على أننـا يجب أن لا نـغـفل، أن الكثير مما توصف به الصحوة الاسلامية اليـوم مـن تـطـرف يـعبر عـن لـؤم، أو تقاعس، أو تخطيط خبيث للقضاء عليها، أو استـسـلام لـفـهـم جـامـد، أو لهوى حاكم فاسق، أو ما الى ذلك من الأدواء التي يصاب بها البعض.

الملاحظة الثالثة: الصحوة والتهم:

رأيـنـا أن صـحـوة الأمـة الاسـلامـيـة، أمر حذر منه دهاقنة الكفر على مرِّ العـصـور، بعد أن أدركـــواأن الاسلام إذا انطلق من عقاله تحمله جماهيره الواعية، فـسوف لن يبق لنظمهم ومصالحهم وخططهم المستقبلية باقية، وقلنا إن الاستقامة على الصحوة هو الأمر الأصعب، بعد أن تنتشر الشبهات، ومن هنا فقد بدأت التهم الاستكبارية تنهل، وتتشكل بأشكال مختلفة ورحنا نستمع الى ألفاظ من قبيل:

الـفـئـة الـتقليدية، الفئة الرجعية، الفئة التي تخرق الأعراف الاجتماعية، الفرق الانتحارية، الإرهاب الإسلامي وما إلى ذلك :

وإذا كـانـت التهم قد استطاعت أن توقف مسيرة الاسلام العظيم، الهادرة في الـصـدر الاول، فـانهـا تـستطيع أن تؤثر أثرها اليوم، أمّا والوعي الثوري الأصيل يـنـتشر، والجـمـاهير حـاضـرة في الـسـاحـة الاسلامـية العامة، والمفكرون الواعون يـتـصـدون لـنشر الحـقـيقة، فإن كيد الشيطان الأكبر، والشياطين الصغار، يردُّ إلى نحورهم بلاريب، بفضل الله تعالى وعنايته.

الملاحظة الرابعة: الـصـحـوة الاسلامية والاحتواء :

وعـمـلـيـة الاحـتـواء ثم الـتحريف هي من أخطر العمليات التي واجهها الاسـلام خـلال تـاريخـه الـطـو يـل، وهـي ــنـفـسـهـاــ أخطر ما تواجهه الصحوة الاسلامـية اليوم... لقد تمثلت الصحوة في عطش جماهيري حاد لتطبيق الاسلام على كـل شـؤون حـيـاتها، وطرحه على الساحة العالمية مبدأ يهزم أمامه كل المبادئ المنحرفة، و يعمل على القضاء على كل البؤر الطاغوتية في الحياة والمسيرة.. وما أن احس الاستـكـبـار بـأنـه لايـستطيع أن يواجه هذا السيل، فقد خطط لاحتوائه، وآمتصــاص كـل ذلـك الـشوق الجـماهيري، من خلال مسرحيات، وعمليات، وشعارات براقة تخلب الالباب، دون ان تحمل مضمونا خاطلا، وعدنا حينئذ نشهد على الساحة الاسلامية:

اتجاه الكثير من الأنظمة لطرح الاسلام، وإعلان الكثير من الحكام التدين المصطنع، وعقد الكثير من المؤتمرات الضخمة المترفة باسم الاسلام، بل وتشكيل المنظمات الدولية الإسلامية، وتفرُّعها الاخطبوطي، بما يشمل مختلف الجوانب، بحيث يبهر المرء المسلم عندما يواجه هذا العمل الاسلامي الضخم، وراحت القرارات تصدر الواحد تلو الآخر، لتعبر عن الطموح الموحد، بل وأنشئت عدة تنظيمات وجمعيات كبرى، باسم العمل على حمل هم الاسلام الى العالم.

هكذا شهدنا تتابع الرجوع الى الاسلام من قبل الانظمة، حتى اتخمنا بالحديث.

وظن الاستكبار الخبيث الأحمق، أنه يستطيع من خلال ذلك ، خداع الجماهير المسلمة، وامتصاص شوقها، وزاد في تصوره هذا، انجذاب البعض من الأفراد والفئات الى اللعبة.

أمّا الحقيقة، فبقيت كما هي ناصعة.. بعد أن شهدت الجماهير المسلمة هذا الهوان والتراجع المتزايد أمام العدو، وهذا البيع المتزايد للثروة وتقوية العدو، وهذا الترف والسرف والفجور الذي يمزق الحجب والأقنعة، وهذا التآمر السافر على الأمل الاسلامي الجديد، وهذه الفوارق الطبقية الهائلة، بل وهذه المذابح هنا والمراقص هناك ، وهذه المجاعة هنا والتخمة هناك ، «وما جَاعَ فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعَ به غني» كما يقول أمير المؤمنين (ع).

وإننا لنقولها كلمة أخيرة لهؤلاء الذين يقفون في وجه الصحوة: إن الله تعالى أذن لعصر العودة أن يبدأ ولمسيرة الاسلام الحاكم أن تنطلق، ولن تستطيع كل أنماط التآمر والخذلان، والتهم والاحتواء، ان توقف الزحف الاسلامي المقدس.

كما أقولها لجماهيرنا الاسلامية الواعية: ان علينا ان نطمئن دائما الى نصر الله تعالى وعونه، فاذا ما حققنا في أنفسنا قابلية الفيض الإلّهي ، فإنه تعالى فياض لا ينقص فيضه ولا يبخل به، ولتعلموا أن العقبات والضربات أمرٌ طبيعي نشترك فيه مع العدو، في حين نتفوق عليه بالأمل العظيم بالله تعالى، وهو أعظم دافع للنصر والفوز.

«إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون»

صدق الله العليُّ العظيم

الوعي الاسلامي
سبيل التوحيد والوحدة الشاملة

الدكتور النجفي الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

«ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»[1]

في هذه المقالة المتواضعة (مقولات) ومفاهيم، اختصرت في بضع مفردات ومصطلحات، لابد من معالجتها بأسلوب علمي عرفاني، من أجل استيعاب روح الفكرة والالمام بأطراف الموضوع والهدف. وقد يبدو البحث للوهلة الأولى ــ كما سنرى ــ وهو يمعن في دلالات تلكم (المفردات) بحثا لغويا دلاليا، غير أنه في الواقع أقرب الى روح الفكر الفلسفي والعرفاني، وهو ما نقصده (بالوعي الاسلامي) من دلالة الكلمة اللغوية على (الحفظ): حفظ التراث الاسلامي واستيعابه وصيانته من ناحية، وعلى (الحضور): الحضور الفلسفي الواعي لحركة الفكر الجوهرية من ناحية أخرى؛ وهو مفاد (الأذن الواعية)[2] و(ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها)[3]، ومنه (وعى الحديث يعيه وعيا: حفظه)[4] و (الله اعلم بما يوعون)[5]: اي يضمرون في قلوبهم.

---

١ ــ سورة الانبياء: ٩٢

٢ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٧٢٩ (ط. دار القلم ــ بيروت).

٣ ــ في الحديث المروي عن الامام علي عليه السلام.

٤ و٥ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة.

وأما دلالات الآية الكريمة المتصدرة عنوان البحث والتي يقوم عليها موضوعه، ففي مفرداتها معان صريحة تدل على أن الامة (أمة واحدة) وأن الربّ (ربّ واحد) وتجب عبادته من لحن (الامر): «وانا ربكم فاعبدون»[1]، «وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون»[2]: اي ليعرفون[3]، و يعوا الغاية القصوى من العبادة وهي أيضا سبيل التوحيد والوحدة الشاملة.

و بالتوحيد الصحيح تحصل الوحدة، ليس بين البشر فحسب، إذ «الناس صنفان، اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[4]، بل بين جميع المخلوقات والموجودات (الامكانية)، و بالاصطلاح المنطقي الفلسفي جميع (الممكنات) لأنها قائمة جميعاً بـ (واجب الوجود) وقيومه، وهو «الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الارض»[5]. ولكي تكتمل أبعاد البحث لابد من معالجة المفردات الأربعة الآتية ودراستها، وهي «التوحيد، الله، الوحدة، الامة». والتوحيد وموضوع البحث فيه كلمة (الله)، والوحدة وموضوع البحث فيها كلمة (الامة).

وقد تقدمت في الآية الكريمة كلمة (امة واحدة) ـــ المعلول ـــ وتأخرت كلمة (أنا ربكم) ـــ العلة ـــ لفظاً لا رتبةً. إذ العلة تسبق المعلول، وعبادة الله وتوحيده بوعي كامل سبب أساسي في تحقيق الامة الواحدة وأن كلمة (امة) ذات دلالة طريفة تحكي اشتقاقها و علاقتها بكلمة (أم) وهي في اللغة بمعنى (الاصل في كل شيء) ومنها أصل البشر الواحد. وعند الرجوع الى كلمة (أم) في المعجمات وكتب اللغة نجد ما خلاصته: (ام الشيء: أصله، ومكّة: أم القرى، والأم: الوحدة، والجمع: أمّات وأصل الام: أمهة وكذلك تجمع على امهات، وقيل الأمهات للناس، والأمّات للبهائم، ورئيس القوم: أمهم، وأم النجوم: المجرة، وام الطريق: معظمه، وأم الدماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ، و يقال أيضا أم الرأس، وقوله تعالى:

---

١ ـــ سورة الانبياء: ٩٢.

٢ ـــ سورة الذاريات: ٥٦.

٣ ـــ انظر آمالي الهادي، ص ١٠ (ط. بيروت ـــ ١٩٧٥).

٤ ـــ في الحديث المروي عن الامام علي (ع).

٥ ـــ سورة البقرة: ٢٥٥.

«هن أم الكتاب»[1].

ولم يقل أمهات: لأنه على الحكاية، كما يقول الرجل: ليس لي معين، فتقول: نحن معينك فتحكيه، وكذا قوله تعالى:

«كنتم خير أمة»[2]

قال الأخفش: «يريد أهل امة: أي كنتم خير أهل دين»[3]

وقد تفردت الأمة البشرية بحمل ثقل (الإمامة) و (الأمانة) بمعناهما الأشمل، من بين سائر الأمم والمخلوقات:

«إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا»[4]

فقد كان الانسان ظلوما جهولا حين فرط بالامامة والأمانة، أمّا حين كان ملتزما بهما و كان أمة واحدة هادية مهدية، فلم يكن كذلك:

«وما كان الناس إلاّ أمة واحدة، فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون»[5]

فان مبعث الاختلاف هو الابتعاد عن سبيل (التوحيد) و طريق (الرسالات) وجادة (الدين) فان صح (التوحيد) صحت (الوحدة) وذهب الخلاف. ولذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليوحّدِ وهم من بعد الفرقة والاختلاف:

«كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»[6]

اي (فاختلفوا) فبعث الله النبيين، ليدعوهم الى عبادة الله تعالى وحده، و يرفعوا شعار: (لا إله إلاّ الله). فما معنى كلمة (الله»)؟

إن كلمة «الله» من مادة «الإلٰه» عند التحقيق اللغوي، وأن مادة الإلٰه من أصل (أله يَأله) ــ بالكسرــ (أو أله يأله)ــ بالفتح ــ وكل له معنى خاص:

---

١ ــ سورة آل عمران: ٧.
٢ ــ سورة آل عمران: ٧٤.
٣ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٥ ــ ٢٦ (ط. دارالقلم ــ بيروت)
٤ ــ سورة الاحزاب: ٧٢.
٥ ــ سورة يونس: ١٩.
٦ ــ سورة البقرة: ٢١٣.

الاول: يدل على معنى (التحير) مطلقا: (وتقول) «أَلِه» اي تحير و بابه طرب وأصله وله يوله ولها)[1] ومنه الواله والولهى.

والثاني: يد على معنى (العبادة) والحب، فيكون الله (وأصله إلاه) على فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه: أي معبود، كقولنا امام بمعنى مؤتم به فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضا منها لما اجتمعتا مع المعوض في قولهم «الإله» وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيما لهذا الاسم[2]

فيكون الله والإله بمعنى المعبود المحبوب، وأما التحير وما اليه، فالله موضع حيرة العقول واندهاش الألباب، ولنعما قال الشاعر العارف:

(فيك ياأعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
أنت (حيرت) ذوي اللب و بلبلت العقولا
كلما قدّم فكري فيك شبرا فرّ ميلا
ماشيا يخبط في عشواء لايهدي سبيلا)[3]

فلا يستطيع احد ان يفكر في ذات (الله) تعالى، وهيهات ان يدرك العقل شيئا من كنهه، وانى للمخلوق ان يحيط بالخالق وللمحاط ان يلم بالمحيط؟ ولذلك نهينا عن التفكر في ذات الله تعالى. بل يجب التفكر في مخلوقاته. أم كيف للفكر المحدود ان يغوص في عالم الوجود المطلق، ام كيف العقل الكليل ان يستوعب (العقل الاول).

وقد اشار الى هذا المعنى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في أوّل خطبة من خطب نهج البلاغة بقوله:

«الحمدلله الذي لايبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لايدركه بعد الهمم، ولاينالهغوص الفطن»[4]

فان بعد الهمم لايدركه وغوص الفطن لايناله وهيهات، اذ تبقى الهمم

---

١ ــ الرازي، مختار الصاح، ص ٢٢ (دارالقلم ــ بيروت).

٢ ــ المصدر السابق، نفس المصدر.

٣ ــ أبيات عرفانية أرويها عن والدي، وكلمة (لايهدي) فيها روايتان بالمعلوم والمجهول وكذلك بدل ماشيا (هاربا).

٤ ــ نهج البلاغة، ج ١، ص ١٣ (ط. فيض الاسلام ــ طهران).

العالية والفطن العميقة حيرى أمام عظمته وجماله، وقدرته وجلاله.

وأما دلالة العبادة والحب، فان كلمة (إله) كما تقدم بمعنى مألوه وهي فعال المصدر بمعنى المفعول [1] اي معبود ومحبوب، اذ العبادة لا تكون الا له، والحب الحقيقي لايكون الا فيه وله ومنه واليه.

«والذين آمنوا أشد حبا لله» [2]

و «إن الله يحب المقسطين» [3]

و «وأنا ربكم فاعبدون» [4].

فاذا عبد الناس الله بشكل صحيح و كما هو أهله توحدوا فيه واتحدوا، واذا عبدوا سواه من أهواء او مناصب او اشخاص او منافع أشركوا وتفرقوا. واذا وحدوا الله تعالى جميعا تحصل بينهم الوحدة الشاملة و بين سائر المخلوقات والموجودات أيضا؛ اذ هو موجدها وقيّومها. وكما يقول الفلاسفة والمتكلمون هو (العلة المحدثة) و (العلة المبقية) أيضا، وليس كما يقول (نيتشه) و بعض الفلاسفة الغربيين ان (الخالق) كالبنّاء الذي يبني البنيان، ثم يموت البنّاء و يبقى البنيان، فالله ربنا (لم يمت) وسبحانه وتعالى عما يقولون علوّاً كبيرا، إذ السموات والارضون وما فيهما ومابينهما قائم به:

«ويمسك السماء أن تقع على الارض» [5]

وكل ما في الوجود موحد لله تعالى تكويناً وهو آية على وحدانية الله وتوحيده: «و يسبح الرعد بحمده» [6]

وكما قال الشاعر العارف:

فوا عجباً كيف يعصي الإلهَ ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدلُ على أنَّهُ واحد [7]

---

١ ــ القرشي، قاموس القرآن، ص ٩٦ (ط. طهران)، ــ باللغة الفارسية ــ.

٢ ــ سورة البقرة: ١٦٥.

٣ ــ سورة الممتحنة: ٨.

٤ ــ سورة الانبياء: ٩٢.

٥ ــ سورة الحج: ٦٥.

٦ ــ سورة الرعد: ١٣.

٧ ــ من الابيات العرفانية المشهورة.

واذا تحقق التوحيد التشريعي لدى الافراد والأمم وتطابق مع التوحيد التكويني تمَّت الوحدة بين جميع الموحدين، وكانوا (امة واحدة) يعبدون الله تعالى ولا يشركون بعبادة ربهم أحداً، وكما ذكرنا سابقا:

«كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»[1]

أي بعد ان اختلفوا بعث الله النبيين ليدعوهم الى التوحيد و ينادوا بالوحدة، فاستجاب قوم فهدوا و بغت طائفة فضلوا. وكان شعار نبي الاسلام محمد (ص) في أول دعوته: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا». وقولة لا إله إلاّ الله: اي الاعتقاد الخاص بان الله تعالى واحد احد، ولا يوجد رب سواه والالوهية منحصرة به وهي طريق السعادة والصراط المستقيم:

«إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[2].

وليس (القول) هنا مطلق القول، بل مثل أن نقول: فلان يقول بكذا ؛ اي يعتقد جازماً بكذا و يؤمن به و يدين له، وليس مجرد لقلقة في اللسان، بل الالتزام القطعي بهذه العقيدة، والالتزام بشروطها ولوازمها. وكما يقال في المنطق: «الالتزام بالشيء التزام بلزومه»، وهذا هو مدلول حديث (السلسلة الذهبية) المروي عن الامام الرضا عليه السلام:

«قولة لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ثم أردف عليه السلام قائلا: (بشرطها وشروطها)[3]

وهكذا تصح بالتوحيد سائر اصول الدين وفروعه، وسائر المبادئ والغايات.

اذن فلنوحد الله تعالى ـــ أيها المسلمون ـــ بالشكل الصحيح و:

---

١ ـــ سورة البقرة: ٢١٣.

٢ ـــ سورة الفاتحة: ٥ ـــ ٧.

٣ ـــ لهذا الحديث قصة شهيرة واردة في اكثر المصادر والمظان المعينة في تاريخ أهل البيت(ع).

«يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا»[1]

كما أراد الله ان نؤمن به وكما أراد الله أن نوحده، وكما أراد الله أن نصفه، وكما وصف هو نفسه لنا في كتابه المجيد (القرآن الكريم)، وكما جاء على لسان نبيه الكريم محمد(ص) والأئمة الهداة المهديين(ع) فهم الأدلاء على الله وهم حجج الله على خلقه، والله تعالى عرّف لنا نفسه في القرآن الكريم بطرق كثيرة، وفي سور متعددة، وآيات بينات: «في الآفاق والأنفس» وبراهين واضحات بالفطرة والمنطق: غير ان سورة واحدة في القرآن الكريم تخصصت (بالتوحيد) وتمحضت (بالاخلاص) له وعرفت بسورة التوحيد وسورة الاخلاص، اذ يقول فيها تبارك وتعالى:

«قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد، ولم يكن له كفوا احد»[2]

وقد تحدث العلماء والمفسرون ورواة الاخبار والمحدّثون عن سبب نزولها ومتى وأين؟ وباختصار، قيل: إنها مكية، كما قيل انها مدنية، والاشهر مكيتها، وروي ان السبب في نزولها هو الحاح المشركين، وقيل بعض اليهود طالب بتعريف الله وبيان نسبه[3]!! فجاء الجواب: «قل هو الله احد». ان براعة هذه السورة التي تعدل (ثلث القرآن)[4] ليعجز عن وصفها القلم واللسان، ويخرس عند اعجازها النطق و البيان، غير ان الاشارة الى بعض نكاتها ضرورية، ومنها ان ادق تعريف لله تعالى وأكمله هو كلمة (هو)؛ اذ فيه دلالة على (بساطة الوجود المطلق) و (عدم تركيبه)؛ لان الله سبحانه وتعالى (واجب الوجود) وليس (ممكنا) حتى يكون مركبا وتكون له (ماهية) ويحده (جنس وفعل) كتعريف جميع الممكنات بالاسلوب (الجامع المانع) الذي يبين (ماهية الشيء) بجمع (الافراد) وطرد (الاغيار)؛ كما هو في الحدود والتعاريف المنطقية.

فاذن تعبير (هو) من أروع التعابير، بل أروعها اطلاقا، ومن أكمل الاوصاف بل أكملها عموما، كما يدل على (عظم الشأن) على رأي من قال انه

---

١ ــ سورة النساء: ١٣٦.

٢ ــ سورة الاخلاص: ١ ــ ٤.

٣ ــ تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ج ٣٠، ص ٤٤٥ (الترجمة الفارسية) ــ ط. طهران).

٤ ــ المصدر السابق، ص ٤٥٢.

(ضمير الشأن) في تفسيره، وأن كلمة «الله» هي المبتدأ وكلمة (أحد) خبرها. وعلى أية حال، اذا كانت كلمة «الله» هي المبتدا، فالله تعالى نفسه هو المبتدأ وهو المنتهى، وهو المبدأ وهو المعاد، وهو الاول وهو الآخِر، وهو الباطن وهو الظاهر ومنه يبتدأ الخلق واليه يعودن و:

«انا لله وانا اليه راجعون»[1].

وان كلمة «الله» ــ كماتقدم ــ هي من مادة (الإلٰه) على اشهر التفاسير وقد حذفت همزتها وأضيف اليها الالف واللام ثمّ أدغم اللامان. وقيل عَلَم غير مشتق[2]، و إنه اسم للرب المعبود، الجامع لجميع الصفات الربانية، أو صفة مستجمعة لجميع الأسماء الإلهية، وله (الأسماء الحسنى) والأمثال العليا، والمشهور أنه عَلَم للرب، ولا يمكن أن نسمي به غيره، وهو من الأسماء أو الصفات المختصة به تعالى، مثل كلمة (الرحمن) التي هي غير (الرحيم) الصفة المشتركة، وان كانتا من مصدر واحد، وهو (الرحمة) كما هو مبين في كتب اللغة والتفاسير.

وقيل اسم «الله» هو (الاسم الأعظم) والمستفاد من كونه جامعا لجميع الاسماء الحسنى والامثال العليا. وقد وردت في القرآن الكريم (ألفين وسبعمائة واثنين)[3] من المرّات. وهي في مبتدأ كل سورة: «بسم الله الرحمن الرحيم» إلاّ في ابتداء سورة (براءة)، وقد عوض عنها بآية:

«انه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم»[4]

وان أول صفات الله تعالى وأكلمها في هذه السورة هي كلمة (احد) وهي صفة (التوحيد)، وان كانت صفاته تعالى جميعا (عين ذاته)، وعين الكمال والعظمة، والكبرياء والآلاء، كما ورد في دعاء (البهاء) الشهير:

«اللّهم اني اسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة، اللّهم اني أسألك بأسمائك كلها»[5].

وهنا تجدر الاشارة الى أن (احد) غير (الواحد) وان كان كلاهما من مادة

---

١ ــ سورة البقرة: ١٥٦.

٢ ــ القرشي، قاموس القرآن، ج ١، ص ٩٧ (ط. طهران ــ باللغة الفارسية).

٣ ــ القرشي، قاموس القرآن، ج ١، ص ٩٧.

٤ ــ سورة النمل، الاية ٣٠.

٥ ــ القمي، مفاتيح الجنان، دعاء البهاء (ط. طهران).

(الوحدة)[1] فكلمة (أحد) خارجة عن العدد بعكس الواحد: وهو اول العدد[2]، وله اثنان وثلاثة الخ. (و يقال وحّده وأحّده بتشديد الحاء)[3]، ومصدره (التوحيد) وهي نسبة الوحدانية الى الله تعالى، وهذه من دلالات صيغة (التفعيل) كما يقال «كفرته تكفيرا»: اي نسبته الى الكفر، او نسبت الكفر اليه.

ومن جهة اخرى: «الله الصمد» تعريف آخر، أو هو نفس التعريف السابق بتبيان (الصمدية) التي هي من صفات الافعال[4]، اي اليه يقصد العباد، وهي (فَعَل) بمعنى (مفعول) اي (مقصود)، وهو تعالى مقصود جميع الكائنات، وصفة الفعل هذه ليست زائدة على صفة الذات، ولا زائدة على الذات نفسها، وهذا هو معنى توحيد الذات وتوحيد الصفات، وتوحيد الافعال، وهنا (الصمدية) تجلية لجانب من جوانب صفات الافعال وهي (المقصودية) و (الصمودية).

و بدلالة أخرى ان (الصمدية) بمعنى (الملء) ضد الفراغ الذي هو عين الفقر والحاجة، اذ كل شيء في الوجود ما سوى الله تعالى أجوف ويحتويه الفراغ، او يتخلله، من أكبر المجرات الى اصغر الذرات، فهي عوالم يتخللها الفراغ، ويحكمها الاحتياج والفقر، وهي موجودات محتاجة وفقيرة، بل الاحتياج والفقر عين وجودها بعكس الله تعالى:

«لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»[5]

وهذه الاوصاف تفسير لكلمة (الصمد)[6]، وكذلك لكلمة (احد)[7]: اذ من يلد فهو قابل للتجزئة وفيه الفراغ، ومن يولد يحتاج الى من يولده و يوجده، وهذه صفات جميع المخلوقات و (الممكنات) على عكس صفات (واجب الوجود) المولى جل وعلا، فلا نظير له ولا مثيل، ولا ضد ولا ند، و باختصار:

«ليس كمثله شيء»[8].

---

١ ــ تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ج ٣٠، ص ٤٤٦ (الترجمة الفارسية).

٢ و ٣ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٧٢١ (ط. دارالقلم ــ بيروت).

٤ ــ تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ص ٤٤٨ (الترجمة الفارسية).

٥ ــ سورة الاخلاص، الاية ٣ ــ ٤.

٦ ــ تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٤٤٩ (الترجمة الفارسية).

٧ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٨ ــ سورة الشورى، الاية ١١.

وان كمال توحيده تعالى يتركز على فهم هذه السورة المباركة بشكل صحيح وعرفاني،وان كمال الاخلاص في هذا التوحيد يشير اليه الامام عليّ عليه السلام في الخطبة المذكورة سابقا، وذلك بنفي الصفات عنه، اذ يقول:

«الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووطد بالصخور ميدان أرضه».

ثم يوضح ذلك قائلا:

«اول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنه غير موصوف. وشهادة كل موصوف أنه غير صفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثناه فقد جَزَّأهُ، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله أشار اليه، ومن أشار اليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال على م فقد أخلى منه، كائن لاعن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير اذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده»[1].

والسؤال هنا: كيف ننفي الصفات عنه تعالى و نحن نتحدث هنا عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى؟

الجواب: ــ ان هذه الصفات التي نذكرها، أو الأسماء التي ذكرها سبحانه وتعالى أولا (توقيفية)وثانيا انها تحكي (عين الذات) المقدسة، وهذا التكثر في الصفات والاسماء المذكورة في القرآن الكريم والادعية المروية عن النبي محمد(ص) وآله الأئمة الطاهرين(ع)، لايقتضي التكثير في الذات وليس هي زائدة عليها ــ كمامر ــ واذا عرفنا ذلك فسيكون مثالها كمثال (الاشعة) او (الاقطار) المرسومة من مركز الدائرة، وان تلك النقطة التي تمرّ منها جميع الاشعة والاقطار تبقى واحدة، وهذا مثال تقريبي، اذن كل صفحة من صفات الله تعالى توضح لنا جانبا من جوانب عظمته، وكل اسم يجلي لنا جهة من جهات رحمته،

---

١ ــ نهج البلاغة، الخطبة الاولى، ص ١٣ ــ ١٥ (ط. فيض الاسلام ــ طهران).

وان الاسماء الحسنى و الكلمات جميعا (تجليات للذات) واشارات اليها ودلالات عليها، وهي (كلمات الله التامات) المبثوثة في كتابي التكوين والتشريع، ورحمته وسعت كل شيء، وقد بين ذلك نفسه تعالى حيث قال في حديث قدسي:

«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[1].

والمعرفة هي الهدف، والعلم هو الغاية، وهو نوعان: حصولي، وحضوري، والعلم الحصولي يأتي بعد الاكتساب والتعب، والاجتهاد والنصب في تحصيل تلك الصور المنعكسة في الذهن عن تكلم الأشياء التي هي موضوع البحث و التجربة. وأما العلم الحضوري فهو علم الشهود، وعلم التزكية والتصفية، وعلم التقوى والتجلية: «واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شيء عليم»[2]

وان علم الانبياء والأئمة، ومن سار على نهجهم ونسج على منوالهم «علم لدني» وعلم (حضوري) يشاهد حقائق الاشياء و يلتقي (وقائع الامور) وهو على مراتب ودرجات، ومن فاز (بعلم اليقين) فقد فاز بخير كثير، ومن بلغ (عين اليقين) فقد شاهد الحق والحقيقة، وأما من بلغ (حق اليقين) فقد فنى نفسه في الفناء، وهو عين الخلود والبقاء، ومثال هذه الدرجات كمثال من (يعلم) بالنار، ومن هو (مشاهدها) ومن هو (محترق فيها).

وأن التزكية والتصفية توصل الى التخلية، والتحلية، والتجلية كما يقول العارفون، وان من بلغ مرحلة (التجلية) فلا يحتاج بعد ذلك الى برهان الحركة، و برهان الحدوث، و برهان العلة والمعلول، وما اليها من أقوال الفلاسفة والمتكلمين، وهذه البراهين يفاد منها في مقام الحوار والجدل، وفي مقام الاثبات والتدليل، واما مع (الصديقين) والصالحين، والأنبياء والمرسلين، والأئمة والمتقين، فالبرهان لديهم هو (الشهود والعيان) و (الوعي والحضور) وهو المعروف (ببرهان الصديقين). و الطريق الى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، وإذا كان القرآن الكريم قد ركز على (برهان النظم) فذلك في مقام الدعوة والتبليغ وهو أقرب الى فهم العامة[3].

---

١ ــ أمالي الهادي، ص ١٠، (ط. بيروت ــ ١٩٧٥).

٢ ــ سورة البقرة: ٢٨٢.

٣ ــ انظر القرشي، قاموس القرآن، ص ١٠٣ (اللغة الفارسية) ــ ط. طهران ــ.

وبرهان الصديقين هذا يكون سيره (من الخالق الى الخلق)، وليس (من الخلق الى الخالق) الذي استدل به الاعرابي على بساطته:

«البعرة تدل على البعير، وأثر الاقدام يدل على المسير، أفسموات ذات أبراج وأرض ذات فجاج لايدلاّن على اللّطيف الخبير؟»[1].

وان برهان الصديقين يتجلى في الأدعية المأثورة عن النبي (ص) وآله الطيبين الطاهرين (ع). وهي تتعاضد وتتساند بلحن واحد، ونغم موحد، ودلالة موحدة:

«بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت»[2] في الدعاء المروي عن أبي حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين (ع). وفي دعاء الحسين (ع) يوم عرفة:

«إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمةٍ توصلني اليك ، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا»[3].

هي عين البصيرة ــ التي تراه ــ لا البصر. وان عميت:

«فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»[4] فالمدار اذن في الانسان على بصيرته، لا بصره[5]، وعلى وعيه لاسمعه.

وان هذه الادعية في الواقع حضور وشهود، وعلم يقين، ولدني وعيان لايحتاج الى برهان، إذ (حقيقة الدعاء) هي الوعي الكامل والصحوة العارفة، وتقتضي وجود (داع و مدعو) و (دعاء) يربط بينها، ومعنى دعائك الله سبحانه وتعالى انك تؤمن أولا بوجوده وقدرته، وأنه واحد أحد، فرد صمد، حيٌّ قيُّومٌ، سميعٌ بصيرٌ، إلخ. تدعوه فيجيبك ــ كما ورد ــ :

---

١ ــ من الاستدلالات الشهيرة في كتب الدين والادب.

٢ ــ القمي، مفاتيح الجنان، ص ٣٣٤ (دعاء أبي حمزة الثمالي) (ط. طهران). ١٣٨٣هـ.

٣ ــ المصدر السابق، ص ٢٧٢ (دعاء عرفة) (ط. طهران ــ طاهر خوشنويس).

٤ ــ سورة الحج ٤٦.

٥ ــ انظر أمالي الهادي، ص ١١ (ط. بيروت ــ ١٩٧٥).

«والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وان كنت بطيئا حين يدعوني، والحمد لله الذي أسئله فيعطيني، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني، والحمدلله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلوبه حيث شئت لسري بغيرشفيع فيقضي لي حاجتي»[1].

وان هذا الحضور وهذا الوعي وهذا الدعاء وهذه المناجاة لهي إقرار بالتوحيد، وان جميع المخلوقات توحد الله تعالى و تناجيه، كل بلسان الاستعداد و بنطقه الخاص:

«وإن من شيءٍ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»[2]

غير ان الانسان يستطيع ــ وحده ــ ان يجمع الى توحيده التكويني توحيده التشريعي؛ وهو الارادي والاختياري، والسلوكي والعرفاني.

وخلاصة القول ان التوحيد الصحيح هذا يدعو الى الوحدة الصحيحة الشاملة وان الانسان الموحد يجد نفسه داعيا ومنسجما مع نفسه ومتوحدا بتوحيده الله تعالى مع غيره بنفس المبدأ، فلا ضير بعد ذلك اذا اختلفت الأسماء والألقاب، وتنوعت الاجناس والالوان، وتعددت الألسنة والعادات، وتباينت الثقافات والحضارات الهادفة الهادية، فهو متوحد معها بتوحيده الله تعالى، اذ هي في الاصل كلها من الله ومن ابداعه خلقه، وليس الانسان وسائر المخلوقات إلاّ وسيلة للاكتشاف والاختراع، بل هو يرى نفسه في نظرة شمولية واسعة متوحدا مع الكون كله ومنسجما مع الوجود جميعه في حركة جوهرية (دائبة دائمة)[3] ــ كما يرى ذلك صدر المتألهين وعمدة الفلاسفة المسلمين المتأخرين (الملاّ صدرا الشيرازي) ــ يسير الانسان سيرا حثيثا نحو الكمال المطلق، وتسير معه جميع المخلوقات والموجودات وبتعبير آخر (جميع الممكنات) تسير معه في حركة جوهرية تكاملية نحو (واجب الوجود) من عالم التغير والتحول الى عالم القرار و الثبات، ومن دار الفناء الى دار البقاء.

وليس الموت، وأرقى أنواعه الشهادة، إلاّ مرحلةً كمال جديد، وتكامل

---

١ ــ القمي، مفاتيح الجنان، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ (دعاء ابي حمزة الثمالي) ط. طهران ــ ١٣٨٣هـ.

٢ ــ سورة الاسراء: ٤٤.

٣ ــ انظر مقالة الآملي، برهان الحركة ص ٦٩، في مجلة (نور علم) العدد الرابع ــ ١٤٠٤هـ (باللغة الفارسية)

عتيد، اذ يقول ابو العلاء المعري:

خلق الناس للبقاء فظلت أمة يحسبونها للنفاد
انما ينقلون من دار أعمال الى دار شقوة أو رشاد[1]

وان حركة (عالم الامكان) تشكل وحدة متكاملة، حركة حضورية حضارية، في اتجاه طولي امتدادي، وليس عرضيا متعارضا، اذ لا تعارض بين (حركة ذات ممكنة) مع (حركة ذات ممكنة) أخرى ولا تضاد ولا تناقض،كما تتوهمه المادية الديالكتيكة ولا وجود مادة محضة متفاعلة، كما تقول به بعض الفلسفات الغربية، فالكل سائر في (حركة جوهرية) نحو الكمال المطلق، والمبدأ والمعاد، ونحودار القرار، ومحل الاخبار، في لحن إلهي منسجم، وموج رباني منغم، حتى تعود تلكم النغمات جميعا الى (الناي الازلي) و (القيثار الابدي) في وعي حضاري دائم، وصحوة حضورية خالدة،وان اتصال الممكنات بالمبدأ كالقطرات بماء البحر لو تركت وحدها في صحراء الفقر والفاقة لتبخرت وفنيت،ولواتصلت بالبحر لا نسجمت وخلدت أو بعبارة أدق كالموج المتصل باليم فأية قدرة بعد ذلك تكون لغير اللّه؟ أم أية جهة تستطيع ان تهدد كيان الفرد المسلم الواعي، والامة المسلمة الواعية، وهي تتأمل عظمة الله وقدرته، وارتباطها به وصلته، وهي تردد بخشوع وتسبيح:

«عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[2]

«و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين»[3]

و «ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون»[4]

---

١ ــ انظر امالي الهادي، ص ١٢ (ط. بيروت ١٩٧٥).

٢ ــ من وصف المتقين، في نهج البلاغة، ج ١ ــ ٣، ص ٦٠٢ (ط. فيض الاسلام ــ طهران).

٣ ــ سورة المنافقون: ٨

٤ ــ سورة الانبياء: ٩٢.

تقرير
عن
الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامي
الجزائر (العاصمة)
١٣٦٣ هـ ش ١٤٠٤ هـ. ق ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

في الفترة ما بين ١١ ــ ١٧ / شوال / ١٤٠٤هـ. ق) الموافق (١٠ ــ ١٦/ تموز (يوليو / ١٩٨٤م) والمصادف ايضا (١٩ ــ ١٣٦٣/٤/٢٥هـ. ش)، وفي مدينة الجزائر (العاصمة)، تم عقد الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامى وقد حظيت أنا والأخ الدكتور قائمقامي نجفي رئيس تحرير مجلة (**Echo of Islam**) بحضوره، من قبل الجمهورية الاسلامية في ايران.

وكما قلت من قبل، فان هذا الملتقى يمتلك مكانة خاصة في قلوب المسلمين، ولدى المفكرين في شتى بقاع العالم نظرا لخصائصه الجيدة، وما قدمه من خدمات جلى للفكر الاسلامي، وللصحوة الاسلامية بلاريب. فهويتمتع اذاً بمايلي:

اولا: بالتاريخ الطويل نسبيا. فقد عقد على التوالي (١٨) عاما، مواكبا الثورة الجزائرية الأمر الذي وفر له نوعا خاصا من المكانة في القلوب، خصوصا وانه عقد هذا العام بمناسبة الذكرى الثلاثين لانطلاقتها العملاقة، بتوجيه من العلماء الجزائريين، وعلى راسهم المجاهد المصلح الكبير الشيخ عبدالحميدبن باديس وتلميذه الشيخ الابراهيمي، حيث قدمت اكثر من مليون شهيد مسلم، تساقطوا على أرضها الطاهرة قرابين، في سبيل الحفاظ على الصبغة الاسلامية للجزائر،

والاستقلال عن الاستعمار الفرنسي الغاشم. وقد تركت هذه الثورة الرائعة أثرها في نفوس كل المسلمين والاحرار في العالم. بما قدمت من صور التضحية الاسلامية المعطاء.

ثانيا: بحضور جمع كبير من العلماء والمفكرين في العالم الاسلامي وغيره. وقد روعي في انتخابهم تنوع مناطقهم، وتخصصاتهم، وقدرتهم في الغالب على فهم اللغة العربية، وشعبيتهم الواسعة (الى حدما)، وسنذكر فيما يأتي بعضا منهم، مع المواضيع التي طرحوها.

ثالثا: بحضور حشد كبير من العلماء والمفكرين الجزائريين، واساتذة الجامعة الجزائرية، والمسؤولين عن الشؤون الدينية وعلى رأسهم السيد وزير الشؤون الدينية في الجزائر، السيد عبدالرحمن شيبان، والوزير السابق، السيد مولود قاسم، المسؤول عن تعليم اللغة الاصلية (العربية) في الجزائر وغيرهم من كبار المسؤولين الجزائريين.

وحضور هذا الحشد الكبير له أثره الكبير، في ايجاد حركة فكرية اسلامية منسجمة، لها دورها في التوجيه والتوعية بلاريب.

رابعا: بالعمل الدؤوب لوسائل الاعلام الجزائرية، كالاذاعة، والتلفزة، والصحف الجزائرية المتنوعة، والاختصاصات، لنقل بعض وقائع المؤتمر ومحاضراته، سواء اثناء انعقاده او بعده، على مدى الفترة بين انعقاد ملتقى وآخر.

خامسا: بحضور اكثر من الف طالب جزائري، شاب وشابة، وتجدهم جميعا متعطشين للمعرفة، والتزود من الفكر الاسلامي الصائب، ولهم دورهم في توجيه المناقشات والاسئلة، واعطاء المؤتمر مسيرته الصحيحة، وحيويته الدائمة في الواقع.

سادسا: اهمية موضوعه. وكان في هذا العام (الصحوة الاسلامية والحضارة المعاصرة)، وهو من اهم الموضوعات الحية، التي تواكب مسيرتنا الاسلامية اليوم، فانعم به من اختيار.

هذا وقد كان المؤتمر غنيا بالموضوعات التي ألقاها الاساتذة، ونحن نقدم فيما يلي قائمة ببعض الموضوعات وباصحابها:

الثلاثاء: ١١/شوال/١٤٠٤هـ) (١٠/تموز/١٩٨٤م).

الافتتاح

كلمات الترحيب لسلطات الولاية، وكلمة الافتتاح للسيد عبدالرحمن شيبان، العضو الاضافي للجنة المركزية، وزير الشؤون الدينية.

النقطة الاولى: مدخل.. من النهضة الى الصحوة

(١) ـ الدكتور عمار الطالبي: (الصحوة الاسلامية، من النهضة الى الصحوة).

(٢) ـ الاستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: (أمة أم غمة، صحوة أم غفوة،الا من نخوة؟).

(٣) ـ الشيخ محمد الغزالي: (تدين يكره الحضارة، وحضارة تكره التدين).

(الاربعاء: ١٢/ شوال ١٤٠٤هـ) (١١/ تموز/ ١٩٨٤م)

النقطة الثانية: الصحوة الاسلامية المعاصرة

(٤) ـ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي: (بلاغ الى الصفوة).

(٥) ـ الدكتور عبدالحليم عويس: (العمل لتطبيق التعاليم الاسلامية في الحياة).

(٦) ـ الدكتور احمدبن نعمان: (بعض اسباب الصحوة الاسلامية).

(٧) ـ الدكتور يوسف الكتاني: (الصحوة الاسلامية المعاصرة: اسبابها، مظاهرها، آفاقها).

ندوة

(الصحوة الاسلامية في العالم)

(أفريقيا، آسيا، أوروبا، امريكا الشمالية)

بمشاركة السادة:

(١) ـ الدكتور الهاشمي التيجاني:

أستاذ الحضارة الاسلامية، جامعة الجزائر.

(٢) ــ الدكتور ابراهيم محمود ديوب:

(السنغال)

(٣) ــ الشيخ محمد الباقيو ضياء:

معلم اللغة العربية، دكار ــ السنغال.

(٤) ــ الاستاذ ابراهيم مار نبينغ:

الجمعية الاسلامية الصينية ــ بكين.

(٥) ــ الاستاذ محمد العلويني:

مدير المركز الثقافي الاسلامي، مسجد بروكسيل ــ بلجيكا.

(٦) ــ الاستاذ عبدالمتعال الجبري:

ــ الولايات المتحدة الامريكية ــ

(الخميس: ١٣/ شوال/ ١٤٠٤هـ) (١٢/ تموز/ ١٩٨٤م)

(٧) ــ الاستاذ محمد الشاذلي النيفر:

الاستاذ بكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ــ تونس

(الصحوة الاسلامية: دراسة وصفية للميدان الديني)

النقطة الثالثة: الصحوة وتحديات العصر

(٨) ــ الدكتور عبدالرزاق قسوم:

استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر، عضو المجلس الاسلامي الاعلى ــ الجزائر ــ

(التيارات الفكرية المعاصرة، وآثارها في المجتمع الاسلامي)

(٩) ــ الدكتور محمد عزيز الحبابي:

باحث، وعميد شرف بجامعة محمد الخامس ــ الرباط ــ المغرب

(التيارات الفكرية المعاصرة، وآثارها في المجتمع الاسلامي)

ندوة

(الصحوة الاسلامية في الميدان الفكري والثقافي)

(تحديات وآفاق)

بمشاركة السادة:

(١) ــ د. عبدالله لوصيف:

عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ــتونس ــ

(٢) ــ الاستاذ فهمي هو يدي:

الوكالة الاسلامية للاعلام ــبريطانيا ــ

(٣) ــ د. شكري الفيصل:

عضو مجمع اللغة العربية ــدمشق ــ

(٤) ــ د. سيدمحمد علي قائم مقامي نجفي:

استاذ سابق بجامعة طهران، مدير مجلة محجوبة ــايران ــ

(٥) ــ الشيخ عبدالعزيز التوري:

مدير المركز الثقافي الاسلامي دكار ــ السنغال ــ

(السبت: ١٥/ شوال/ ١٤٠٤هـ) (١٤/ تموز/ ١٩٨٤م)

(١٠) ــ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

رئيس قسم الفقه الاسلامي ومذاهبه، كلية الشريعة، جامعة دمشق. ــ سوريا ــ (الغزو الثقافي الحديث)

(١١) ــ الدكتور عبدالعظيم محمود الديب:

الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ــ جامعة قطر. (الصحوة الاسلامية في مواجهة الغزو الثقافي)

(١٢) ــ الاستاذة فاطمة الحبابي ــ جامعة محمد الخامس، الرباط ــ المغرب ــ (المشكلات الاجتماعية والسلوكية التي يثيرها التصنيع في العالم الاسلامي).

ندوة

(الصحوة الاسلامية في الميدان الاجتماعي والاقتصادي)

(تحديات وآفاق)

بمشاركة السادة:

(١) ــ الاستاذ محمد الاكحل شرفاء:

مفتش التكوين بالمعاهد الاسلامية، وزارة الشؤون الدينية ــالجزائر ــ

(٢) ــ الاستاذ العربي كشاط:

عضو المجلس الاسلامي الاعلى ــ الجزائر ــ

(٣) ــ الاستاذ هشام بن محمود:

الاستاذ بكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ــ تونس ــ

(٤) ــ الاستاذ محمد عبدالله المهدي البدري:

الاستاذ بجامعة الامارات العربية المتحدة

(٥) ــ الاستاذ محمد الطاهر فضلاء:

مدير المكتبة المركزية بقصر الحكومة، ــ الجزائر ــ

(٦) ــ الشيخ عبدالقادر بن محمد العماري:

القاضي بالمحكمة الشرعية الاولى، ــ قطر ــ

(٧) ــ الاستاذ عمر عبيد حسنة:

مدير مجلة الامة ــ قطر ــ

(الاحد: ١٦/ شوال/ ١٤٠٤هـ) (١٥/ تموز/ ١٩٨٤م)

النقطة الرابعة: آفاق الصحوة الاسلامية

(١٣) ــ الشيخ احمد حماني:

العضو الاضافي باللجنة المركزية، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ــ الجزائر ــ

(حول الصحوة الاسلامية)

(١٤) ــ الدكتور يوسف القرضاوي:

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ــ قطر ــ

(مستقبل الصحوة الاسلامية)

(١٥) ــ الدكتور احمد كمال ابو المجد:

مستشار الشؤون القانونية والدستورية، مكتب سمو ولي العهد ــ الكويت ــ

(آراء وملاحظات حول مستقبل الصحوة الاسلامية)

(١٦) ــ الدكتور محفوظ السماتي:

استاذ علم الاجتماع، بجامعة الجزائر (دور النخبة في المجتمع)

(١٧) ـ الدكتور محمد اركون:
استاذ بمعهد البحوث العربية الاسلامية، جامعة السربون الجديدة باريس ـ فرنسا
(بعض الشروط لتجديد الفكر الاسلامي)

(الاثنين: ١٧/ شوال/ ١٤٠٤هـ) (١٦/ تموز/ ١٩٨٤م)

(١٨) ـ الدكتور محي الدين عطيه:
دار البحوث العلمية ـ الكويت ـ
(امراض الصحوة الاسلامية: محاولة للتشخيص والعلاج)

اما محاضرتي، فكانت بعنوان (الصحوة الاسلامية: حقيقتها، اسبابها، استدامتها)، في حين كانت محاضرة الاخ الدكتور نجفي، بعنوان: (الصحوة الاسلامية سبيل التوحيد والوحدة).

هذا، وقد القى السيد وزير الشؤون الدينية في الجزائر، في الجلسة الافتتاحية، كلمة جاء فيها:

لاشك أنكم تدركون ثقل مسؤولية القائمين بترشيد الصحوة، وبيان عللها وأدويتها، وحمايتها، من المسلمين أنفسهم، ومن أعدائهم.

وهذا لايتحقق الا اذا نهضنا بميادين التربية والتعليم والتوجيه، ووسعنا مجال الندوات والمؤتمرات الاسلامية، في المستوى الاقليمي والعالمي، لنشر الوعي، وتقديم الغذاء الاسلامي، في مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم، بحيث لا نكتفي بضبط قائمة للحلال والحرام، نبين فيها للشباب المسلم ما يأخذ وما يدع، ونتركه، بعد ذلك، للفراغ الذي يدفعه الى التهام أي غث وسمين، مما تبرزه الحضارة المعاصرة من أمراض، يحذر منها عقلاء هذه الحضارة نفسها:

انه لا أمل يرجى من هذه الصحوة، اذا لم يقدها العلماء الراشدون المرشدون، الذين تتوفر فيهم شروط اساسية، أولها:

ـ ان يكونوا على ايمان صادق بالاسلام، وفهم عميق لشريعته، وادراك واسع لمقاصده، عملا بقوله تعالى:

«قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن آتبعني، وسبحان الله، وما أنا من المشركين» (يوسف: ١٠٨)

وهذا ما ستنصب عليه جهودكم، وتتركز عليه أبحاثكم، ودراساتكم، ومناقشاتكم، لتوضيح موقفنا من الحضارة العصرية».

نشاطات الوفد الايراني

وقد شملت هذه النشاطات حقولا مختلفة، نختصرها فيما يلي:

الاول: القاء محاضرتين:

فقد قمت بالقاء محاضرة في اليوم الثاني للملتقى تحت عنوان (الصحوة الاسلامية: حقيقتها، اسبابها، استدامتها).

تناولت فيها: اولا: حقيقة الصحوة الاسلامية، ملخصا فيها تعريف الفرد المسلم الصاحي، بانه: المسلم الذي وعى اسلامه عقيدة ونظاما وحضارة، ثم آمن بذلك ايمانا نافذا الى العواطف والاحاسيس و بالتالي عمل بكل ذلك، فصاغ الاسلام سلوكه في مختلف الموارد.

وعندما يكثر الافراد الصاحون من جهة، وتتعاطف معهم الجماهير الاسلامية. وتنسجم مع حركتهم، فان الصحوة الاسلامية تصبح ظاهرة اجتماعية.

ووفقا لذلك، قررت وجود مثل هذه الحالة الرائعة في حياة امتنا اليوم، وقارنت بين خصائصنا عند الغفوة، وهذه الخصائص بعد الصحوة، ثم تحدثت عن اسبابها، فلخصتها في الامور التالية:

(١) ــ عمل العلماء المصلحين والمفكرين الواعين.

(٢) ــ عمل الحركات الاسلامية المنتشرة في عالمنا الاسلامي.

(٣) ــ فشل الاستعمار في هجومه وفضيحته امام جماهيرنا المسلمة.

(٤) ــ الثورة الاسلامية المباركة في ايران بقيادة الامام الخميني العظيم امام الامة الاسلامية، واعتبرت هذا اهم الاسباب.

وأخيرا، رحت اتحدث عن الامور التي ينبغي ان يراعيها المفكرون والشباب والدعاة، لكي تدوم الصحوة محذرا من بعض التطرف او الاحتواء.

كما قام الاستاذ الدكتور قائمقامي بالقاء شطر من افكاره في الندوة التي عقدت لدراسة تحديات الصحوة الاسلامية وآفاقها المستقبلية.

الثاني: الاشتراك النشط في دراسة الآراء المطروحة، والتعقيب عليها

مرات عديدة، وقد تناولت شتى المواضيع التي نذكر منها: مسألة وجود الصحوة ومسألة مد الجسور مع الحكام، وغيرها، كما ستأتي الاشارة اليه:

الثالث: اللقاء المفيد بسيادة الرئيس الجزائري، الشاذلي بن جديد، في اطار لقاء العلماء والمفكرين به، وقد طرح الوفد المسائل التاليه مع سيادته:

الاولى: مسألة الحب والود والتقدير الخالص، الذي يحمله الشعب المسلم في ايران للجزائر وثورتها الرائعة.

الثانية: مسألة بعض العراقيل، التي تواجهها المطبوعات الايرانية، اثناء ورودها الى الجزائر.

الثالثة: مسألة اسلامية الثورة الجزائرية، ولزوم الوقوف في وجه كل المؤامرات التي تحاول ـ عبثا ـ ان تسلخ منها روحها الاسلامية.

الرابعة: مسألة فتح قسم للدراسات المقارنة بين المذاهب الاسلامية من جهة، و بينها و بين المبادئ الاخرى من جهة اخرى.

هذا وقد حيا الرئيس الجزائري الشعب الايراني، وطلب ـ مشكورا بكل اخلاص ـ متابعة الامور التي طرحت، ونحن نأمل ان يسترشد المسؤولون الكرام بتعليماته التي اصدرها بهذا الصدد.

الرابع: اللقاء بالمفكرين المدعوين.

فقد وفقنا الله تعالى للالتقاء في جلسات ـ خاصة وعامة ـ بالاخوة المدعوين الى المؤتمر، وكان من بينهم بعض رؤساء تحرير الصحف العالمية، وأساتذة ورؤساء الجامعات في اقطار مختلقة، وعلماء كرام، و وزراء، ومعاونون، ونواب في مجالس برلمانية، وغيرهم.

وقد تناولت الاحاديث شتى المسائل عن الثورة الاسلامية المباركة بدءاً بصحة الامام القائد، التي كان الجميع يطلبون طمأنتهم عليها، ومرورا بالمعطيات الرائعة للثورة الاسلامية على الاصعدة المختلفة: الفكرية، والثقافية، والاقتصادية، والاخلاقية، والاجتماعية، وغيرها، وانتهاء بمسائل من قبيل الحرب الظالمة التي شنها الاستعمار الكافر، بواسطة عميله صدام، على الجمهورية الاسلامية، و وقوف القوى العظمى خلفه، وآفاق المستقبل من كل ذلك.

وقد قام الوفد باعطاء شتى الايضاحات التي كان لها تأثيرها البالغ ـ كما نتصور ـ في نفوس الاخوة وهذا ما عبروا عنه بشتى التعابير.

كما اننـا استوضحنا الوفود والهيئات عن اوضاعهم الاسلامية، وشؤون المسلمين في منـاطقهم، وسمعة الثورة الاسلامية، فردّوا علينا بما اثلج الصدور، وانعش كل الآمال، في استمرار الصحوة الاسلامية، وانتشار اضواء الثورة المباركة، في شتى بقاع الارض، والحمد لله.

الخامس: اللقاءات المثمرة بالشباب الجزائري المسلم، سواء في داخل المؤتمر، او في خارجه، وقد لمسنا ــ في هذا الشباب الطاهر ــ الشوق العارم نحو المعرفة الاسلامية، والعشق الخالص لله تعالى، والدعاء القلبي الطاهر للثورة الاسلامية المباركة وقائدها المظفر، والتساؤل الملح عن قضاياها المختلفة، ومنجزاتها وخططها المستقبلية، ولزوم تقوية اعلامها لينعم المسلمون بما تقدمه الثورة الاسلامية، من فكر اصيل، وتجربة اسلامية حية.

والواقع اننـا نعتبر فترات لقائنا القصيرة بالشباب الجزائري المسلم، من اروع الفترات على الاطلاق، وننتظر له مستقبلا سعيدا حافلا بالايمان، خصوصا، وقد شاهدنا تمسكه بالاسلام، وتمسك الفتيات بالحجاب الاسلامي الجيد، الامر الذي يكشف عن مظهر من مظاهر الصحوة الاسلامية، وما اكثر المظاهر عند شبابنا المسلم، اليوم.

السادس: عقد لقاءات صحفية مثمرة مع بعض الصحف، والمجلات، والاذاعة الجزائرية، كصحيفة (المجاهد) الصادرة بالفرنسية، والشعب، والعصر، والنصر، ومجلة المرأة الجزائرية.

وقد تناولت اسئلة هذه اللقاءات الصحفية مختلف جوانب الصحوة، ودورها في صنع المستقبل الزاهر للأمة.

وكمثال على الاسئلة التي اجيب عليها، نذكر الاسئلة التي وجهتها الاذاعة الجزائرية على النحو التالي:

* الاعلام الغربي يدرس، ويحلل، و ينشر التقارير المطولة، عن الصحوة الاسلامية. ماهو تحليكم لهذه الظاهرة؟ أهي تجري خوفا منها ام ماذا؟
* ما هو دور الاعلام الاسلامي في تشجيع الصحوة الاسلامية؟
* ما هي ــ في رأيكم ــ الصحوة الاسلامية، واسبابها؟
* ما هو دور المراكز التعليمية في مجال تنشئة الجيل الواعي؟

وقد تمت الاجابة المفصلة بما يناسب الوقت. كما تم الحديث عن البرنامج

التعليمي في الجمهورية الاسلامية في ايران، والتركيز على إسلامية المناهج، والمشرفين، والأساتذة، والمواد.

السابع: اشتركت انا في اللجنة الاولى لصياغة التوصيات. واشترك الاخ الدكتور نجفي في اللجنة الثانية، وقدمنا مقترحات مفيدة، اخذت بعين الاعتبار، والحمدلله.

نظرات عامة فيما طرح في المؤتمر من افكار

من المناسب ان نوقف القراء الكرام على بعض الاتجاهات الفكرية المطروحة في المؤتمر، ليدركوا المسار الفكري اليوم، و يقفوا على خطورته في هذه الفترة ذات الحساسية من حياتنا. وسنعرض ذلك ضمن نقاط:

النقطة الاولى

كان عقد الملتقى لدراسة ظاهرة الصحوة الاسلامية سابقة حسنة واعية مفيدة، وقد طرحت في هذا اللقاء أفكار واعية ايجابية كثيرة، طافت حول حقيقة الصحوة الاسلامية، والمقصود منها. خصوصا بعد أن وقع بعض الخلط بين مفهومها اللغوي ومفهومها الاصطلاحي، ذلك أنها بمفهومها اللغوي تسبق النهضة، لكنها بمفهومها الاصطلاحي تأتي بعد عصر النهضة الاصلاحية الاسلامية، التي أثرت اكثر ما أثرت في الشمال الافريقي، على يد المدرسة الاصلاحية، التي غرس بذورها المصلح الكبير، السيد جمال الدين وتلامذته... وعلى اي حال، فقد شملت البحوث ـ أيضا ـ اسباب هذه الصحوة وآفاقها، والتحديات التي تقف امامها، والآفاق المستقبلية لها، وقد طرحت بعض المحاضرات نقاطا فكرية محددة، كمحاضرة الاستاذ الشيخ الغزالي، والاستاذ الشيخ يوسف القرضاوي، خصوصا عبر المواد العشرين، التي اقترحها لمسيرة الصحوة، وكانت ـ بحق ـ مما يحتاج للتأمل والتفكير، كما ان بعض المحاضرات قدم صورة لابأس بها عن تاريخ الحركات الاسلامية وخصوصا (الاخوان المسلمون)، والدور الذي لعبوه في رفد المسيرة الصاعدة، بل عرضت بعض الملامح الجيدة لشخصية الداعية الكبير، الاستاذ البنا، وغير ذلك، الأمر الذي افاد منه الحاضرون كثيراً.

النقطة الثانية

ورغم كل تلك الايجابية، فقد طرحت بعض الافكار الاخرى، والتي تحتاج الى وقوف وتأمل كثير عندها، لما تتركه من آثار خطيرة على هذه الصحوة، وربما أدت بها الى مسارب منحرفة، او عملت على احتوائها، دون ان يقصد اصحابها ذلك، وربما كان ذلك نابعا :

أ) ــ اما من اطلاق اللفظ على عواهنه دون تقييده بظروفه الخاصة.

ب) ــ او من تحويل الاستثناء الى قاعدة وأصل.

جـ) ــ او من طرح قضية حقة ولكن يمكن استغلالها بسهولة في سبيل الباطل.

د) ــ او ربما كان ذلك بضغط من الوضع السياسي القائم في بلد المتحدث، الأمر الذي يدفعه لابهام الفكرة، وربما لتحريفها.

وغير ذلك من العوامل.

وعلى أية حال، فنحن نذكر لهذا الأمر بعض النماذج الخطرة، التي ينبغي ان يركز عليها الباحثون، ويجلوا الحقيقة فيها، خدمة لقضية الصحوة الاسلامية. واداء للامانة التاريخية:

النموذج الاول: انكار الصحوة رأسا، او التقليل من شأنها

فقد رأينا في الملتقى اتجاها ــ (محدودا جدا والحمدلله) ــ ينكر وجود الصحوة راسا، و يدعي ان ليس هناك أية حالة استثنائية، وانما هي الحالة التي كانت عليها الأمة، دون أن يطرأ عليها جديد.

ولاريب في كون هذا الاتجاه ــ كما علق الوفد الايراني ــ ينكر حقيقة تملأ العيان، و يدس راسه في الرمال، ولا يشاهد هذه المظاهر الكبرى للصحوة الاسلامية، التي هزت الشرق والغرب، فينكر مثلا هذا الاقبال الهائل على دراسة الاسلام ووعيه، وهذا الحماس المنتشر بين قطاعات الامة الاسلامية، وهذا الاتجاه العظيم نحو التخلق بالاخلاق الاسلامية، كانتشار ظاهرة التحدي الكبرى (الحجاب)، بين الفتيات الجامعيات في كل مكان، وهذا العمل المنظم الحثيث لمقارعة ومقاومة مظاهر النفوذ الاستعماري على كل الاصعدة، وغير ذلك كثير.

هذا، وربما كان هذا الانكار الغريب ناشئا من خلط بين طبيعة الاسلام، التي تلازم الوعي والا ثارة والحقيقة، وحالة المسلمين، التي تختلف باختلاف ما تتوفر عليه من قابليات، لتلقي الفيض الالهي الغامر، (فسالت اودية بقدرها)، وهو ما تم ايضاحه للملتقين، لئلا يقع هذا الانكار، و يؤدي بالتالي الى تجاهل حقيقة عبّر عنها الاعداء بالزلزال الذي يهز الارض، وعبرعنها نيكسون قائلا في حديثه مع الفيغارو الفرنسية:

«ان المشكلة الرئيسية لنا اليوم هي مشكلة المسلمين التقليدين، الذين يمتد نفوذهم من مراكش حتى باكستان، (المسلمون التقليديون هو: الاسم الذي اطلقته المحافل الغربية على المسلمين الثوريين الملتزمين بخط الجمهورية الاسلامية))».

وهكذا توالت تصريحات الاعداء، في حين نجد هؤلاء الاصدقاء ينكرونها. !!

نعم لامانع من أن يقول احدهم: ان هذه الظاهرة الكبرى ــ رغم عظمتها اليوم ــ كانت لها في تاريخ الامة الاسلامية ــ سابقة او سوابق ــ فهذا مما لايملك ردّه اي مطلع على صحوات هذه الامة، بين فترة وفترة، خصوصا و الحديث الشريف يتحدث عن حالات اقبال القلوب في هذه الامة وادبارها، مما يقطع اي شك في البين، الا أن هذا يختلف عن انكار اصل الصحوة المباركة القائمة اليوم.

النموذج الثاني

وصف الصحوة الاسلامية او عناصرها بالارهاب والعنف والتطرف.

رغم اننا نؤمن ان هذه الصحوة الاسلامية المباركة قد تعترضها وتعتورها بعض العلل، اذا لم يع المشرفون عليها و الموجهون لها، الخط الصحيح، وان من اعراض هذه الصحوة التطرف ــ احيانا ــ في تقييم الاشياء، وهذا ما اشرنا اليه في محاضرتنا ــ نحن ــ داعين للتأكد من عدم الافراط والتفريط، سواء في صراعها مع العدو، او في جوانب الصحوة الفكرية والاخلاقية، نعم رغم هذا، فان المتتبع لتحليلات الصحف الغربية، والاتهامات الموجهة للصحوة، والقوائم السوداء التي اعدها الاستكبار العالمي لدرج اسم الصحوة وقيادتها فيها، يجد ان هناك خطة عالمية لاتهام الصحوة وعناصرها وحركاتها الاسلامية الناهضة، الثائرة بالتطرف

احيانا، و بالارهاب و العنف احيانا أخرى، وذلك لتنفير الجو العالمي منها، ليسهل بالتالي ضربها والقضاء عليها من داخلها، وهذا هو الخطر الذي يجب ان ينتبه له العاملون تماما.

ومن هنا، فقد حذرنا من افراط بعض الباحثين بتوجيه اتهام التطرف للصحوة وللحركة الاسلامية عموما، بل اننا رأينا البعض من الباحثين، يقعون ــ لاعن عمد ــ في هذا الفخ، عندما يدرسون حركة الشباب الاسلامي الهادرة في كل مكان، والثائرة على الاوضاع اللااسلامية القاتلة في عالمنا الاسلامي، والمطالبة بتطبيق الاسلام على الاوضاع، مدينة بذلك كل الاساليب الوضعية، التي عمل الحكام العملاء على تطبيقها في ارضنا الاسلامية، فهم يدرسون هذه الظاهرة في اطار حركة الشباب الغاضب في العالم كله، و يصنفون حركاتنا الاسلامية ضمن حركات الباذر ما ينهوف والالوية الحمراء، والجيش الاحمر في اليابان وغير ذلك، وهذا اجحاف ما بعده اجحاف! فاين هذه من تلك، واين هذه الاهداف الطاهرة من تلك الاهداف الوضعية ــ وهذا ما نبه الوفد الايراني اليه بكل صراحة عند تعليقه على احد المحاضرين الكرام، ولم يكن هذا المعنى مختصا به فقد ردده البعض الاخر، الامر الذي أثار العجب.

النموذج الثالث: الخط المسالم في الحركة الاسلامية

من المعروف ان هناك خطين في الحركة الاسلامية عموما، هما: خط المسالمة على طول الخط، والعمل على الاصلاحات الجانبية، وايجاد اكبر قدر منها، مع عدم التوجه للقضايا الاجتماعية الكلية الاساسية. والخط الآخر هو الخط الثوري، الذي يصب جل اهتمامه على ضرب نقطة الداء، وتغيير المجتمع من المراكز تغييرا اساسيا.

واذا كان تناسي الخط الاول للعنصر التغييري مضرا جدا، فان نسيان اهمية الاصلاحات الجانبية في تهيئة التغيير الكلي هو ــ بدوره ــ امر مضر ايضا.

ومن هنا كان المنهج الصحيح في التحرك الاسلامي العام، هو: التركيز على ضرب المركز المنحرف، الى جنب خط الاصلاحات الجانبية، التي تجري في اطار التغيير الكلي المرتقب، ولتحقيق الارضية الملائمة له.

الا اننا شهدنا في المؤتمر اتجاهات مسالمة، وربما كانت من النوع الاول،

بل وربما نسبت بعض القادة الثوريين كسيد قطب ــ مثلا ــ الى التحليل الطوبائي البعيد عن المجتمع، وادعت ان الكثير من افكاره الثورية كان سيتغير لو انه خرج من السجن الى المجتمع، بل وربما نسبت ذلك الى طبيعة تكوينه الجغرافي، باعتباره من الجنوب المصري الحاد في طباعه، او الى تركيبته الفكرية، التي بدأت على يد المرحوم العقاد، ثم تحولت الى اسلامية صرفة، و كان الانكى من كل ذلك، ان تثار امام الشباب المسلم الجالس في المؤتمر، والذي يعشق فكر (سيد) المربي، ان تثار امامه فكرة خروج (سيد) على مذهب السلف، وكأنه لم يكن في مذهب السلف أئمة مجاهدون قارعوا الحكام وقاوموهم.

وعلى أي حال؛ فقد تألمنا لمثل هذا التعامل مع هؤلاء المفكرين، وقمنا بواجبنا الى حد ما في توضيح الحقيقة.

النموذج الرابع: مد الجسور مع الحكام

وكانت هذه الفكرة امتدادا للنموذج السابق، فقد رايناها عند الاكثرية ممن تكلموا في المؤتمر، ولكن بتعبيرات مختلفة.

فالبعض منهم قلل من شأن انحراف الحكام في البلاد الاسلامية، وجعل البعض منهم صالحين مخلصين، بل ومطبقين للتشريعات الاسلامية تماما في بلادهم!! والبعض الآخر عده ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا، فعسى الله ان يعفو عنهم!!

في حين راح بعض المتحدثين يحذر من مضرات تخويف الحكام من الشباب، وتخويف الشباب من الحكام وخلق القطيعة بينهما، داعيا لمد الجسور وحذف عوامل التخوف المتبادل.

وراح الآخرون يذكرون بالدماء التي سفكت في هذا الصراع العقيم!! على مر هذه العصور.

الى غير ذلك.

الا ان الوفد الاسلامي الايراني قدّم التوضيحات الكافية في هذا الموضوع، واوضح: ان هذا الأمر خطير اذا اخذ على اطلاقه... فصحيح ان باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتسع لنهي الحاكم باللسان ووعظه وارشاده، والضغط عليه بالوسائل السلمية المتعارفة، لجره الى الخط المستقيم، وليرعوي

و يثوب الى الصواب..

الا ان ذلك يجب ان يتم في جوه الطبيعي، اما مع الحكام الذين نعلم بعمالتهم للاجنبي الكافر، فان مد الجسور معهم يعني بكل بساطة مد الجسور مع الكفر العالمي، واما مع الحكام الذين يطبقون في بلادنا نظاما وضعيا رأسماليا او ماركسيا، فان التعامل معهم يعني اغتيال القضية الاسلامية وتمييعها، و يعني ايضا تخدير الامة بالاساليب الماكرة، وكسر فورتها الاسلامية، واحتواء صحوتها المباركة.

ان حكاما سربوا ثروات الامة الى البنوك الكافرة، وملأوا خزاناتها بالنفط، حتى عاد غنيا بكسر سعر النفط الاسلامي، واشاعوا الفساد في كل بلادنا، من خمر، وميسر، و بلاجات خليعة، وميوعة،وطبقوا القوانين الوضعية، وتآمروا على الثورة الاسلامية المباركة، بل وجهزوا الجيوش لضرب عشرات الالوف من المسلمين، لا لشيء، الا لأنهم آمنوا بالله، وراحوا يفسحون المجال لمئات البعثات (التبشيرية الصليبية والصهيونية والبهائية) لتعيث في ارض المسلمين فساداً، وان حكاما راحوا يبذرون اموال المسلمين في حفلاتهم، وملاذهم، وسباق خيولهم، وجمالهم!! بل وحتى في مؤتمراتهم الاسلامية، عبر اقامة الحفلات الراقصة الماجنة، مثل هؤلاء الحكام، هل يمكن مدّ الجسور معهم، ومعاملتهم معاملة المسلم الساذج، الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا، والذي اذا طاف عليه طائف من الشيطان تذكر ورجع الى ربه؟!

ان قليلا من التأمل في وضع هؤلاء القتلة لشعوبهم، (في المغرب، وتونس، والعراق، ومصر، وغيرها) يعطينا الجواب القاطع لهذا التساؤل، و يوضح: ان هذه الدعوة ــ مع سلامة نية من اطلقها ــ تخفي تآمراً ضخماً على الصحوة، لاحتوائها.

هل تساءلنا لماذا يقف الشباب المسلم ضد هؤلاء الحكام و يقبع الشيوخ و يازرون الى جحورهم خوفا؟ وهلا تساءلنا عن السبب في وقوف الكثير من العلماء الواعين الى صف هؤلاء الشباب، ونكول الكثير عن ذلك؟ وهلا استمعنا الى نداءات قادتنا الكبار، الذين طلبوا منا خلع طاعة المخلوق، اذا كانت فيها معصية للخالق؟ الم يحدثنا اميرالمؤمنين علي (ع) ان الله اخذ على العلماء الايقاروا على كظة ظالم أولاسغب مظلوم؟!! و يقول الامام الحسين (ع) ــ موجها خطابه الى العلماء داعيا اياهم لمقارعة الظالمين ــ:

«ثم أنتم أيتها العصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لافضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج اذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الاكابر، أليس كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله؟ وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون. فاستخففتم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته، ومجاورة رسله، وأمانا من عذابه؟

لقد خشيت عليكم ــ ايها المتمنون على الله ــ ان تحل بكم نقمة من نقماته، لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يَعرِفُ بالله لا تُكرِمُونَ، وانتم بالله في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محقورة، والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعنون، وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تسعون.

ذلك فان مجاري الامور والاحكام على ايدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق، واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم امور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، واعجابكم بالحياة، التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لايدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لايعرف المبدئ (و) المعيد، فيا عجبا ومالي (لا) أعجب، والأرض من غاش غشوم، ومتصدق

ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا.

أللّهم إنك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان. ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى (لنردّ ـ خ ل) المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك ، و يأمن المظلومون من عبادك ، و يعمل بفرائضك وسننك وأحكامك ، فان لم تنصرونا وتنصفونا، قوي الظلمة عليكم وعملوا في اطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، واليه أنبنا واليه المصير».

والغريب، ان يحتج بعض المفكرين على لزوم مد الجسور، بأن ضرره اقل من ضرر الثورة على الحكام، في حين يتناسون ان الضرر العظيم لهؤلاء ليس هو مجرد القتل والسجن، بل هو وقوفهم في وجه وحدة الامة الاسلامية الحقيقية، وانطلاقتها الحضارية، لتكوين الدولة الاسلامية العالمية، التي تقف ـ وجها لوجه ـ امام الانظمة الكافرة، وتصنع الغد الافضل، انهم متآمرون على اصل عقيدتنا واصل نظامنا، واصل مستقبلنا، ولكننا ننسى ذلك، ونركز على خسائرنا الجزئية، في سبيل هذا الهدف العظيم.

والواقع اننا نحتاج الى عمل علمي جاد، يقف ـ بموضوعية ـ على الاتجاهات الاسلامية الاصيلة، ناسبا اياها الى منابعها، كما يقف على حقيقة ما يجري على الساحة الاسلامية، من هؤلاء الحكام، واذنابهم من فقهاء السلطان، او ما اطلق عليه اسم: (وعاظ السلاطين).

وأذكر هنا ماقاله شهيدنا الكبير آية الله.. المطهري ـ وهو يتحدث عن عوامل الانحراف نحو البريق المادي ـ حيث ذكر ان المادية تذرعت بالثورية، ومعاداة الاستعمار، الامر الذي جعلها موئلا للمستضعفين الثائرين على الظلم، فقال ـ رحمه الله ـ في كتابه *:

« وقد استقر في بعض النفوس وخصوصا الشباب ـ على اختلاف في الشدة والضعف ـ ان الانسان اما ان يكون إلهيّاً مسالما طالبا للعافية متقوقعا جامداً و اما ان يكون ماديا متحرراً ومناضلا معاديا للاستعمار والاستثمار والاستبداد»!

---

* الدوافع نحو المادية ص ١٠٧ ـ ١١١

اما لماذا وجدت هذه الفكرة طريقها الى اذهان الشباب؟ ولماذا اقترنت المادية بهذه الخاصة، في حين اقترنت الإلهية بتلك؟ ومن اين يستفاد ذلك من المادية او من الدين؟!

فان جواب ذلك واضح، اذ لايلزم عند هؤلاء، ان يستنبط ذلك من تعاليم كل من المبدأين،ولا ربط للشباب بهذا الاستنباط المنطقي ذلك انه يرى شيئا واحدا يكفيه للاستنتاج! انه يرى ان الثورات والصراعات في كل مكان يقودها الماديون اما الإلهيون فهم على العموم في الطرف الساكن الجامد! ان هذا يكفي دليلا ومحفزاً للطبقة الشابة كي تستنتج تلك النتيجة وتحكم ضد المبدأ الإلهي مؤيدة المادية.

ولا مجال لانكار حقيقة ان الجزء المهم من الصراع البطولي ضد الاستبداد والاستعمار في الحال الحاضر يقوده أناس لهم ميول مادية ــ ان قليلا او كثيرا ــ ولا تردد في أنهم يشغلون مواقع البطولة الى حد كبير فهم الى حد معين قد خصوا انفسهم بخاصية مقارعة الاستعمار والنضال ضده. كما انه يجب الاعتراف بان الحماس للمفاهيم الدينية في عصرنا قد قَلّ.

واذا ادركنا مدى الردود التي يحدثها الظلم لدى الطبقات المحرومة والمظلومة، كما ادركنا الى جنب ذلك غريزة الكمال وحب البطولة المغروسة في أعماق الانسان، اذا أدركنا كل هذا عرفنا القيمة الايجابية التي تمنحها هذه الدعاية العلمية للمادية والقيمة السلبية لذلك السلوك العملي لدى الإلهين في التضعيف والنفور من المعسكر الإلهي.

وهذا الامر غريب جدا فالواقع يقتضي أن يكون الامر على العكس. اذ انه من لوازم الايمان بالله تعالى ومعرفته ان يترفع الانسان عن الاهداف المادية و يستهدف ما وراءها مضحيا بما يمتلك،على خلاف المادية التي تربط الانسان ــ بالطبع ــ بالمادة والماديات وما يرتبط بحياته الفردية الشخصية ضمن الاطار المادي للحياة فقط.

وعلاوة على هذا نجد ان التاريخ يؤكد لنا دائما ان الذين كانوا يقفون على مر التاريخ ضد الفراعنة والجبابرة و يدكون معاقل الشيطان هم الانبياء واتباعهم اذ كانوا هم المحركين لقوى الايمان في الطبقات المحرومة المستثمرة ضد الطبقات الغنية المترفة والقرآن الكريم يقول في سورة القصص:

«ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم

الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»[١]

و يقول في موضع آخر:

«وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين. وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين»[٢]

وهنا تلوح لنا آية أخرى موضحة سلوك اتباع الانبياء عندما يتمكنون في الارض اذ يقول تعالى في وصفهم:

«الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور»[٣]

فهم يعملون على أي حال وسواء وصلوا الى الغاية المرجوة أم لا فذلك أمر تابع لسلسة العلل والمصالح التي هي بيد الله.

كما انه ورد في آيات سورة القصص ان الله يريد ان يجعلهم أئمة وهناك آية اخرى في سورة السجدة توضح من هم الائمة وما هي خصائصهم؟ اذ يقول:

«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»[٤] و يقول القرآن في موضع آخر:

«فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما»[٥].

و يقول ايضا:

«ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص»[٦]

و يعرض لنا في موضع اخر ــ هدفهم البطولي فيقول على لسانهم:

---

١ ــ القصص، الآية: ٥ ــ ٧.

٢ ــ آل عمران، الآية ١٤٦ ــ ١٤٩.

٣ ــ الحج، الآية: ٤١.

٤ ــ الم السجدة،الآية: ٢٤

٥ ــ النساء، الآية: ٩٥

٦ ــ الصف، الآية: ٥

«ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»

ولا ينحصر الامر بهذه الايات فما اكثرها في القرآن الكريم... ولكن هل يمكن ان نتصور حماسا فوق هذا الحماس؟

ان القرآن حافل بآيات البعث والحماس والدفع نحو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم تراجع الإلهيون عن مواقع الثورة ــ والحال هذه ــ واحتله الماديون؟

قد يكون الجواب سهلا بالنسبة للاديان الاخرى ــ غير الاسلام ــ الا ان الذي هو غريب حقا ان يترك اتباع القرآن هذا الموقع.. ولا عجب من الكنيسة ذلك لانها كانت تطعن وتشمت ــ لقرون عديدة ــ بالاسلام و بنيه وقرآنه وتنعى عليه تركه الصوامع والرهبانية وانطلاقه الى الحياة ووقوفه امام الظلم والظالمين والمتحكمين في النفوس، وعدم عمله بقاعدة «ما لله لله وما لقيصر لقيصر!» نعم لاعجب منها ولكن العجب كل العجب من اتباع القرآن!

اننا نعتقد ان تخلية هذا الموقع من الإلهيين واحتلاله من قبل الماديين ينتميان كل الى علة مستقلة عن الاخرى.

فقد اخلي موقع البطولة وقيادة النهضة ضد الظالمين من قبل الإلهيين نتيجة سريان روح التقاعس وطلب العافية والراحة في من ادعوا لانفسهم القيادة الدينية و بتعبير اصح فان هذه الظاهرة حدثت يوم أن تسلم القيادة اناس يتطلبون قبل كل شيء العافية والدنيا ــ او كما تعبر النصوص ــ أناس من أهل الدنيا بدل الانبياء وقادة الدين الحقيقيين. وهكذا ربى أولئك المدعون الناس غلطا على روحية تخالف تماما الروحية التي أرادها الانبياء لهم وان كان هناك شبه بين الحالتين فليس الا شبها في المنظر والمظهر لاغير.

وطبيعي ان يحول هؤلاء المفاهيم الدينية و يوجهوها وجهة تسقط عنهم التكاليف الكثيرة وتنسجم مع طلبهم للتقاعد والتقاعس والراحة. وقد حرفوا ــ عن عمد او لا عمد ــ بعض المفاهيم الدينية واستعملوها ضد الدين نفسه.

هذا، وقد قلنا للمؤتمر: اننا لوكنا مددنا الجسور مع الشاه المجرم لكنا اليوم في مستنقع الضلال والاستعمار.

---

١ ــ البقرة، الآية: ٢٥٠.

النموذج الخامس: ضرورة وجود ارضية لتطبيق النظام الاسلامي

وهذه فكرة اخرى طرحها بعض المفكرين الاجلة، داعيا الشباب لعدم الاستعجال في مطالبة الحكومات بالتطبيق الاسلامي الكامل، نظرا لضرورة توفر الارضية اللازمة لذلك.

وقد اوضح الوفد الايراني بهذا الصدد: أن فكرة لزوم توفير المقدمات، والجو المناسب لتطبيق الحكم، فكرة جيدة مخلصة، ولها جذورها في الواقعية الاسلامية، والتطبيق الاسلامي الاول، ولا ينكرها احد، الا ان طرحها هنا ــ في مورد التعامل مع الحكام ــ امر لا مورد له، وقد لاحظته الثورة الاسلامية في ايران عندالتطبيق ــ كما نعتقد ــ فيجب ان نذكر هنا ببعض النقاط:

(١) ــ اننا نخشى ان تتحول هذه الدعوة الى ذريعة يتذرع بها الحكام (نحن نعلم جميعا من هم؟) فيؤخروا او يستوعبوا عملية المطالبة بتطبيق الاسلام، باعتبار ان الارضية المناسبة لها لم تتحقق بعدز او ربما اكتفوا بتطبيق بعض الاحكام الجزئية وتركوا الأمر الاعظم، الى حين توفر الارضية المناسبة.

اذكر ــ بهذا الصدد ــ انه عندما نجحت النهضة الوطنية ــ كما اسموها اصطلاحا ــ في ايران، وجاء الدكتور مصدق الى سدة الحكم، طلب منه آية الله الكاشاني (وكان هو بطل النهضة الواقعي) ان يحرم الخمر، فتذرع بان ذلك يوجه ضرراً اقتصاديا للخزينة العامة، فما كان من المرحوم آية الله الكاشاني الا ان اعطاه وعدا، بانه لو حرم الخمر، فانه سيطلب من الشعب ان يضيف شيئا بسيطا الى قيمة السكر، ليعوض به اضعاف ما تخسره الخزينة بتحريم الخمر، الا ان (مصدقا) ــ نظراً لطبيعته الليبرالية المنحرفة ــ لم يستجب لذلك، الأمر الذي افقده رصيده الشعبي، وسهل القضاء عليه.

(٢) ــ اليس من حق علمائنا وشبابنا ان يأنسوا في الحكام اتجاها حقيقيا نحو التطبيق؟ اننا نجد هذا أمرا مستغربا في كثير من الاقطار.

(٣) ــ ان هناك احكاما اسلامية لاتحتاج الى ارضية، او أن ارضيتها متوفرة حتما في المجتمع. فلماذا لايقومون بتطبيقها لو كانوا صادقين؟ وهل تحتاج عملية تحريم الخمر، او القمار، او البلاجات الخليعة، (التي ينتهك فيها القرآن الكريم علنا). و امثالها، الى ارضية غير متوفرة فعلا؟!

(٤) ــ ان البدء بتطبيق بعض الاحكام الجزئية يجب ان يتم في اطار التطبيق الكامل للاسلام، برؤاه الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، وعليه، فيجب ان يعتبر تطبيق الاحكام الجزئية مقدمة، وأرضية مناسبة لتطبيق باقي الاحكام ــ الا أن يكون تطبيقها لمجرد الاستهلاك المحلي كما يقولون.

(٥) ــ ثم الا يمكن ان نتساءل، وان نعلن عن حقنا في المطالبة برفض تلك النظم الوضعية، التي لا تنسجم بطبيعتها مع طبيعة الانسان الشرقي المسلم، فهي بالتالي لا تمتلك ارضية مناسبة في مجتمعاتنا، ولكنها مع ذلك تفرض علينا فرضا.

يقول الشهيد آية الله الصدر في مقدمة كتابه (اقتصادنا):

«وقد اخذ بعض المفكرين الأوربيين يدركون هذه الحقيقة ايضا، و يلمحون اليها، معترفين بأن مناهجهم لا تتفق مع طبيعة العالم الاسلامي، واذكر ــ كمثال على ذلك ــ جاك او ستروي، فقد سجل هذه الملاحظة بوضوح في كتابه (التنمية الاقتصادية) بالرغم من أنه لم يستطع ان يبرز التسلسل الفني والمنطقي لتكون الاخلاقية الاوربية، وتكون الاخلاقية الاسلامية، وترتب حلقاتها، والأبعاد الكاملة لمحتوى كل من الاخلاقيتين، وتورط في عدة أخطاء...».

النموذج السادس: النظر الى الاعمال الخادعة على انها اعمال حقيقية

وبالتحديد، فان الكثير من ممثلي بعض البلدان الاسلامية، اعتبروا ما اعلن في بلادهم من سعي نحو تطبيق الاسلام، امورا حقيقية، تمثل سعي حكامها الى ذلك. الا أن الواقع الذي لايمكن انكاره: ان الكثير من هؤلاء، يخفي دوافع أخرى، اقلها ــ كمامر ــ هو احتواء الصحوة واليقظة فهناك الكثير من التساؤلات التي تطرح لتكشف عن اللعبة.

فلماذا يتم اعلان تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان، تماما، على أثر انتهاء المناورات العسكرية الامريكية السودانية المعروفة الدوافع؟

وما معنى هذا التطبيق، في وقت يزج فيه عشرات الالاف، من الجيش والمرتزقة السودانيين، لحرب الجمهورية الاسلامية الايرانية.

ولماذا تم هذا الاعلان بعد تعاظم الحركة المعارضة؟

وما معنى اعلان الملك الحسن عن التزامه بالاسلام وتطبيقه لنظام الحسبة، تزامنا مع الخطوات الصهيونية، التي قام بها، من تمرير السادات الى القدس، الى توفير جو لقاء النظام الاردني مع ممثلي اسرائيل الغاصبة، الى المؤتمرات التي ارجعت مصر كمب ديفيد الى الصف الاسلامي الحكومي، وانتهاءً بالمؤتمر الصهيوني الاخير، الذي عقد تحت رعاية الحكومة المغربية، وهناك الكثير من الاسئلة الاخرى، التي تكشف عن النوايا الحقيقية لهؤلاء.

النموذج السابع: مبدأ ولاية الفقيه، وفكرة الانتظار

فقد لاحظنا ان هاتين الفكرتين لم تتوضحا جيدا:

اذ قال احد المفكرين: ان اخواننا الشيعة عاشوا في جمود ـ نتيجة هذه الفكرة ـ حتى جاء الامام الخميني بفكرة ولاية الفقيه، و بعث هذه النهضة، واقام دولته!

وقد ناقش الوفد الايراني هذا المعنى موضحا:

اولا: حقيقة فكرة الانتظار. وأنها ـ بدلا من ذلك التصور السلبي ـ تحمل مفهوما ايجابيا، باعتبار ان المنتظر الحقيقي للامام المهدي، هو ذلك الشخص الذي اعد نفسه لينخرط في جيش يراد له ان يقيم حكم الاسلام في العالم كله، وهذا يعني لزوم الاعداد النفسي الضخم، ولزوم تهيئة الارضية الاجتماعية والدولية، لتحقق تلك الفكرة.

ثانيا: ان تحرك العلماء في مدرسة اهل البيت ضد الظالمين، على مدى العصور، امر لايمكن ان ينكره احد، و يكفينا ان نشير اخيرا الى دورهم الريادي في النهضة المشروطة في ايران، والثورة الاسلامية في العراق ـ ثورة العشرين ـ وغيرهما.

ثالثا: ان فكرة ولاية الفقيه لم يأت بها الامام القائد كفكرة جديدة، وانما استمدت اصولها من الروايات ومن طبيعة المدرسة، وتحدث عنها العلماء الاخرون، قديما وحديثا. نعم لقد كان للامام القائد دوره الرائع في تأصيلها في النفوس، وتحويلها الى نظام يلتحم مع الجوهر الاخر (الشورى)، ليشكلا اساسين رائعين لنظام اسلامي متكامل، في مجال الحكم.

النموذج الثامن: العلماء وتسلم المسؤولية السياسية

ونقدم هذا كنموذج أخير لما اردنا عرضه:

فقد طرحت فكرة انفصال العلماء عن تسلم المسؤولية السياسية، واكتفائهم بالتوجيه والارشاد، وهي فكرة، لو اخذت على اطلاقها، لكانت من أخطر الافكار، ذلك ان الاسلام اراد للعلماء ان يمثلوا دور الانبياء في الحركة الحضارية، (العلماء ورثة الانبياء) وهذا يعني انه اراد لهم ان يحملوا المسؤولية الدينية بكل ابعادها، ومن هذه الابعاد الجانب السياسي والاداري بلاريب، فاي تقاعس عن هذه المسؤولية، واي انزواء وتحجر وتقوقع يعني نكوصا ونكولا عن المسؤولية بلاريب، و يعني استسلاما للمصالحة التي تمت في الغرب بين السياسين ورجال الدين لاغير، في حين ان هذا ينسجم مع العقلية الغربية، لا مع العقلية الاسلامية، والتصور القرآني لعلاقة الدين بالحياة.

لقد وقع العلماء في خطأ صنع الثورة وتسليمها الى العناصر التي لا تؤمن بالاسلام في ايران مرتين، مرة عند المشروطة واخرى عندما سمي بالنهضة الوطنية، التي جاءت بالدكتور مصدق الى الحكم، ولكن هذا الخطألم يتكرر في الثورة الاسلامية المباركة، رغم المحاولات التي قام بها الليبراليون لعزل العلماء عن قيادة الامة، والتي باءت بالفشل الذريع.

واننا لنجد الخطأ نفسه يتكرر في ثورة العشرين في العراق، وربما في اماكن اخرى في عالمنا الاسلامي.

النقطة الثالثة

تقيم عام للنماذج المذكورة:

و بكثير من حسن الظن، نجد ان الافكار الماضية على اطلاقها ـ كما قلنا ـ لا تنفع في مد الصحوة وترشيدها الترشيد الصحيح، بل وربما أدت احيانا الى انحرافها او احتوائها احتواءً قاتلا.

الا ان الملاحظ ـ رغم كل ذلك ـ هو ان العناصر الايجابية كانت اكبر بكثير من هذه الافكار، فقد كان نفس طرح موضوع الصحوة الاسلامية في ظل الثورة الجزائرية العظيمة، وذلك العطاء الثر الذي قدمه المفكرون على صعيد

ترشيدها، ووعي الشباب المسلم في الجزائر للغث والسمين، وجو الحرية الفكرية الذي ساد الملتقى، وفوق كل ذلك توفيق الله وهدايته للملتقين، نعم كان كل ذلك، السبب الذي يؤدي بنا الى الحكم على الملتقى بالنجاح الباهر في ايصال الحقيقة الى العالم الاسلامي.

ولا ننسى هنا ان نذكر بالدور المهم الذي ادته توضيحات السادة المعلقين والعلماء وتعقيباتهم ومن جملتها تعقيبات الوفد الايراني في مجال تحقق النتيجة المذكورة.

النقطة الرابعة:

من المظاهر الجديدة في المؤتمر، دعوة بعض الاساتذة المتأثرين بالفكر الغربي الى حد كبير، من مثل الاستاذ محمد اركون رئيس قسم الدراسات الاسلامية في الجامعة الفرنسية، وغيره، حيث منحوا الحرية في ان يقولوا مالديهم، ثم جرت مناقشات حرة جيدة ونافعة، عادت على الجميع بخير كثير.

وكمثال على ذلك، ما طرحه الاستاذ اركون من أفكار بشكل سريع، لقلة الوقت، ولكنه عبر عن الكثير من مكنونات نفسه وفكره، وطرح افكارا خطيرة منها:

ــ فكرة ادخال المدلول في الدلالة اللغوية، الامر الذي استفدت منه، أنه يريد جعل اية عملية فكرية نتيجة لتأثيرات اللغة، وقد سألته شخصيا: هل يمكن التفكير دون لغة؟ فاجابني بالنفي ــ مما اكدلي ــ تلك الاستفادة.

ــ ومنها فكرة لزوم اخضاع الظاهرة الدينية للظواهر الاجتماعية الاخرى،

ــ ومنها فكرة لزوم تحكيم نتائج الدراسات الاجتماعية والنفسية في مجال فهم النصوص الدينية.

ــ كما كان منها فكرة منع العقل من الكلام في الامور الغيبية،

ــ ومنها التساؤل عما قدمته الفلسفة الاسلامية من عطاء.

واخيرا، قدم اقتراحا غامضا في مجال تغيير مفهوم الاسطورة، على انه كان غامضا في مجموع ما قدم من افكار، وذلك على طريقة الفكر الغربي العامة.

وقد اثارت هذه المحاضرة عاصفة من الاعتراضات من قبل الاساتذة والطلبة، وتراوحت التعقيبات ــ التي اخذت شطرا كبيرا من وقت اليوم الاخير

للملتق ــ بين: تعقيبات علمية دقيقة، وأخرى اقرب الى اطالة الكلام منها الى المناقشة العلمية، في حين كانت بعض التعقيبات غير واردة.

وقد اشترك الوفد الايراني في مناقشة بعض النقاط السابقة، مناقشة موضوعية ــ كما نتصور ــ محللا مسألة علاقة اللفظ بالمعنى، وموضحا مسألة استغلال الفكر المادي الغربي لنتائج بحوث بافلوف في التعليم لطرح فكرة تبعية الفكر عموما للغة، وجعله ظاهرة اجتماعية متأخرة، و بالتالي منح الاولوية للعوامل المادية في تحريك التاريخ، وقد تمت مناقشة ذلك، من خلال التأكيد على اصالة الفكر الانساني، والبديهيات التي يملكها على طول الخط، دون ان تتأثر باي تغير اجتماعي، كما تم تحليل حاجة الانسان بشكل طبيعي الى اللغة وان ذلك على اساس ان تكون افكاره في ذهنه، وسعيه لنقلها الى الاخرين.

وتم بعض الحديث عن بافلوف، ونظريته الآنفة:

هذا بالنسبة للمسألة الاولى.

اما بالنسبة للمسألة الثانية فقد تمت مناقشات مطولة. منها: ان الظاهرة الدينية ان اريد منها الدين نفسه ــ بما فيه من عقيدة ــ ونظام ــ فهي أمر لايدرس في اطار الظواهر الاجتماعية، وانما هو فوق التاريخ والمجتمع، آت من الله خالق كل ذلك، وان قصد منها نشوء هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية، فان ذلك يعزى لنزعة دينية فطرية في الانسان اما لو اريد من ذلك دراسة تأثيرات الظاهرة الدينية على المسيرة الاجتماعية، فلا مانع من دراسة التأثيرات المتبادلة.

واما مسألة منع العقل في الحديث عن عالم الغيب، فقد أشرنا الى ان هناك بعض الاتجاهات الجاخدة، التي تمنع ذلك، الا ان الاتجاه الصحيح هو الذي يفسح المجال للحديث العقلي الفلسفي ــ في مجالات مختلفة من الغيب ــ كالتوحيد الإلهي، والصفات، والقضاء والقــدر، وما الى ذلك. وكلها مسائل غيبية، للعقل فيها رأيه القاطع. نعم هناك مجالات هي اكبر من العقل، فهو يعرف عندها حدوده و يقف خاشعا.

اما التساؤل عما قدمته الفلسفة الاسلامية، فقد كانت في الاجابة عنه اشارة الى التجديد الرائع للفلسفة الاسلامية في المسيرة العقلية، والى ضعف العقل الغربي أمامها، وانه مازال يحبو في قبالها، عاجزا عن حل مشكلات فكرية ضخمة، كمشكلة العلة الاولى، ومفهوم التكامل، والحركة، والزمان، وغيرها. في حين

قطعت الفلسفة اشواطا رائعة في هذا السبيل.

وانتهت المناقشة بخاتمة طيبة، حيث وقف الدكتور المذكور يستغفر الله عما اذنب، فشكره الشيخ الغزالي، وتمنى له الموفقية، بالتالي ختم النقاش بالخير.

النقطة الخامسة: مع عطاء الثورة الاسلامية المباركة في ايران للصحوة الاسلامية في العالم

والذي لاحظته من خلال كل اللقاءات بالاساتذة والمفكرين والمسؤولين أنهم يحملون تقديرا خاصا للثورة المباركة، و يدعون الله تعالى لها ان تنتصر على كل العقبات التى زرعها الاستعمار في طريقها.

اما نصيب الثورة الاسلامية من المحاضرات فقد كانت الفكرة التي طرحتها في محاضرتي، عن كونها من اعظم العوامل التي اوجدت هذه الصحوة، موضع احترام الجميع، فلم يعترض عليها احد، الا أن الاستاذ الدكتور مهدي، استاذ الجامعة في الامارات العربية المتحدة، علق على المحاضرة، بذكر لقاءتم له في اوائل الثورة مع وفد ايراني زار الامارات آنذاك ، وطرح عليه الاستاذ بعض المقترحات، والخصها فيما يلي: —

اولا: كان من الصحيح ان تطلقوا لفظة نهضة على ماحدث في ايران، بدلا من كلمة ثورة.

ثانيا: من الضروري تشكيل مجلس اسلامي عام، من العلماء، من جميع اقطار العالم الاسلامي، ليقوموا برفد الثورة، بالتخطيط والتشريع.

ثالثا: من اللازم قيام جيش اسلامي تطوعي عام، تشكله الجمهورية الاسلامية، ليدافع عن كل منطقة اسلامية، يعتدى عليها.

رابعا: من الضروري ان تعتبر ايران نفسها دار هجرة للمسلمين المطاردين.

خامسا: يجب الاسراع في تطبيق الاسلام وتقديم النموذج الاسلامي الحي.

سادسا: لزوم توجيه الدعوة —بالحسنى— الى جميع اقطار العالم.

سابعا: ضرورة تعاون الحكومات في الاقطار الاسلامية مع الجمهورية الاسلامية، لتقوم بحمل العبء الثقيل.

وطلب في الختام ان اوضح له ما تم في هذا المجال.

ورغم قلة المدة الممنوحة لي للرد على هذا التساؤل المهم فقد وفقني الله

لتقديم بعض التوضيحات التي الخصها فيمايلي:

اولا: ان مصطلح (ثورة اسلامية) يعني العمل التغييري الشامل على طريق التكامل الذي يتصوره الاسلام. ومن هنا فما قمنا به ينطبق عليه مفهوم ثورة اسلامية، انطباقا تاما.

ثانيا: ان الثورة الاسلامية قد طلبت من العلماء ــ في شتى بقاع العالم ــ ان يرفدوها ــ بشتى ارائهم ــ حول الدستور الاسلامي المقترح، و بالفعل، وصلت الى مجلس الخبراء ــ الذي انتخبه الشعب ــ ردود و أطروحات كثيرة، وربما كانت بالمئات، وعكف عليها العلماء الخبراء، وتوصلوا فيها الى الشكل الموجود، وفعلا وافق عليه الشعب بتلك الاغلبية الساحقة. ومع كل ذلك ، فالاقتراحات البناءة يمكنها ان ترفد مسيرة تطبيق الدستور والقوانين التنفيذية المختلفة دائما، فاهلا وسهلا بكل اقتراح.

ثالثا: نود ان نقول: ان الجمهورية الاسلامية باشرت بتشكيل الجيش الاسلامي الضخم، جيش العشرين مليونا، ليؤدي مهمته الاسلامية الكبرى، وفي طليعتها تحرير القدس من شر الصهاينة الغاصبين.

رابعا: ان ايران اليوم: هي دار هجرة المؤمنين المطاردين في كل مكان، وعندنا منهم أكثر من مليون افغاني، وعشرات الالوف من العراقيين، والكثير الكثير من المؤمنين، وهم يعيشون بين أخوة لهم كرام، و يعملون في سبيل القضاء على النظم العميلة في بلادهم.

خامسا: كان هناك عمل دائب على تطبيق الاسلام، في شتى نواحي الحياة؛ القضاء، الاعلام، التربية، الجو الاجتماعي العام، الاقتصاد، وهناك برامج نموذجية، رائعة الأثر، طبقت في مختلف المجالات، ويمكن لاي اخ كريم ان يزور الجمهورية الاسلامية ليشهد ــ عن كثب ــ عملية التطبيق الرائع للاسلام على كل مجالات الحياة، ولئن كنا لم نوفق بعد للوصول الى الصورة المثلى، فنحن ــ بحمدالله ــ على الطريق سائرون، ومن الله التوفيق والنجاح.

سادسا: وقد قامت الثورة الاسلامية بتوجيه الدعوة بالحسنى الى الجميع، الا أن مخططات العدو حاولت المستحيل، لتشوه تلك الدعوة.

سابعا: اما مدى تعاون الحكومات في الاقطار الاسلامية، فهو امر متروك للاستاذ نفسه ليجيب عنه!!

وعلى اي حال، فقد تحدث مختلف الاساتذة عن الثورة الاسلامية، فذكر الدكتور احمدبن نعمان ــعضو المجلس الاسلامي الاعلى بالجزائرــ الدور العظيم الذي لعبته الثورة الاسلامية في ايجاد الصحوة، وذكر الحاضرين بقولة وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، موشي دايان، الذي وصف الثورة بانها: زلزال هزّ الارض.

كما تحدث عنها الاستاذ الدكتور عمار الطالبي، مدير معهد العلوم الاسلامية بجامعة الجزائر، وعضو المجلس الاسلامي الاعلى في الجزائر.

واعتبر الاستاذ فهمي هو يدي ــ المشرف على الوكالة الاسلامية للاعلام في بريطانياــ الثورة الاسلامية اعظم مظهر للصحوة الاسلامية، وهو امر يشكر عليه. كما ان الاستاذ الدكتور اهاشمي التيجاني ــ استاذ الحضارة الاسلامية في جامعة الجزائرــ نوه بالصحوة الاسلامية التي اوجدها الامام الخميني القائد.

وهكذا اشار الشيخ القرضاوي الى الثورة الكبرى التي قادها الامام القائد.

وكذا فعل الاستاذ عبدالرزاق قسوم استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر.

الا ان الشيء الذي ينبغي ذكره هو تغافل البعض الاخر عن هذا الدور العظيم، ومحاولة التغطية عليه، بل اننا راينا احد الاساتذة ــ من المغربــ يتحول عن الحديث عن اسباب الصحوة (وهو عنوان محاضرته)، الى الحديث عن مظاهر الصحوة فقط، والذي نعتقده ان الجو السياسي في المغرب ــ بلاريب ــ لايسمح له بالطبع للتعرض لدور الثورة الاسلامية، في ايجاد هذه الصحوة الكبرى.

والواقع؛

ان الانسان لايستطيع ان يصف تلك المشاعر الصادقة، التي عبر عنها الشباب المسلم في الجزائر، من دعاء للامام القائد بالنصر، وطلب الاطمئنان على صحته، والتساؤل عن مدى التقدم الذي حققته الثورة في المجالات المختلفة.

ولا انسى ايضا ان اذكر ان مختلف الاساتذة كانوا يعبرون عن مشاعر صادقة رائعة حتى ان استاذا مصريا سألني السؤال التالي:

ــ ترى هل تعلمونــ انتمــ مدى الحب والتقدير الذي تملكونه في قلوب ابناء الشعب المصري؟ واضاف: ان لي صديقا، من عائلة فنية لاصلة لها بالدين، ولكنه يدافع عن الثورة، كما يدافع عن وجوده هو.

وكانت لحظة رائعة، رايت فيها اصدق مشاعر الحب.

وانحنى على اذني قائد جزائري بطل ليقول لي: أبلغ الامام القائد تحياتي الحارة، ودعائي له بالنصر المؤزر. وراح شيخ آخر يحدثني عن عرفان الامام وعظمة مقامه. كما راح بعض الاساتذة الجامعيين يشدون على يدي، طالبين الاصرار على مواصلة الدرب، نحو تطبيق الاسلام، وتحدي القوى العظمى.

وقال لي استاذ من الجزيرة العربية: ان القلوب كلها معكم، ولا تعبر مواقف الحكومات عن مواقف الشعوب.

والواقع ان الجو العام كان جو التأييد التام للثورة الاسلامية، فلم يكن يضره محاولة بعض الآتين من نظم رجعية لا ثارة بعض البلبلة في اذهان الشباب اذ كانوا يلقون الرد عليهم من الشباب نفسه.

اما مسألة الحرب، فرغم الغموض الذي كان يكتنفها، فان التوضيحات التي قدمت كان لها أثرها الكبير في اعطاء الصورة الحقيقية لها، وعدم الانخداع بالصورة المنحرفة عنها.

في الجلسة الختامية

هذا، وقد كانت الجلسة الختامية للمؤتمر ــ بعد جلسات طويلة عقدت قبلها ــ لإنهاء اعمال المؤتمر، مما اضطر اللجنة المشرفة، لعقدها بعد الساعة العاشرة ليلا، وقد اختتم المؤتمر بكلمة قيمة للاستاذ الشيخ عبدالرحمن شيبان، جاء فيها:

ايها السادة العلماء:

انكم برهنتم، في تناولكم موقف المسلمين من الحضارة المعاصرة، على تفتح واع، وفكر أصيل، حين أجمعتم على أن موقفكم ليس موقف المعرضين عنها برمتها، اعراض جمود وتحجر؛ ولا موقف المقبلين عليها اقبال انبهار وتبعية؛ بل هو موقف الراشدين الواعين الذين يأخذون من هذه الحضارة كل ما هو صالح ومفيد؛ و يرفضون كل ما هو فاسد، يضر بالحياة السوية للافراد والجماعات.

ولم تكتفوا بذلك، ولكنكم ألححتم على وجوب مضاعفة الجهد، للقضاء على التخلف في جميع أشكاله وميادينه، وتحقيق الاكتفاء في الانتاج، بجميع أنواعه، لكيلا يبقى المسلمون عالة على غيرهم، يستهلكون نتاج حضارة لم يساهموا في صنعها.

وطالبتم بضرورة الأخذ بأسباب القوة والتقدم العلمي، والتكنولوجي،

والعمل من أجل الانتقال من مرحلة الاستهلاك والتبعية، الى مرحلة التفاعل الايجابي مع الحضارة المعاصرة، والمساهمة في اثرائها وتقويمها؛

وأكدتم أن هذا ــ كله ــ لايتحقق، الا اذا كانت صحوتنا المباركة متكاملة متوازنة، شاملة شمول اسلامنا، تستغل ثروات بلادها لخير شعوبها، وتستثمر طاقات أبنائها وبناتها، حتى تبصر بعينين، وتحلق الى المجد بجناحين؛ فنطور معاهدنا التكوينية، في جميع الاختصاصات العلمية، ونزودها بأحسن الخبرات، في تكوين الرجال؛ مستعينين في كل ذلك بالامخاخ المغتربة، هنا و هناك ، كمانثري جامعاتنا الاسلامية، ببرامج أصيلة عصرية متطورة؛ تجمع بين الفهم الصحيح للاسلام، والادراك الواعي لطبيعة العصر ومقتضياته.

هذا، وقد أصدر المؤتمر توصيات عديدة؛ الا اننا لم نستطع الحصول على نسخة كاملة منها، لذا، نكتفي ببعض توصيات اللجنة الاولى:

(١) ــ ضرورة تدريس مادة النهضة الاسلامية المعاصرة في كل مكان، وصناعة وتوزيع الافلام الهادفة عنها.

(٢) ــ تشجيع المؤلفين والكتاب الاسلاميين، على تأليف الكتب والمقالات، في مجال تحليل النهضة الاسلامية المعاصرة، وتقييمها، ونقدها، وطرح الحلول المناسبة للعقبات التي تعترض سبيلها، والمقترحات التي تحقق لها نجاحا اكبر.

(٣) ــ دعم واسناد قضايا الصحوة اسلامية واتجاهاتها الكبرى، مثل تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في البلدان الاسلامية، واحياء الدور الحضاري الذي تمتاز به الشريعة الإسلامية،كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما لذلك من أثر في احياء وحفظ الشريعة الاسلامية.

(٤) ــ ضرورة مقاومة الغزو اللغوي الغربي، عبر الاعتماد على التأليفات والافلام المحلية، او ترجمة الافلام الصالحة.

(٥) ــ العمل على نشر اللغة العربية، في الاقطار الاسلامية بشكل كامل.

(٦) ــ العمل على انشاء دائرة معارف اسلامية.

(٧) ــ لزوم مشاركة الجهات المسؤولة في عملية الاشراف على الكتب والافلام الواردة.

(٨) ــ متابعة مناطق النفوذ الغربي الاستعماري، وكشفها.

(٩) ــ انشاء مراكز ابحاث في البلاد الاسلامية، على مستويين، (محلي وعالمي).

(١٠) ــ ضرورة تحرك مراكز الاعلام الاسلامي.

(١١) ــ انشاء اذاعات باللغات المختلفة للارشاد الاسلامي.

(١٢) ــ تدريس مادة (العالم الاسلامي) في مختلف الجامعات.

(١٣) ــ الطلب الى منظمة المؤتمر الاسلامي لتنشيط لجنة القانون الدولية.

(١٤) العناية بالمغتربين المسلمين.

(١٥) الدعوة لانشاء مجلس اسلامي عالمي، للاهتمام بتوحيد المسلمين، على المستويات غير السياسية.

(١٦) ــ مناشدة الجامعات الاسلامية لتقديم منح للدول الاسلامية الافريقية.

(١٧) ــ دراسة فكر الحركات الاسلامية ونشاطها، دراسة موضوعية.

(١٨) ــ مطالبة وسائل الاعلام الاسلامي بتعميق معالم الصحوة الاسلامية.

(١٩) ــ انشاء مكتبات خاصة، ومراكز ابحاث متخصصة.

(٢٠) ــ ادراج مادة فقه الدعوة الاسلامية، في مناهج الجامعات.

(٢١) ــ التعجيل بانشاء الجامعات الاسلامية ــ المتفق عليها ــ في افريقيا.

وفي ختام هذا التقرير اود ان اشكر للأخوة ــ المسؤولين الجزائريين ــ حسن استقبالهم، وكرم ضيافتهم، وسهرهم على الملتقى، وادعو لهم بالتوفيق والسداد، كما أخص بالذكر السيد سفير الجمهورية الجزائرية في طهران، على ما ابداه من تعاون، واخيرا اشكر الاخوة الكرام، في سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في الجزائر، على حفاوتهم، وتعاونهم البالغ، وخصوصا السيد السفير، راجيا المولى العلي القدير، ان يمن علينا ــ جميعا ــ بالخير والتوفيق، انه هو الموفق للصواب.

النهوض الثقافي في المجال الاعلامي

محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا شئنا أن نستوعب كل المساحة الثقافية ــ من خلال المنظور الانساني الاسلامي ــ كان من المحتم القول بانها ــ أي المساحة الثقافية ــ تمتد الى حيث تمتد التركيبة الانسانية نفسها، وهذا يعني شمولها للجوانب الانسانية الثلاثة التالية:

١ ــ الجانب التصوري والعقائدي، بما يشمل كل المفاهيم التي يملكها الانسان عن الكون والحياة و الانسان، و بالشكل الذي يتناول السنن التاريخية والقوانين الحاكمة كلها.

٢ ــ الجانب الاحساسي العاطفي، بما يشمل الغرائز والميول الاصيلة والمعدلة تبعا للتربية الخاصة، وتكوين المصاديق المتعالية، كتحويل حب الذات الضيقة الى حب للذات المتسعة الخالدة، من خلال الايمان بالآخرة.

٣ ــ الجانب السلوكي العملي، وهو بطبيعة الحال يسري لكل موقف يتخذه الانسان، حتى فيما بينه و بين نفسه، كما انه متأثر بالجانبين السابقين تمام التأثر، وخصوصا بالجانب الثاني، بعد ان فسّر المحللون النفسيون الارادة الانسانية بالشوق المؤكد، رغم ان الشوق المؤكد هو المرحلة الأخيرة التي تسبق تصميم

الانسان على العمل ــ كما نعتقد ــ فان الانسان يبقى يمتلك الحرية في احرج الضغوط العاطفية.

الترابط بين المساحات الثلاث

واذا قبلنا: الحقيقة الماضية كان علينا ان نؤمن بالكل الثقافي المترابط، وان نعتبر أي انفصال بين الأجزاء عملية مؤقتة، وأيّ قول بالفصل الدائم بين المساحات مجازفة يكذبها الوجدان والنصوص الشريفة، كما ان هذا الايمان والقبول يفتح أمامنا باباً تربوياً واعلامياً واسعاً، ننفذ من خلاله الى المقصود أولا، ونكتشف أيضا ــ عبره ــ التآمر الاعلامي على الوجود الثقافي ثانيا.

واننا اذا تأملنا واقعنا الوجداني رأينا حقيقتين مهمتين:

الأولى: هي هذا الترابط المحكم بين ابعاد الكل الثقافي الانساني بما يمكن ان يرجع كل الانسان الى المحور الواحد المسيطر وهو النفس الانسانية، فهي التي تثقف في الواقع، وان كانت المسارب أو المظاهر متفاوتة.

الثانية: انه ونتيجة لهذا الترابط وهذه الوحدة الوجدانية فان أي تنافر بين جزأين منها يعد أمرا طارئاً على التركيبة الطبيعية الانسانية سرعان ما تتغلب عليه لتحقيق الانسجام الكامل. ومن هنا نستطيع ان نفسر الكثير من النصوص القرآنية من قبيل:

قوله تعالى: «أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم». (الماعون: ٢)

وقوله تعالى: «ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بآيات الله». (الروم: ١٠)

وقوله تعالى: «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». (فاطر: ١٠)

وغيرها من النصوص الشريفة.

وعلى ضوء هاتين الحقيقتين، علينا ان نعالج ثقافتنا على كل الاصعدة، ونلاحظ مدى النفوذ الغربي فيها.

العدو يستهدف كل الجوانب

و يبدو ان العدو ــ في حملته الثقافية ــ استهدف الجوانب الثلاثة بشكل عرضي وفي آن واحد، ادراكا منه لهذا الترابط، وتحقيقا لمهمته الرئيسة، وهي قتل الشخصية الاسلامية في وجود الفرد والأمة، و بالتالي تحقيق الأرضية السهلة لعملية الاستغلال الكبرى.

فعلى الصعيد التصوري

عمل الاعلام الغربي (واسمحوا لي ان اسميه بالاعلام الاستكباري العالمي نظرا لطبيعته و دوافعه الحقيقية الكافية في طغيان الحيوانية والمادية في وجوده) عمل هذا الاعلام على التغريب الثقافي عن العقيدة والتصورات الاصيلة مستغلا فترات الجهل، والاتجاهات القشرية الخالية من روح الاسلام، والمركزة على جوانب جزئية عابرة، مكبرة اياها، وجاعلة هذه الجوانب هي محور الصراع وتضارب الآراء، عاملة ــ بالتالي ــ على نسيان التصورات الاسلامية التغييرية الكبرى، وترك الميدان الاجتماعي لكل المبادئ المدعية للعدالة والاصلاح، وهي في الواقع ضد ذلك.

ومن هنا رأينا اتجاه الكثير من جيلنا الشاب نحو المبادئ المادية التي احتلت زوراً موقع البطولة الثورية، والمطالبة بالقضاء على الظلم بعد ان أخلته هذه الآراء القشرية وابعدت المسلمين عنه ــ لسبب او لآخر ــ متغافلة عن ان الاسلام هو دين الصراع ضد التفرعن والفراعنة والطغاة، وهو دين الجهاد المتواصل ضد أي نمط من انماط الظلم والاستبداد والاستغلال.

ثم ان العدو وتأكيدا لعملية التغريب الآنفة، راح يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه الاسلام عقيدة ونظاما، وتجاه امكان تطبيق الاسلام، وهو دين المجتمع القبلي ــ كما يدّعون ــ فكيف يمكن تطبيقه في مجتمع القرن العشرين؟!

ولم تكن الشبهات عادية وانما هي تشمل الحقول الفلسفية والمنطقية تماما كما تشمل الجوانب العملية، وهذه الشبهات عندما تصب في روح الشباب الفارغ فانها تعصف برؤيته ومفاهيمه، واذا تم ذلك ضمن الاستكبار انحراف الاحساس

فـالـعمل بلاريب. واذ تمهد السبيل للنفوذ الغريب جاء دور بث الفكر الالحادي المسـمـوم لـتـحـقـيـق المـرحـلـة النهـائية من العملية، ليصاغ الانسان المسلم مبشرا للـماركسية بقيمها الواطئة أو الرأسمالية بجشعها ولؤمها، وعلى أي حال يغدو عدوا للأمة وعميلا للأجانب الأعداء.

واما على الصعيد العاطفي

فـان خـطـتـه الخـبيثة يمكن ان تتلخص بعمليتين: الأولى عملية اضعاف الـروح الأخـويـة الاسـلامـيـة، روح احـساس المسلم اينما كان بألم المسلم الآخر، واحـلال الـروح المحـلـيـة، والـقطرية، والقومية، وحتى الوطنية الضيقة وغيرها، اما الـعـمـلـيـة الثانية فهي عملية توجيه العواطف والدوافع نحو المادية السلوكية، الأمر الـذي يترك أثره على الجانبين العقائدي والعملي بكل قوة، فتتحول المادية العاطفية الى مادية عقائدية.

وقـد اسـتـغـل الاستكبار الغربي لتحقيق هذا الهدف كل الوسائل ومازال يستخدمها حتى يومنا هذا في أرضنا الاسلامية ونذكر منها:

النماذج الخلقية المنحطة، والمجلات والصحف الخليعة، والإذاعة: المسموعة والمـرئـيـة، والـسـينما والمـسـارح، ومحـلات الـدعـارة و بـيـوتها، والملاهي والمراقص والحـفـلات المـاجـنـة، ومـعـسـكـرات الـشـبـاب ومنظماته، والبلاجات والمسابح المـشـتـركة، والرياضة وتعاطي الخمور، والتشجيع على استهلاك وسائل التجميل، والـتـشـجيع على ارتكاب الجريمة، ودفع المجتمع نحو المخدرات واستغلال الابداعات والاعـمـال الـفـنـيـة لهذا الـغـرض، ومـن تـلـك الفنون المستغلة: الزخرفة والرسم والموسيقى، واستغلال النتاجات الأدبية كالقصة والشعر، وتربية الشعب على تقليد الـغـرب الخـلـيـع في مختـلـف الشؤون كاللباس والسكن والسلوك ، وفسح المجال للـجـمـعـيـات والـعـنـاصر المـنـدسّة من الصهاينة والبهائية والماسونية ورواد نوادي الـروتاري والملحدين، ليساعدوا في اذكاء نار الفساد، ونشر افلام الخلاعة والفيديو واشـاعـة عـمـلـيـة المـراسـلـة غير النزيهة بين الجنسين، وتشجيع عمليات المقامرة في الـكـازيـنـوهـات العامة الكبيرة منها والصغيرة، وفي المسابقات الرياضية، وسباق الخيـل من قبل المتفرجين، وغير ذلك الكثير الكثير من الأساليب الرخيصة، ونؤكد هـنا ان الكثير من هذه الوسائل الاعلامية اكتسبت ضعتها من اهدافها الوضيعة لا

من طبيعتها كوسائل اعلامية مجردة.

وبالتالي فعلى الصعيد العملي: كان هدفه المرحلي هو ابعاد النظام الاسلامي عن توجيه الحياة الانسانية، واحلال النظم الغربية المادية محله، بشكل كلي، أو في غالب الأحوال، وهناأيضا تنوعت الأفكار التي مهد بها لهذه العملية، فشملت:

فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي.

وترويج الاتجاه الليبرالي المتحرر من التقيد بالتوجيهات الدينية.

وتحبيذ العلمانية في الحكم بكل صراحة، أو بشيء من غطاء دستوري يذكر الاسلام كدين للدولة تموبها، في حين يحجر عليه ان يصوغ مجمل الحياة الاجتماعية الا بما لا يتعارض مع المصالح الغربية والشخصية الضيقة.

وقد مهدت لهذه الفكرة افكار أخرى مخادعة من قبيل (فكرة تعقد الحياة، ولزوم التطوير في كل مجالاتها، وعدم قدرة النظم الدينية على مواكبة هذا التطور، باعتبارها تؤمن بالمطلقات التشريعية، وهذه المطلقات لا تنسجم مع عملية التغير المستمر، وكذلك فكرة التخويف من الحكومة الدينية، أو مايسمونه بالاستبداد الديني، مذكرين بما جرى في القرون الوسطى من الظلم الكنسي، وكيف وقفت الكنيسة الى جانب الاقطاع المستبد، وان هذا لاينسجم مع الدولة الديمقراطية الحديثة). وغير ذلك من الأفكار التي مهدت كما قلنا للعلمانية، فاذا بنا نجد الأرض الاسلامية تضج من وجود الحكم العلماني المطلق، دون ان يشعر اكثر الأفراد بمدى الجريمة التي ترتكب عبر ذلك.

والأنكى والأمر من ذلك، ان البعض من عملاء الغرب ووسائله الاعلامية المحلية العميلة راحت تدعو لاعادة النظر في الاسلام نفسه.

فهناك من يدعي ان الاسلام قد استنفد أغراضه التاريخية.

وهناك من يرفع نداءه طارحا فكرة (البروتستانتية الاسلامية).

وهناك من يطرح النظم الغربية. أساسا يجب ان يحور الاسلام نفسه بحيث ينسجم معها، فتجد شيوع تعبيرات (الديمقراطية الاسلامية، والاشتراكية الاسلامية... الخ).

ولما لم يجد اذنا صاغية راح البعض يطرح الأفكار التلفيقية التي تأخذ من

هذا ضغثا ومن ذاك ضغثا وتقدمه على أساس انه الاسلام المواكب لمسيرة التطور!! وهذا القسم الأخير هو أشد الاقسام خطورة على جيلنا الاسلامي الناشئ، (واذكر اننا عانينا كثيراً في ايران من كل الأفكار الماضية، الا أن الاتجاه التلفيقي بشكله الغربي أو الشرقي كان يشكل العقبة الكأداء في عملية أسلمة الحياة الاجتماعية أسلمة كاملة، الأمر الذي اضطرت الثورة الاسلامية معه الى ضربه بيد من حديد بعد أن تآمر على كل المكاسب الاسلامية).

خطوط المواجهة الاعلامية للغزو الثقافي

ونستطيع ان نميز في مجال مواجهة الغزو الثقافي الآنف على الصعيد الثقافي والاعلامي خطوطا، أهمها خطان:

اولاً ــ الخط الاعلامي الثوري البناء: وقد امتاز هذا الخط بميزات منها:

أ ــ وعيه للاسلام وعيا نافذا، وادراكه العميق الأصيل لنظرته الحياتية التغييرية الشاملة.

ب ــ ادراكه لابعاد الغزو الثقافي ومساربه ومظاهره.

ج ــ تركيزه على محور المشكلة دون اهمال لجوانبها وفروعها وتفصيلاتها، و بالتالي دعوته للتغيير الثوري والاصلاحي في آن واحد.

د ــ تقديمه الطروحات الاسلامية للجيل، و بعث حركة ثقافية جديدة.

هـ ــ تحريك الحس الاسلامي الحماسي المطلوب وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري الجاف وهذا النوع هو الذي استطاع ان يقدم خدمات جلى على صعيد المواجهة و ينقذ الأمة من وهدتها.

ثانياً ــ الخط الاعلامي السطحي: والذي تميز بما يلي:

أ ــ بطرح الاسلام شعارا براقا، والتذكير بالامجاد دونما عمل على تقديم الطروحات الحياتية.

ب ــ بتشجيع الاصلاحات الجانبية والغض عن الكثير منها خوفا من الانفلات.

جـ ــ باتباع أسلوب المساومة السياسية مع الحكام المرتبطين، مهما بلغ بهم الارتباط، والاكتفاء منهم ببعض الظواهر الكاذبة.

هذا ومن الطبيعي ان يتجه الحكام ــ بعد وضوح عدم صحة الهجوم

السافر ضد الاسلام ــ لاستغلال الاتجاه الثاني غطاء لما يريدونه هم في الحقيقة من أهداف ماكرة، و ينضوي في هذا الخط معظم مايمكن تسميته اليوم بالاعلام الاسلامي الرسمي، الذي يمجد هذا الملك أو ذاك الرئيس، و يصنع منه بطل الاسلام المأمول، وهو يدرك في قرارة نفسه اكثر من غيره أنه لايعدل ان يكون وجودا تافها، مسيرا من قبل العدو نفسه.

ولهذا نجد جماهيرنا المسلمة تمجّ هذا الاسلوب، وترفض التعامل معه كاعلام اسلامي، مما افقده تأثيره، لا على صعيد المواجهة فحسب، بل وحتى على صعيد التأثير الجزئي، فلم يعد يحقق حتى ما يقصده العملاء ــ من خلال تسخيره ــ من تخدير وتغطية، وامامنا تجارب حديثة جداً، حاول فيها امثال هؤلاء التمو يه وتشو يه الإرادة الاسلامية من خلال اعلام واسع الأبعاد وعلى الصعيد العالمي، فكذبتها الجماهير المسلمة واسقطتها من على عروشها العاجية.

الاعلام القرآني جوهر النهوض

واذا اردنا ان ننهض في مجال الاعلام المواجه والمربي في آن واحد، لم يكن لنا من سبيل الا سبيل القرآن والدعوة القرآنية، اننا مسلمون قبل كل شيء، لنا تصوراتنا ونماذجنا الخاصة بنا، والمستقاة من خالق الكون العليم بما يصلحه، والقرآن هو نموذجنا الأسمى في شتى المجالات، فهو (الكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع) وهو (ناطق لايعيا لسانه، و بيت لاتهدم اركانه وعز لاتهزم اعوانه) وهو (كتاب الله تبصرون به وتنطقون به، وتسمعون به)، فعلينا ان نعطف الرأي على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأي، فهو (البحر الذي لا يدرك قعره)[1].

انه كتاب التوعية، والتوعية في الاسلام تسبق أية خطوة أخرى:

الاسلام دين التوعية والتربية.. وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي انسان يراد له أن ينظم الى معسكره وأي مجتمع يراد للاسلام ان ينفذ الى عمقه... انه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم ان قيمتها ستنكشف بكل وضوح للجميع.. ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، و يدعو للبحث والبرهنة، (قل هاتوا برهانكم) وهو يرفض أي عملية اكراه عقائدي (لااكراه في الدين)،

---

(١) نصوص متفرقة عن الامام علي (ع) ــ تلميذ القرآن وتلميذ الرسول المبعوث بالقرآن ــ في نهج البلاغة.

كما يريد من الأمة ان تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها وبصيرتها...، وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

«أدع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، انّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين». (النحل: ١٢٥).

«فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم..» (الشورى: ١٥)

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين». (فصلت: ٣٣)

«قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» (يوسف: ١٠٨).

وفي هذا يقول شهيد الثورة الاسلامية الكبرى، آية الله السيد الصدر في كتابه (اقتصادنا):

«و الأمر الآخر: ان يبدأ الدعاة الاسلاميون ــ قبل كل شيء ــ بالاعلان عن رسالتهم الاسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززةً بالحجج والبراهين، حتى اذا تمّت للاسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرين على رفض النور.. عند ذلك لايوجد أمام الدعوة الاسلامية ــ بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للانسانية ــ الاّ ان تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح» (ص ٢٧٥ ج/١).

وقد جاء في كتاب الكافي للمرحوم الكليني عن الصادق (ع) قوله:

«قال أميرالمؤمنين (ع): بعثني رسول الله (ص) الى اليمن، فقال: ياعلي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه الى الاسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عزّوجلّ على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي». (وسائل الشيعة ج / ١١ ص ٣٠).

انه اسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى وهارون (ع): «اذهبا الى فرعون انه طغى ۞ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى». (طه: ٤٣ ــ ٤٤)

انها الدعوة ــ حتى عند مواجهة الطواغيت ــ عسى ان يهتدوا الى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة (أدعوك بدعاية الاسلام) في رسالته الى كسرى انوشيروان، وقيصر امبراطور الروم تطبيقا لهذا التعليم الاسلامي السامي.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوة الى الأقطار. وقد ذكرت اسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أرسلوا لتحقيق واجب الدعوة الى الله، ومنهم:

عبدالله بن حذافة السهمي ــ مبعوث الرسول الى ايران.

حاطب بن ابي بلتعة ــ مبعوث الرسول الى مصر لدعوة المقوقس.

دحية الكلبي ــ مبعوث الرسول الى روما.

عمرو بن أمية ــ مبعوث الرسول الى الحبشة.

سليط بن عمرو ــ مبعوث الرسول الى اليمامة.

عمرو بن العاص ــ مبعوث الرسول الى عمان.

حرملة بن زيد ــ مع وفد معه الى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الاحمر.

المهاجر بن ابي امته ــ مبعوث الرسول الى ملوك حمير.

خالد بن الوليد ــ مبعوث الرسول الى همدان (مدينة قرب بحر عمان).

علي بن ابي طالب (ع) ــ مبعوثه الثاني الى هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان ــ مبعوث الاسلام الى الهند.

عبدالله بن عوسجة ــ مبعوث الرسول الى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ــ مبعوث الرسول الى قبائل ذي الكلاع الحميري.

وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة الى الشعوب.

واذا أردنا ان نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا ان نلحظها في بعثات الايضاح المرسلة من هنا الى هناك ، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية، وفي مذكرات الايضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة الى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الاسلامية: انها تنظر لعملية التوعية والايضاح كرسالة الهية ومبدأ ضروري يجب الالتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية أو سياسية أو غيرها تجاه الدول الأخرى.

اما ما نجده من السياسة الماكرة القائمة بالفعل فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية باعتبارها مناورة سياسية، فاذا لزم الأمر، قلبت الحقائق، وتغيرت الموازين.

الهدف الرئيس والأهداف المرحلية للاعلام

الهدف الرئيس ـ بكل اختصار ـ هو تعبيد الأرض لله تعالى، وايجاد المجتمع المؤمن العابد المحقق لخلافة الله في الأرض، واذا وجد مثل هذا المجتمع، فانه سيكون الأمة الوسط التي تطمح الأمم للوصول الى مستواها، والأمة الشاهدة على البشرية جمعاء، باعتبار مالها من علو حضاري، نفسي ومادي وحينئذ سيكون الدين كله لله، و يتحقق هدف الخلقة الانسانية «وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦).

ويجب ان تصب كل التشريعات والسلوكات والأقوال والأفعال وتتسمّر كل الاحداق بهذا الهدف الكبير الكبير، وتسترخص الغوالي لتحقيقه، انه عظيم ترخص في قباله دماء الأنبياء والطاهرين وجهود الصالحين عبر التاريخ.

الا أن هناك اهدافا مرحلية (تنتهي الى ذلك الهدف الكبير) يعمل الاعلام القرآني على الوصول اليها بشتى الوسائل الممكنة فما هي ؟

نستطيع ان نذكر اهم هذه الأهداف المرحلية في النقاط التالية:

الأولى: ترشيد انسانية الانسان: ذلك ان للانسانية خصائص ومعالم اذا رشدت ونميت ضمنت للانسان مسيرة متوازنة، اما اذا تلاشت من على سطح الوجود الانساني، فحينئذ يكون الفسق عن السبيل القويم، وحينئذ تكون المسيرة المكبة على وجهها، وعندئذٍ يتوقع الاجرام كله، وهذه المعالم باختصار هي (التعقل السليم، والارادة الحرة، والخلقية الفطرية والدوافع المنضبطة)، واذا لم نكن هنا بصدد عرض البرنامج الاسلامي، الواسع الابعاد، لترشيد هذه الجوانب فان من الطبيعي الاشارة الى بعض مكوناته حينما نتحدث عن الاساليب الاعلامية.

الثانية: التوعية بالاسلام عقيدة ومفاهيم وتشريعا، باعتباره السبيل الوحيد للوصول الى ذلك الهدف الكبير، وكلما تعمق وعي الأفراد لهذه الرسالة، وطروحاتها وخططها وحلولها للمشاكل الانسانية، واتضحت معالم الفرق بينها و بين المبادئ الوضعية و بانت خصائصها الرئيسة، استطاع المجتمع المسلم ان يخطو

على طريق الهدف الكبير خطى أسرع، وأثبت في نفس الوقت.

الثالثة: التوعية بكل ما يحيط بالأمة من احداث وظواهر ومؤامرات وتفاعلات لها كلها أثرها على تعيين المواقف المبدئية والمتحركة.

الرابعة: ايجاد الأرضية الصالحة لتطبيق الاسلام، في كل الأرض الاسلامية، و بالتالي في شتى انحاء العالم، و يشمل هذا الجانب أموراً نتحدث عنها في الأساليب التفصيلية.

الخامسة: تحقيق معالم الفرد المسلم والأمة المسلمة.

العدة المطلوبة والأسلوب الأمثل

اما العدة المطلوبة للاعلام الاسلامي العامل على النهوض والمقاومة فيمكن تلخيصها بمايلي:

الأول: القدرة العلمية والثقافية الى الحد المستوعب لكل جوانب الاسلام والاهداف العامة. فليس من المعقول ان يطلب من الاعلام تحقيق الأهداف السالفة دون ان يكون مزودا بمثل هذه القدرة، ويمكننا ان نرد الكثير من نقاط الضعف الاعلامية الى افتقادها، وتواجد السطحية في الفهم.

الثاني: الاستيعاب اللازم للفهم الاجتماعي العام، ومعرفة التحرك العالمي السياسي والاجتماعي واساليبه، ومحاوره، وتوفر الخبراء الهادفين والمحققين بكل جدارة.

الثالث: معرفة اساليب العرض، أو مايمكن ان نطلق عليه بفن الاعلام المناسب، وهو بالضبط ماكان قدماؤنا يطلقون عليه اسم (معرفة حال المخاطب)، فيجب ان نعرف من نخاطب، وكيف نخاطب، وأنى يتم ذلك ؟ وهذا هو مضمون التحلي بالحكمة في مجال الدعوة الى الله.

الرابع: الايمان العميق الواعي بالاسلام واهدافه الكبرى، وتأصل ذلك في نفوس الاعلاميين الى الحد الذي يحملهم على التضحية بكل غال ورخيص في سبيل الهدف السامي.

الخامس: التخلص من كل تبعية، أو ضيق أفق، أو مصلحة شخصية، والتجرد من كل ذلك لصالح الحقيقة.

والواقع اننا نعتقد انه يكمن في هذه النقطة احد أهم شروط النهضة

الاعلامية، وان اعلامنا الاسلامي اليوم مبتلى في الكثير الكثير من مقولاته بالتبعية للحكومات المتسلطة على شعوبها بالحديد والنار، فهو لايعدو أن يكون دمية تتحرك بارادة الحاكم القزم، وباتجاه تحقيق مصالحه.

والا فبماذا نسمي اعلاما ينتسب للاسلام وهو يسكت عن كل انماط الخيانة الأخلاقية، أو الخيانة الاقتصادية، أو الانحراف السياسي والعمالة المفضوحة، او الاستسلام للعدو الصهيوني الغاشم، أو يردد نفس تهم الاستكبار العالمي ضد أبطال المقاومة الاسلامية، أو يدعو للتستر على الجرائم، وربما بلغ من النذالة الى الحد الذي يعلن فيه ان فكرة الحكم الاسلامي فكرة لااسلامية، لا لشيء، الا ليرضي الحكم المسلط على رقاب الشعب، والاليبارك قبضة الجلاد التي تشد الخناق على رقبة الجيل المسلم المتوثب، أو قد يبلغ بهم الأمر الى مهاجمة الانبياء كداوود وسليمان (عليهما السلام) لأغراض قومية وما الى ذلك. أو ربما اتجهوا الى التأكيد الى اللغات غير العربية مع اهمال العربية نفسها أو المحلية العامية تنفيذا للمآرب الاستعمارية.

السادس: ملاحظة الأرضية الايمانية المتوفرة في اوساط الامة الاسلامية، فانها خير مساعد وعدة على الانطلاق الاعلامي في المسبح المناسب، وتتجلى لنا اهمية هذا العنصر حينما ندرك انه بنفسه شكل سد المقاومة الرئيس أمام الهجوم الاعلامي الغريب حيث تخلى عن الساحة حتى اولياؤها الفكريون والسياسيون.

السابع: التمتع بالخصائص القرآنية الاعلامية: وهذه الخصائص واسعة الأبعاد قد لايمكن الاحاطة بها الا لدراسة تحقيقية عميقة، ومن هنا فاننا نكتفي بالاشارة للبعض منها بما يتناسب وحجم هذا الحديث، ومانذكره منها فيمايلي:

اولا: استحضار النظرة الغيبية الى جانب الحسابات المادية وذلك في كل تحليل أو توقع مستقبلي والابتعاد عن النظرة المادية الحسابية الجافة فان التصورات القرآنية المعطاة تؤكد ان المسيرة المنسجمة مع العدل تنسجم معها القوى الطبيعية القائمة في خلقتها على نفس الأساس، في حين لايتوفر الانسجام المطلوب مع الانحراف، وهو ما يلخصه المقطعان القرآنيان الكريمان:

«فاكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب». (الفجر: ١٣)

«... استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليهم مدارا ويمددكم

باموال و بنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً» (نوح : ١٠ ــ ١٢)

وكذلك كل النظرات الاسلامية في التاريخ والحياة والانسان ومن ذلك ماقلناه من الترابط بين أجزاء التركيبة الانسانية.

ثانياً: الموضوعية والاتصاف بروح التبعية للحقيقة ــ أيا كانت ــ وحتى لو خالفت مصلحة شخصية، أو استدعت التضحية الغالية. و يبالغ القرآن في تحقيق الروح الموضوعية، وعدم النظر الى الواقع الموضوعي من خلال رؤية مسبقة الى الحد الذي يدعو فيه الخصم الى افتراض نقطة الصفر في الحوار، وعدم الايمان بشيء والانطلاق منها الى الحقيقة الموضوعية فيقول مخاطبا الكفار «وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (سبأ: ٢٤).

ثالثاً: الهدفية في كل خطوة: ذلك ان الهدفية لا تتنافى مطلقا مع الموضوعية في التصور الاسلامي، لأن المؤمن مطمئن تمام الاطمئنان ان الحقيقة الموضوعية ــ مهما كانت ــ تشكل آية من آيات الله تعالى وهدى اليه تعالى.

واذا انعكست الهدفية على حياة الداعية العامل، صرف النظر عن كل انماط اللهو السخيف، والتضييع الوقتي فيما لاطائل تحته، و بالتالي لاتجد في نماذجنا الاعلامية ما يهدر هذا الوقت الثمين.

ان الهدفية القرآنية نلحظها في كل قصة، وفي كل مثل، وفي كل عبارة، ففي كل موضوع عبرة، ومع كل حديث اعتبار، وكل شيء يعبر عن مادة للدراسة وخدمة الهدف من خلالها.

«لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب» (يوسف: ١١١)

و يكفي ان نتابع أية قصة قرآنية لنكتشف الهدفية التي تتجلى أروع تجل.

رابعاً: التنسيق والانسجام بين كل الخطوات والجوانب وذلك انعكاسا للتنسيق القرآني فاذا الصورة المتشعبة تسودها روح واحدة، وهذه الخصيصة نتيجة طبيعية للخصائص السابقة وخصوصا الهدفية بعد افتراض وحدة الهدف وشموله لكل جوانب التصور وأي اختلال فيها يعني الانقلاب على الهدف «كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون»(الصف: ٣) في حين تتضاعف السرعة الى الهدف عند التناسق «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» (فاطر: ١٠).

واذا لاحظنا ضرورة هذه الخصيصة للتأثير المطلوب ادركنا سر ضياع الكثير من الأفكار الصحيحة المطروحة في اعلامنا اليوم بعد ان كانت تكذبها

الأعمال والأطر المنافقة والمساومة، والأقوال الأخرى من صاحب الفكرة نفسه.

خامساً: الواقعية والتفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية، وعدم الغرق في تصورات طوبائية، فان من خصائص القرآن الكريم أنه رغم كونه دستورا عاما لكل المسيرة البشرية، كان ينسجم مع ما يبدو من ظواهر، و يعالجها على ضوء تلك التصورات العامة الأصلية، «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما» (المجادلة: ١).

«واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله ان يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين». (الانفال: ٧)

و ينبغي هنا ان نذكر باننا نقصد بالواقعية هنا ملاحظة الواقع والعمل على تطويره الى المفروض، لامايبدو أحيانا من تفسيرات تتجه بالواقعية الى عملية الاذعان للواقع، والتلون وفق متطلباته اذعانا واستسلاما له.

والواقعية تتطلب ان تطرح الأساليب البديلة الصحيحة عند العمل لاصلاح ظاهرة منحرفة، وذلك نظير ما نلحظه في الآية الكريمة على لسان لوط (ع):

«هؤلاء بناتي هن أطهر لكم». (هود: ٧٨).

وما نجده في تعبير الامام علي ــ عليه السلام ــ حين يعمل على محو التعصب القبلي المقيت، بطرح التعصب لمكارم الخلال حين يقول:

«و اما الاغنياء من مترفة الأمم، فتعصبوا لآثار مواقع النّعم فقالوا: «نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين» فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، و يعاسيب القبائل...» (نهج البلاغة ص ٢٩٥).

سادسا: المنطقية في العرض والابتعاد عن السطحية، ان القرآن يربي المسلم على التأمل والبرهنة والتعقل واستقراء الأدلة القوية ومن ثم اصدار الحكم «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» (البقرة: ١١١)، اما الاتهامات الواهية، أو حتى التوقعات التي لا تمتلك دليلا من الواقع، وطرح الآراء ونسبتها الى الاسلام فهو الانحراف الكبير «الله اذن لكم ام على الله تفترون» (يونس: ٥٩)، ومن هنا يتخلص الاعلام الاسلامي من ركام المقالات والتحليلات الواهية، التي تترك أثرها السلبي على الأفكار، وتلقي بتبعاتها على كواهل هؤلاء الكتاب والمحللين، ولا

استطيع هنا تحديد المساحة التي يجب ان تحذف من الاعلام المتداول في مناطقنا الاسلامية ــ حين تطبيق هذا الشرط ــ الا أنني متأكد من لزوم حذف المساحة الكبيرة مما ينشر بلاريب.

سابعاً: التفاعل الوجداني الحراري العاطفي مع الهدف وحمل هم الرسالة للعمل على زرع الحماس الاسلامي للقضية الاسلامية من خلال ذلك.

ان كلام الداعية يجب ان يكشف للسامعين عن تألمه لقضيته وحماسه لأهدافه، وخشوعه امام ربه وكلماته العليا، وتفاعله معها، وهو أمر يربيه القرآن في نفوس اتباعه.

«كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله». (الزمر : ٢٣)

«الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» (الحديد: ١٦).

ثامنا: الاخلاقية الاعلامية، ونعني بها الالتزام الكامل بالأخلاق الاسلامية في المجال الاعلامي فلا يلقى القول على عواهنه، ولا تشاع الفاحشة، ولايتهم المؤمن، ولايردّ على القضاء، ولا تمنى روح التحاسد والتباغض والتحاقد، ولا تستخدم الالفاظ التي تمجها الأخلاقية الاسلامية. وانما يعمل الاعلام الاسلامي على توفر البيئة الصالحة التي تتفتح فيها الفطرة عن طاقاتها المبدعة، و بالتالي: تسير بالانسان نحو اهدافه الاصلية.

يقول القرآن الكريم واصفا المؤمنين بقوله: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما و الذين يبيتون لربهم سجدا و قياما، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا، والذين لايشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا،

والـذيـن يـقـولـون ربـنـا هـب لـنـا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما» (الفرقان: ٦٣ ــ ٧٤).

تاسعا: تنويع الأساليب الاعلامية: وهو مقتضى تطبيق مبدأي الحكمة، والموعظة الحسنة:

والحديث عن تنوع الأساليب القرآنية بالذات حديث واسع، فالقرآن بأساليبه الرائعة استطاع ان يصوغ أمة هي في طليعة البشر من شراذم متخلفة، كانت تتعثر خلف المسيرة البشرية...، و يكفي هنا ان نشير ــ مثلا ــ الى روعة الاستفادة من أسلوب الجمل المعترضة او العبارات المعترضة في الحديث لتحقيق الهدف المطلوب، وتبدو لنا هذه الروعة اذا تأملنا كلمة (سبحانه) في الآية القرآنية الشريفة «ويجعلون لله البنات ــ سبحانه ــ ولهم ما يشتهون» (النحل: ٥٧) والحديث هنا كما قلنا واسع الأبعاد.

عاشرا: العالمية في الاهتمام: وذلك انطلاقا من عالمية الاسلام نفسه، وسعيه لحل مشكلات الانسانية جمعاء، ومن هنا فان أي دراسة أو اهتمام محلي يجب ان يتم في هذا الاطار العالمي العام، وعلى هذا الضوء يجب ان يهتم الاعلام الاسلامي بقضايا المظلومين والمحرومين والمستضعفين، و يتفاعل معها بكل حرارة، في حين يقف امام كل حركة استكبارية يقوم بها الطغاة المجرمون.

حادي عشر: رصد التحركات التآمرية للشياطين على وجود الأمة الاسلامية، والعمل على توعية الأمة بها بشكل دائم، انها اذن المرابطة الدائرة في هذا المجال، والمرابطة عمل جهادي يندب القرآن الأمة اليه، وانه الحذر الدائم «انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم...» (الأعراف: ٢٧) وهي مهمة جسيمة يجب ان ينهض بها الاعلام الاسلامي.

ثاني عشر: التأكيد على النقاط المشتركة الجامعة، ومن ثم الاتجاه لحل الخلافات في النقاط المختلف عليها، وهذا احد أساليب الحكمة في الدعوة.

«قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألآنعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». (آل عمران : ٦٤).

وأخيرا فان ما اشرنا اليه من خصائص لايستوعب حتى الجزء الأكبر من الخصائص الاعلامية للمعجزة الاسلامية الاعلامية (القرآن الكريم) وانما ذكرنا

مايفتح الأبواب امام دراسة موسعة في هذا المجال.

ولئن كان حديثنا سريعا كالمعتاد في مثل هذه المؤتمرات فانه وضع الكثير من النقاط على الحروف ــ في مجال الاعلام الاسلامي ــ على أمل ان يساهم في دفعه نحو موضعه الطبيعي الذي أهله الاسلام له.

والله نسأل ان يوفقنا للقيام بواجبنا في مجال حمل الاسلام الى الأرض كلها و مواكبة الصحوة الاسلامية الكبرى التي أعقبت نجاح الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني فأشعلت الأمل في كل القلوب وشدت الخطى نحو تحقيق الأمل الكبير. والله الموفق

تقرير
عن الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي
المنعقد
في
الجزائر ــ بجاية
بتاريخ

٨ ــ ١٦ تموز (يوليو) ١٩٨٥

١٩ ــ ٢٧ شوال ١٤٠٥

١٧ ــ ٢٥ تير ١٣٦٤

محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

انعقد في الفترة مابين (١٩ ــ ٢٧) شوال ١٤٠٥ هـ الموافق (٨ ــ ١٦) تموز (يوليو) ١٩٨٥ والمصادف أيضا لـ (١٧ــ ٢٥ تير ١٣٦٤هـ.ش) وفي مدينة بجاية الجزائرية، وهي مدينة عريقة في اصالتها وجهادها، الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي، وقد وفقت انا والدكتور جعفر شهيدي أستاذ الأدب الفارسي والتاريخ الاسلامي في جامعة طهران لحضوره من قبل الجمهورية الاسلامية في ايران.

ولهذا الملتقى مكانة خاصة في الفكر الاسلامي نظرا لما يتمتع به من خصائص وميزات. اذكر منها:

· اولاً: تاريخه الممتد نسبيا الى اوائل سنيّ نجاح الثورة الجزائرية حيث انعقد على التوالي تسعة عشر عاما ليرفد الفكر الاسلامي في كل عام بالجديد من الافكار.

والحقيقة هي ان المؤتمر يمثل جزءاً من حملة التخلص من النفوذ الثقافي الغربي بلا ريب.. فانه بعد ان رحل الاستعمار الفرنسي الكاسر كانت مظاهره ما تزال قائمة ومنها الكنائس الكثيرة التي حاول بها تنصير الشعب الجزائري، كما ان منها تعميم اللغة الفرنسية بين الجزائريين ومنعهم من تداول العربية ثم ان من ابرز

مظاهره هذا التحلل الأخلاقي، وأخيراً هذا النقص في فهم الاسلام والالتقاء بمفاهيمه.

الا أن الشعب الجزائري بمقتضي طبيعته الاسلامية وثورته الاسلامية وروحه الثورية التي لاتهدأ شعلةً في سبيل الحق عمل على نفي مظاهر الغرب فتحولت الكثير من الكنائس الى مساجد، ونجحت سياسة التعريب بشكل مقبول والحمدلله، وكان هذا الملتقى عملا على مد جسور اللقاء الفكري مع المفكرين من شتى انحاء العالم. اما مظاهر الفساد الأخلاقي فرغم أنها اليوم لا تملك حدتها على عهد الاستعمار الا ان هناك منها بقية واضحة نرجو ان يتخلص منها المؤمنون الجزائريون لتكتمل التجربة.

ثانياً ــ حضور جمع كبير من مفكري العالم الاسلامي في دورات هذا الملتقى وإسهامهم في اثرائه ومنحه تلك المكانة المتميزة، ومن الجدير بالذكر انه روعي في انتخابهم تنوع مناطقهم وتخصصاتهم مما يمنح العملية الفكرية شمولا أكثر.

فعلى سبيل المثال حاضرت الشخصيات التالية في المواضيع المقابلة لاسمائها:

الشيخ محمد الغزالي ــ مصر: التحدي وآخر خط للدفاع عن العرب والمسلمين.

الدكتور رجاء غارودي ــ فرنسا : اهم الاتجاهات الفكرية السائدة في العالم المعاصر والثقافة الاسلامية.

الاستاذ مولود قاسم ــ الجزائر: بجاية لقنت اوروبا علوم الاسلام بلغة العروبة.

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ــ سورية: تأملات في معنى الثقافة الاسلامية.

الدكتور عبدالحليم الجندي ــ مصر: القرآن الكريم وطريقة التفكير المعاصر.

الدكتور عمار الطالبي ــ الجزائر: الصراع الفكري والمستشرقون.

الدكتور عبدالله التركي ــ السعودية: حول الغزو الثقافي.

الاستاذ معمركان ــ السنغال: الآثار الثقافية للاستقلال والتنمية في البلدان.

الدكتور احمدبن نعمان ــ الجزائر: الغزو اللغوي: اسبابه ونتائجه ومواجهته.

الدكتور عبدالله كامل كتاني ــ المغرب: الغزو اللغوي بين الممارسة والرفض والتحدي.

الدكتور الطيب. أ. محمد ــ نيجيريا: آثار الغزو الثقافي على مناهج التربية والتراث.

الدكتور عبدالرزاق قسوم ــ الجزائر: الغزو الثقافي في المهجر بواسطة الكتب المدرسية. الفرنسية.

الاستاذ محمد المصطفى سي ــ السنغال: الغزو الثقافي وأثره في التكوين والتربية.

الدكتور عبدالحليم عويس ــ مصر: الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.

الدكتور عبدالهادي التازي ــ المغرب: الغزو الثقافي من خلال العلوم الاجتماعية.

الشيخ محمد علي التسخيري ــ ايران: النهوض الفكري في المجال الاعلامي.

الدكتور محمد سيد محمد ــ مصر: الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.

الدكتور احمد سيدمحمد ــ مصر: الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.

الاستاذ فهمي هويدي ــ مصر: الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.

الدكتور محمد اركون ــ فرنسا: مفهوم الغزو الثقافي ومهمات الفكر الاسلامي.

الدكتور عبدالمجيد مزيان ــ الجزائر: امانة التوحيد وامانة الانسانية في الفكر الاسلامي المعاصر.

الدكتور احمد عروة ــ الجزائر: الثقافة الغربية بمعيار الاسلام.

الدكتور عبدالله الاوصيف ــ تونس: الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال الفكر .

الدكتور طه جابر العلواني ــ امريكا: وضع منهجية علمية لتقديم المعرفة في اطار اسلامي.

الدكتور جعفر شهيدي ــ ايران: الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال

الفكر.

الشيخ حسن عبدالساتر ـ لبنان: حول الغزو الثقافي.

الدكتور علي مراد ـ فرنسا: نحو دينامية اسلامية شاملة.

السيد عبدالرحمن شيبان ـ الجزائر: كلمتا الافتتاح والاختتام في الموضوع.

ومن الملاحظ هنا حضور جمع غفير من علماء الجزائر وكذلك حضور عدد كبير من المفكرين المسلمين الافريقيين وخصوصا أساتذة السنغال الأمر الذي وفر جوا خاصا للمؤتمر هذا العام.

ثالثاً ـ موضوعه المهم فقد كان هذا العام يركز على (الغزو الثقافي الغربي وموقف المجتمع المعاصر منه) وهو من أهم المواضيع التي يجب ان يكتشف المسلمون جميعا ابعادها ومساربها و بالتالي عليهم العمل لنفي كل آثارها من حياتهم اذا ارادوا لأنفسهم نهضة محلقة غير مثقلة بقيود الكفر والانحراف في الرؤية والعواطف والسلوك .

رابعا ـ حضور عدد كبير من الشباب الجزائري المؤمن المنتخب من شتى انحاء الجزائر مما يعطي الملتقى كل عام طابعا خاصا و حيوية وسعة،والشباب الجزائري يتمتع بخصائص الطهر الفطري، والايمان الواعي، والثورية المستمرة، والتطلع نحو المعرفة.وهي صفات تؤهله لصنع مستقبله الاسلامي دائما.

خامسا ـ التغطية الاعلامية الجيدة من قبل وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة.وقد أخبرني البعض بان التلفزة الجزائرية بثت طول العام مقاطع من الملتقى مما يترك أكبر الأثر في عملية التوعية.

سادساً ـ طول الملتقى النسبي فقد طال حوالي ثمانية أيام مما زاد في اثرائه وكشف عن صبر جيد لتلقي العلم وحل المشكلات.

* * *

نشاطات الوفد الايراني

هذا وقد كان الوفد الاسلامي الايراني نشطا ـ كعادته في الملتقيات السابقة الأمر الذي لاحظه جميع الحاضرين، ويمكننا ان نلخص أهم هذه النشاطات بما يلي :

اولاً ــ القاء محاضرتين

احداهما بعنوان (النهوض الثقافي في المجال الاعلامي)

والأخرى بعنوان (الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال الفكر)

وقد تناولت في محاضرتي: «النهوض الثقافي في المجال الاعلامي».

بيـان المسـاحـة الـثـقـافـيـة من وجهة النظر الاسلامية وانها تشمل الجوانب الثلاثة (العقائدية، العاطفية، العملية) وان العدو أدرك الترابط بينها فراح يقوم بحملة منظمة يهاجم بها المساحات الثلاث، وقد عرضت في المحاضرة مختلف الأساليب الاعلامية التي استخدمها لضرب هذه المساحات الثقافية، وفي الفصل التالي تحدثت عن خطين رئيسين من خطوط المواجهة الاعلامية للغزو الثقافي. (الخط الثوري البناء، والخط الاعلامي السطحي) وبينت مزايا كل منهما مبينا فشل الخط الثاني ورفض الجماهير المسلمة له، بعد ذلك دعوت لتحلي إعلامنا الاسلامي بخصائص الاعلام القــرآني، باعتبار ما للقرآن من اعجاز اعلامي، وذكرت ان الهدف الرئيس لاعلامنا الاسلامي يجب ان يتلخص في تعبيد الأرض لله تعالى وايجاد المجتمع المؤمن، ولكي يتحقق هذا الهدف الرئيس يجب ان تستهدف أهدافاً مرحلية هي:

أ ــ العمل على ترشيد انسانية الانسان.

ب ــ التوعية بالاسلام عقيدة ومفاهيم وتشريعات.

جـ التوعية بكل ما يحيط بالأمة من ملابسات.

د ــ ايجاد الأرضية الصالحة لتطبيق الاسلام.

هـ ــ تحقيق معالم الفرد والمجتمع المسلم.

ولما كانت هذه الأهداف عظيمة فان من اللازم تهيئة العدة الضرورية وهي:

أولاً ــ القدرة العلمية والثقافية الى حد استيعاب الاسلام ونظراته.

ثانياً ــ الاستيعاب اللازم للفهم الاجتماعي العام.

ثالثاً ــ معرفة أساليب العرض الأمثل.

رابعاً ــ الايمان العميق الواعي بالاسلام.

خامساً ــ التخلص من كل تبعية أو ذيلية أو ضيق افق أو مصلحة شخصية.

سادساً ــ ملاحظة مدى الأرضية الايمانية المتوفرة في اوساط الأمة المسلمة.

سابعاً ــ التمتع بالخصائص القرآنية الاعلامية وقد ذكرت منها بعضها وهي:

١ ــ استحضار النظرة الغيبية عند التحليل والتنبؤ.
٢ ــ الموضوعية.
٣ ــ الهدفية في كل خطوة.
٤ ــ التنسيق بين الخطوات.
٥ ــ الواقعية والتفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية.
٦ ــ المنطقية والبرهنة والابتعاد عن السطحية في العرض.
٧ ــ التفاعل الوجداني مع الهدف.
٨ ــ الأخلاقية الاعلامية.
٩ ــ تنويع الأساليب الاعلامية.
١٠ ــ العالمية في الاهتمام.
١١ ــ التأكيد على النقاط المشتركة الجامعة.

هذا وقد عرضت محاضرة الأستاذ الدكتور جعفر شهيدي الخطوات الكبرى التي قامت بها الثورة في مجال مواجهة الغزو الثقافي فقدمت بذلك أروع نموذج للعودة الى الاسلام.

ثانياً ــ كما قام الوفد باعطاء كثير من التوضيحات ــ من خلال التعقيبات والأجوبة على التعقيبات ــ حول القضايا الكثيرة التي تهم عالمنا الاسلامي اليوم وها انا اذكر فيما يلي أهم هذه التوضيحات باختصار.

التوضيح الأول: لاحظنا من خلال أحديثنا أو من خلال بعض المحاولات التي قام بها بعض المحاضرين، أو التعقيبات ان هناك عملا حثيثا من قبل الاستكبار العالمي وأذنابه من خلال استغلال جهل البعض، وتعصب البعض الآخر، وعمالة الآخرين لزرع الفرقة بين المسلمين، وبث الشبهات حول التشيع لأهل البيت عليهم السلام وهم حصن الاسلام الحصين وكهفه المتين، ونسبة التهم الكثيرة الى مذهبهم لكي ينفر المسلمون منه، وبالتالي لكي يحققوا ــ كما يتوهمون ــ الفجوة

بين جماهير الأمة الاسلامية والثورة الاسلامية المباركة التي هزت قلاع الاستكبار وزلزلت عروش عملائه. هذا بالاضافة لتمزيق الصفوف واحياء النعرات والعصبيات المذهبية. وشل الأمة عن القيام بمسؤوليتها التاريخية التي تعاظمت بنجاح الثورة الاسلامية المباركة بقيادة امام المسلمين الخميني الكبير حفظه الله.

الا أن كلمة الوفد الاسلامي، وأجوبته التوضيحية حول مسائل من قبيل (الموقف من الصحابة الاجلاء) و (خرافة تحريف القرآن) و (العصمة) و (بعض الاحكام الفقهية المختلف فيها) قد قلبت الأمر الى العكس واوضحت للجميع ان سبيل التفاهم والتقارب والوحدة الاسلامية هو السبيل الأمثل، ولا ننسى هنا الدور الايجابي الذي لعبه حضور شخصيات لامعة عملت من قبل في التقريب من امثال الشيخ محمد الغزالي والشيخ عبدالعزيز محمد عيسى والدكتور عبدالحليم الجندي ــ في مجال افشال خطة التمزيق الآنفة ــ كما كانت جهود المشرفين على الملتقى وعلى رأسهم السيد الوزير مؤثرة جدا في البين واخيرا فمن الجدير بالذكر ان الاستاذ الدكتور معمر كان استاذ الداراسات القانونية والتاريخية في السنغال راح ينوه بدور مدرسة أهل البيت في عملية صنع الثورة الاسلامية المباركة في ايران.

التوضيح الثاني: وربما كانت الشبهات التي يثيرها الاستكبار حول الثورة الاسلامية وقضاياها وحوادثها وبالخصوص في مسألة الحرب الظالمة التي شنها صدام المجرم ضد نظامها الاسلامي هي الأمور التي واجهتنا في المرحلة التالية الا أن الموقف هنا كان كسابقه؛ فبعد قليل من التوضيح .واعطاء الخبر والموقف الصحيح كانت الأسارير تتهلل والقلوب تنفرج واذكر هنا ان الحرب كانت تأخذ الكثير من وقت المناقشات وكنا نوضح للاخوة المفكرين والشباب طبيعة النظام الصدامي الحاكم في العراق المتكونة من قاعدة كافرة تنكر النسب السماوي للاسلام، وتعتبره ظاهرة عربية وتعمل على جعل حزبها الوريث الوحيد لهذه الظاهرة بشتى الأساليب التحريفية، وكذلك وضحنا ما نتج عن هذه القاعدة من عدوانية بغيضة سواء على الشعب العراقي نفسه بتنفيذ خطة ارهابية شاملة لاقتلاع معالم الاسلام من وجوده (ولو كان الاسلام يقتلع بالارهاب لاقتلع من روسيا مثلا!) وذلك بضرب العلماء والمؤمنين، وحشد المنهج التربوي بالافكار المنحرفة وتغيير اسماء المدن، وبث الخلاعة ومحاربة الطقوس الدينية وغير ذلك .

وكان مما وضحناه من طبيعة نظام البعث الحاكم في العراق عدم التزامه

بأي معاهدة دولية مهما كانت سواء كانت في مجال عدم استخدام الأسلحة الكيمياوية أو عدم ضرب المفاعلات النووية، أو عدم الاعتداء على الطيران المدني أو غير ذلك

كما أوضحنا المحاولات الفاشلة التي قامت بها الرجعية للاستدلال بآية الاصلاح في القرآن لايقاف الانتصار الرائع ومحوه. مؤكدين أنها من أول الأمر لا تشمل هذا المورد، وانما الذي يشمله حكم الافساد في الأرض ولا جزاء له الا المحو والقضاء على الفتنة اينما كانت.

الا أن أغرب ما سمعناه هو التساؤل الذي طرح من قبل بعض الأساتذه الأجلاء حول مدى صحة استخدام لفظ الثورة الاسلامية وحول ضرورة بعث الحماس الثوري واستعجال الشيء قبل اوانه معتبرا الثورة منحصرة في مفهوم السعي لتغيير نظام ما طفرة وقسرة كالثورة البريطانية، والفرنسية. في حين ان الاسلام يؤكد على التغيير بالموعظة الحسنة. وأخيرا قبل الأستاذ الكريم ان نسمي العمل على نفي الاستكبار في داخل النفس الانسانية ثورة.

وقد ذكرت في جواب الأستاذ اننا نعني بالثورة عملية التغيير المحوري الشامل دونما اهمال للتغييرات الاصلاحية وذلك كله على طريق التكامل الانساني؛ فكل عمل في هذا الاطار هو عمل ثوري أصيل. ولايعني هذا أيا من السلبيات التي ذكرها الاستاذ كانحصار الأمر بالتغيير الآني، وعدم الوعي في التحرك ومحاولة فرض النظام على الأمة فرضا. فكل هذا لم يحدث لا في الثورة الاسلامية الكبرى بقيادة الثائر الانساني الأول رسول الله(ص) ولا في الثورة الاسلامية المباركة في ايران والتي ترسمت خطى الثورة الأولى وعملت على احياء ايران بها من جديد.

نعم ربما وجدنا استخداما لهذه اللفظة سَيِّئاً في تطبيقات منحرفة كاطلاقها على الانقلابات العسكرية، أو حتى التحولات الكبرى كما في ثورة اكتوبر، ذلك اننا لانستطيع تسميتها بالتغيير الثوري باعتبار انها انتقلت بالمجتمعات من وهدة مادية الى وهدة مادية أخرى لا غير.

وقد ذكرتُ في سياق هذا المعنى ان الاسلام كله ثورة على طريق التكامل وتغيير المحور كما تتناول الجوانب الانسانية كلها، ونحن لاندري كيف يصح تسمية العمل ضد الاستكبار النفسي ثورة ولا يمكن تسمية العمل ضد

الاستكبار الاجتماعي ثورة؟!

ان الثورة لا تعني عدم الاعداد، كيف وان التغير الشامل يحتاج الى خطوات مقدمية كثيرة. كما لا تعني عدم الحكمة بل ان الحكمة تتخذ لها مصداقها الأقوى في عملية الاعداد الثوري. كما لا تعني استعجال الموقف، وانما تعني رصد الفرص التي تحصل واستثمارها خير استثمار.

واذا كنا نخشى من انبعاث الحماس الزائد في نفوس الشباب مما يؤدي لنسيان الحكمة أحيانا، فان أخشى ما نخشاه ان يموت الحماس في هذه الأمة وفي جماهيرها الشابة، وحينئذ نصبح كأهل الكوفة الذين كانوا يعون ان الامام الحسين ـ عليه السلام ـ كان يقف في قمة الحق وان يزيد كان يمثل الباطل المجسَّد الا أنهم كانوا يفتقدون الحماس المطلوب فكانوا كما عبر الفرزدق حين سأله الامام الحسين (ع) عن وضعهم فأجاب (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) وهي تجزيئية فظيعة ان تتجه الأيدي بسيوفها ضد القلوب بكل ما لها من خصائص.

وأخيراً أشرت الى التغييرات الكبرى التي احدثتها الثورة الاسلامية المباركة على الأصعدة الثقافية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها.

وبهذا الجواب المختصر رددت على ما نشر في احدى المجلات الباريسية للاستاذ البروفيسور محمد اركون استاذ الدراسات الاسلامية! في جامعة السوربون بباريس حيث حصر مفهوم الثورة الاسلامية بانطلاقة الاسلام الأولى وبخل بهذا الاسم ان يطلقه على الثورة المباركة في ايران وقد ناقشته شخصيا وسألته عن معاييره في هذا الادعاء واثبت له انطباقها تمام الانطباق على الخطوات الكبرى التي خطوناها في ايران فأعلن أنه بعد هذا يتراجع كل التراجع عن رأيه السابق.

ومن الجدير بالذكر بعد هذا ان انقل للقراء الأعزة هذا الشوق العظيم الذي لاحظته لدى الشباب الجزائري المسلم تجاه الثورة الاسلامية وقائدها العظيم وهذا التقدير الكبير الذي كان المفكرون يبدونه للخطوات الكبرى التي خطتها الثورة على مختلف الأصعدة.

واذكر في هذا الصدد ان استاذاً كريما من السنغال كان يستشهد بحديثه ضد اسرائيل بعبارة مشهورة للامام القائد اذ قال ما مضمونه: لو ان كل فرد من المسلمين حمل سطلا من الماء والقاه على اسرائيل لجرفها السيل العارم.

وان الاستاذ الدكتور الطيب. أ. محمد استاذ قسم البحوث الاسلامية في

نيجيريا استعرض في كلمته مفاهيم الثورة الاسلامية المباركة في مجال العبادات والحج داعيا لوعي هذه المفاهيم وانزالها الى واقع التطبيق.

وان استاذا جزائريا معروفا تحدث عن دور الثورة الاسلامية في النهوض بالمستوى الثقافي والحماسي لدى المسلمين في اوروبا.

وأخيراً فقد تعرض أساتذة آخرون لجوانب أخرى من الثورة الاسلامية مما اوجد القناعة التامة بان كل المحاولات الاستكبارية والعميلة لتشويه صورة الثورة المباركة قد باءت وتبوء بالفشل الذريع بفضل الله ورحمته.

وان نذر الثورة الاسلامية العالمية تبدو في كل مكان ضدالاستكبار العالمي وضدكل عملائه الذين كبلوا الأمة الاسلامية في كل مكان عن النهوض باجنحتها القوية وصنع الغد الافضل... وقد كان بعض المفكرين يذكرون هذا بكل شوق و يدور الحديث حول بوادر النهوض الاسلامي في مصر والسودان التي اطاحت بالنميري، و باكستان وتركية وجنوب شرق آسيا ولبنان وفي كل مكان من أنحاء العالم رغم كل العقبات والتشوبهات.

ولقد هزتني كلمة قالها مفكر موريتاني حين ذكر ان المسلمين كانوا قبل نجاح الثورة قد لايجرؤون على اظهار اسلامهم وها هم اليوم يسيرون مرفوعي الرأس بالاسلام.

التوضيح الثالث

من المعلوم ان الانحراف والفساد الاخلاقي شكل احد اهم المنافذ التي تسرب الينا منها النفوذ الثقافي الغربي فراح يقتل شخصية الفرد والمجتمع المسلم ويحللها و يسلبها وعيها ويهدد طاقاتها.

وقد تحدثت باختصار عن هذا المعنى في محاضرتي، كما اعطيت بعض التوضيحات عن النماذج اللاخلقية التي كان الشاه يزرعها في الشعب الايراني نيابة عن الاستكبار العالمي وركزت بالخصوص على ملتقيات الشباب التي كانت تحمل شعارات براقة في حين لم تكن تهدف الا الى تمييعهم وتدريبهم على خيانة امتهم والغرق في متاهات الجنس والتحلل، وكذلك ذكرت الخطوات الرائعة التي اعتمدتها الثورة الاسلامية لمحو آثار التحلل الأخلاقي وخصوصا استمدادها من الشعب وتعاونه معها في هذا العمل وذكرت بان على كل الأقطار الاسلامية اينما

كانت ان تشن حملة ضد المفاسد الأخلاقية (الخمر، القمار، الميوعة والتبرج، الغناء الخليع وما الى ذلك) وان تستثمر الأرضية الايمانية لدى الأمة فتستفيد من طاقاتها وطبيعتها الاسلامية لمحو المفاسد وذكرت بان الشعب مستعد للتخلي عن مسكنه ليوفر نظام التعليم غير المختلط وعن مكاسبه المادية ليمنع البلاجات الخليعة، وعن شيء من موارده المالية ليمنع الخمر و بيعها. وقد قلت للمؤتمرين اننا في ايران نخشى من القمر الصناعي العربي اكثر من الأقمار الأخرى لأن هذا سوف يوصل لنا كل ما في تلفزيونات البلاد العربية والاسلامية من تحلل وانحراف مما يسيء ظن شعبنا بعالمنا الاسلامي هذا وقد قدمت بعض المقترحات في هذا السبيل وقد رأينا ذلك ينعكس على بعض التوصيات من قبيل:

أ ــ ماجاء في مقدمة توصيات اللجنة الأولى من نجاح اعداء الاسلام في احكام سيطرتهم على مرافق حياتنا وفي تقديم الاغذية الفاسدة لعقولنا في التلفاز والاذاعة والصحافة ومناهج التعليم ومجالات الأدب والفن والتربية.

ب ــ جاء في توصيات اللجنة الأولى لزوم التخطيط لتفادي آثار البث التلفازي القادم بالأقمار الصناعيه والعمل عل منع اخطاره على المسلمين، ومراعاة استغلال القمر الصناعي العربي الاستغلال الأمثل الذي يعمق قيم الاسلام في النفوس و يوحد الخط الفكري والحضاري للأمة الاسلامية والعربية.

جـ ــ جاء في توصيات اللجنة الثانية: يوصي الملتقى ابناء الأمة الاسلامية علماء ومسؤولين افراداً وجماعات بالعمل الجاد على مكافحة المنكر وتطهير البيئة الاجتماعية مما يتنافى ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف.

الا ان الذي آلمنا كثيرا ان نجد بعض المظاهر التي تتنافى وهذا التوجه فقد صدرت اعلانات في مدينة بجاية عن اقامة عروض فنية ساهرة! بمناسبة الملتقى التاسع عشر كما اختتم الملتقى بنشيد أداه بعض الطلبة والطالبات بشكل يتنافى والحشمة الاسلامية كما رأينا نظير ذلك بل وأشد منه في بعض الاحتفالات الرسمية الا ان الذي آلمنا بشدة ان يواجه احد المسؤولين عن الثقافة اشكالات الطلبة الجزائريين عليه بوجود افلام خليعة في وسائل الاعلام بأجوبة تتنافى والذوق الاسلامي السليم معللا ذلك بعلل اقتصادية مثلا!! أو بوجود أمثال ذلك في شوارع بيروت والقاهرة؟!

اننا نقول هذا من باب حب الخير للأقطار الاسلامية ومسؤوليها داعين

اياهم للعمل على تخليص الجسم الاسلامي من هذه الآفات.

هذا و مما اثلج صدرنا ان بعض المسؤولين تحدثوا عن عملية الأسلمة بالتدريج مما نرجو معه الخير.

التوضيحات الأخرى

وقد قدم الوفد بعد هذا توضيحات مفصلة حول مسألة نظرية الفطرة وضرورة معرفتها وموقف الاسلام منها، وكذلك حول لزوم الوقوف بوجه المحاولات القومية لنزع الصفة الاسلامية عن المفكرين ونسبتهم الى العروبة أو الى أية قومية أخرى.

كما كان هناك تعقيب على محاضرة الأستاذ الكبير الدكتور عبدالحليم الجندي اكدت فيه على لزوم الدراسات الفلسفية الاسلامية ــ بعد ان ذكر عدم ضرورتها ــ ووضحت الدور الذي تلعبه في تأصيل العقيدة والدفاع عنها.

* * *

ثالثاً ــ اما النشاط الثالث للوفد الاسلامي فقد تمثل في اللقاءات المستمرة بالمفكرين من شتى انحاء العالم وعقد ندوات وجلسات مطولة معهم ومناقشة القضايا الفكرية والسياسية وخصوصا ما ينطرح احيانا في اجهزة الاعلام من شبهات. ولقد كانت هذه الجلسات مثمرة حقا.

وكذلك اللقاءات التي تمت مع الشباب الجزائري المسلم رغم أنها كانت محدودة للانشغالات والموانع التي منعت من ذلك.

رابعاً ــ تمت لقاءات اذاعية وتلفزيونية وصحفية لابأس بها، فقد كانت هناك مقابلة مع اذاعة الجزائر، وأخرى مع صحيفة الشعب الجزائري وثالثة مع صحيفة العصر، كما سجلت مقابلة مطولة مع التلفزيون الموريتاني دامت ساعة وربع الساعة وكانت هناك مقابلات صحفية أيضا مع مندوب مجلة العالم ومندوب مجلة الطليعة الاسلامية اللتين تصدران في لندن. وكذلك تمت لقاءات مع بعض الناشرين في باريس.

خامساً ــ إشترك الوفد اشتراكا فعالا في لجنتين من لجان التوصيات الثلاث وقدم مقترحات جيدة أخذت بمجموعها بعين الاعتبار ونستطيع ان نذكر منها اقتراحات حول اعلان الحرب ضد المنكرات في العالم الاسلامي، وضرورة

تقديم الأطروحات التي ينظم الاسلام بها الحياة الانسانية، ولزوم التقليل من الأخطار الثقافية للقمر الصناعي العربي، وضرورة اعطاء الحرية الكافية لمبادلة المطبوعات بين الأقطار الاسلامية.

لقطات عابرة من المؤتمر

١ ــ اتسم الملتقى هذا العام بطابع الاستفادة السياسية اكثر من ذي قبل، ولسنا نمانع في ذلك شريطة ان لايخرج عن الحد المطلوب، ولذلك فاني اعتبر حضور ياسر عرفات خصيصا لهذا الملتقى وما رافق ذلك من تشريفات وما قام به هو من حركات استعراضية والقاء كلام فيه الكثير من الوهن ولمدة ساعة تقريبا امام المفكرين والعلماء، اعتبر ذلك على الأقل مخرجا للمؤتمر عن اطاره العلمي الصحيح.

وقد حاول عرفات ان يظهر نفسه هنا بمظهر الثوري المثابر الذي لايلين معرضا عن كل المحاولات الاستسلامية اليائسة، وأساليب الارتماء في احضان صدام والملك حسين ومبارك وغيرهم من قادة الاستسلام للعدو ومن فرسان المشاريع الأمريكية وفي طليعتها (كامب ديفيد).

كما حاول القول بانه لا يرضى للثورة الفلسطينية ان تفقد صفتها الاسلامية الخالصة متناسيا كل أحاديثه عن الدولة العلمانية وكل ارتمائه في احضان الفلسفات الملحدة وكل ابتعاده عن منطق الاسلام الأصيل في الوقوف التضحوي الكامل امام الغزو الكافر.

كما حاول ان يرجع فكرة انشاء الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الى حملة نابليون لا الى وعد بلفور الأمر الذي دعا الأستاذ الشيخ الغزالي ليرد عليه في اليوم التالي بان الأمر ابعد من ذلك كما توضحه الوثائق المعتبرة.

٢ ــ استعمنا في الملتقى و بشيء من الشوق الى أحاديث جيدة عن الدور الذي لعبه التصوف في انتشار الاسلام في افريقيا. ورغم انه قد اقترنت بالتصوف أحيانا بعض المظاهر غير الاسلامية الا ان الصحيح هو العمل على التوجيه دون الانتقاد المر الذي وجهه احد الأستاتذه من خلال طبيعته الوهابية الجافة والمركزة على القضايا الجزئية معتبرة اياها كل المشكلة في حياتنا الاسلامية العامة.

٣ ــ تحدث الى المؤتمر الدكتور ابراهيم خليل احمد وهو استاذ فى الأزهر

الشريف وكان قسيسا نصرانيا هداه الله الى الاسلام وكان مما قاله التأكيد على النصارى باعتبارهم اقرب الناس للذين آمنوا والبدء بهم الا ان هذه الفكرة واجهت اعتراضا من المفكرين وخصوصا الشيخ الغزالي بعد ملاحظة الدور الماكر الذي لعبته وتلعبه النصرانية في ضرب الاسلام والتآمر على وجوده، اما الآية الكريمة فهي تتحدث عن نصارى اسلموا وهو ما يبدو بوضوح عند ملاحظة السياق:

«لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون، واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين». (المائدة: ٨٢ ـــ ٨٣)

والذي يبدو ان الآية تنظر للمذاهب التي واجهت الرسول (ص) فتذم اليهود والمشركين وتجعل النصارى أقرب الى المسلمين ملاحظة فيهم وجود الزهاد والرهبان أي وجود نفحات روحية مما يمنعهم بطبيعته عن الاستكبار، وميلهم العاطفي للقرب من الاسلام الأمر الذي يؤدي بهم الى الهداية.

اما النصارى الذين تلوهم، واما ما قام به الغرب فهم في الواقع قد ابتعدوا عن أصل دينهم كل البعد، بل وهم يستغلون هذا الدين لمآرب شخصية استكبارية خبيثة وهذا مالا يمكن تحميله على النصارى الزاهدين في عصره (ص).

٤ ـــ استمتعنا في الملتقى بمقالات جيدة اذكر منها تحقيق الاستاذ قسوم عن التحريف الغريب للاسلام في الكتب المدرسية الفرنسية والتخريب اللغوي للدكتور نعمان، وغيرها مما اعطى المؤتمر ثراء جيدا.

٥ ـــ نقل الشيخ البوطي عن لورانس العرب القائد الانكليزي العميل الذي عمل هو و مجموعة من جواسيس الانكليزمن قبيل جون فيلبي الذي أشهر اسلامه كذبا وتسمى بـ (عبدالله فيلبي) وشارك في تغييرات سياسية كبرى في المنطقة، وكذلك المستر كوكس، عملوا جميعا على تنفيذ السياسة البريطانية الاستعمارية، نقل عنه قوله في كتابه (اعمدة الحكمة السبعة) «انني لفخور الآن بهذه الحرب التي وضعت اوزارها دون ان تراق فيها قطرة دم انكليزية» وهو يشير الى الاستغلال الانكليزي للقومية العربية وللعملاء الفكريين لتمزيق الخلافة العثمانية وتشتيت الأمة وتحقيق المآرب الكافرة.

٦ ــ القى الأخ مولود قاسم كلمة جامعة جيدة حدثتنا عن (بجاية) وتاريخها الجهادي الاسلامي الرائع ودورها في تصدير الوعي، والحضارة الى أوروبا وجهد علمائها في خضم الثورة الاسلامية في الجزائر، ومؤتمرات الصومام وغير ذلك مما اثلج الصدور وعرفنا بتاريخ لم نكن نعرف تفصيلاته.

٧ ــ انتقد الاستاذ عبدالهادي التازي ــ وهو باحث قدير من المغرب ــ استعمال المسلمين لمصطلحات غربية وذلك من قبيل تسمية العصور المظلمة لأوروبا بالعصر الوسيط مع انه كان بالنسبة لنا عصر التقدم العلمي الاسلامي والتوسع في المجالات السياسية.

٨ ــ انتقد بعض المتحدثين في المؤتمر ما نشرته الصحف عن البرامج اللااسلامية لملتقى الشباب ورأى في ذلك انحرافا صريحا عن الاسلام. وقد أكدتُ ذلك محذرا من مثل هذه البرامج التي تشكل مسربا من مسارب النفوذ الثقافي الغربي.

٩ ــ ذكر في الملتقى ان الاستعمار الفرنسي كان يصرح بانه (اذا أردنا ان نخضع الجزائر (اثناء ثورتها) فعلينا ان ننفذ الى النساء من وراء الملاءات) ولابد أنهم يريدون العمل على شل جهاد المرأة المجاهدة، وتمييعها ليتسنى لهم تنفيذ مآربهم.

١٠ ــ قمنا بزيارة ممتعة لحي القصبة وهو الحي الفريد في طراز بنائه و يوجد أمثاله في مختلف المدن الجزائرية، ولهذا الحي تاريخ رائع في جهاده ضد المستعمرين الغاصبين، وابناؤه يحملون في قلوبهم حب الامام الخميني القائد وقد لاحظنا البعض منهم يعلق صورته علامة على ذلك.

١١ ــ حدثني احد المفكرين الجزائرين عن حادثة رائعة أثرت في نفسه كثيراً حينما كان يزور طهران مشاركا في احد الاحتفالات الثورية فقال: (بعد منتصف احدى الليالي احتجت للذهاب الى غرفة زميلي من الوفد الجزائري ففتحت باب غرفتي في الفندق وسرت في البهو واذابي اشاهد الحارس الثوري وقد فرش سجادته وراح يؤدي صلاة الليل بكل خشوع).

١٢ ــ تحدث لي مفتي احد دول شمال أفريقيا عن الخصائص الرائعة التي تتمتع بها الجامعات العلمية الدينية في ايران حيث انها تعتمد الاستقلال السياسي والمالي نظرا لمواردها من الخمس والزكاة وقد اكملت حديثه بعرض

مسألة الاجتهاد والتقليد التي تربط الناس بشكل مباشر بالمرجع بعلاقة الهية لا تنفصم.

١٣ ــ حذر أحد المفكرين السعوديين من تعظيم الهجوم الثقافي الغربي وتضخيمه وادعى انه لايملك هذا الحجم الذي يتحدث به عنه الا ان هذا الأمر وقع موقع الرفض من مفكرين جزائريين وغيرهم حيث اثبتوا بالأرقام سعة الهجوم الثقافي وقوة مراكز الرصد الاستعماري واعتبروا هذا التهوين أمرا يجب الحذر منه.

١٤ ــ لاحظنا ان هناك ضغطا وهابيا واسعا على مختلف الأقطار الاسلامية ومن جملتها الجزائر الا ان كل المحاولات تبوء بالفشل نتيجة الجمود الوهابي ومعرفة الشعوب الاسلامية بحقيقة اتجاهاته المركزة على المسائل الجزئية غافلة عن القضايا الكبرى وكذلك حقيقة اتجاهاته السياسية الاستسلامية للهجوم الغربي في مختلف المجالات.

التوصيات

وفي ختام جلسات المؤتمر تليت التوصيات التي اعدتها لجان ثلاث شكلت لهذا الغرض.

وقد ركزت توصيات اللجنة الأولى ومحورها (تحليل وضعية الغزو الثقافي في المجتمعات الاسلامية المعاصرة) على طرائق المواجهة التالية:

١ ــ العمل على تغيير المناهج التعليمية الى مناهج اسلامية بحتة.

٢ ــ ايجاد البديل الصالح في مجالات الفنون والآداب بما يحقق التخصص الدقيق والثقافة الاسلامية.

٣ ــ مقاومة نزعة الاستيراد الصناعي والزراعي.

٤ ــ ضرورة تأصيل البحوث التأريخية، الدينية والأدبية.

٥ ــ اختيار الأساتذة المسلمين للتدريس في الجامعات والتحري في اختيار الأجانب لذلك.

٦ ــ انشاء مراكز ومكاتب لمتابعة ما ينشر عن الاسلام.

٧ ــ انشاء منظمة اسلامية للحضارة الاسلامية تتولى برمجة النشاطات في الدول الاسلامية.

٨ ــ العمل على اعداد دعاة اسلاميين ثقافيا وسلوكيا.

٩ ــ استنقاذ المرأة من الغزو التبشيري والتقاليد الدخيلة.

١٠ ــ جعل الفقه الاسلامي مصدرا للتشريع في جميع المجالات.

١١ ــ تفادي آثار البث التلفازي السلبية، واستغلاله في تعميق القيم الاسلامية.

بينما ركزت اللجنة الخاصة بالنهوض الثقافي على التوصيات التالية:

١ ــ العمل على جعل الفكر الاسلامي هو السائد في بلاد المسلمين.

٢ ــ العمل على جعل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين أساسيين في المعرفة وكل مجالات الحياة.

٣ ــ تقديم البدائل الاسلامية في مجالات تنظيم الحياة الاجتماعية واظهار قوة الفكر الاسلامي.

٤ ــ تسامي المسلمين الفكري وتكثيف جهودهم وتوحيدها في نصرة مبادئ الاسلام.

٥ ــ تحرير الشخصية الاسلامية من عقد النقص والهزيمة بتوفير الرؤية الاسلامية في سائر مجالات الحياة.

٦ ــ دعم واثراء المناهج التربوية والتعليمية والثقافية الاسلامية التي تكفل غرس الفضيلة في نفوس الناشئة.

٧ ــ توثيق صلة الناشئة الاسلامية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، حفظا ومنهجا.

٨ ــ مساعدة حفظة القرآن الكريم ومتعلمي اللغة العربية مادياً ومعنوياً.

٩ ــ مراقبة ما يكتب عن الاسلام باللغات الأجنبية.

١٠ ــ العناية بالشبيبة الاسلامية في مجال المهارات العلمية والتقنية والسياحية وتقوية احساسهم الوجداني بالأهداف الاسلامية العليا.

١١ ــ العمل على تنشئة جيل من الأدباء المسلمين المبدعين في مجالات التاريخ والنقد.

١٢ ــ العناية بأدب الأطفال وتوجيهه اسلاميا ونشره.

١٣ ــ تيسير الاطلاع على التراث الاسلامي بجميع الوسائل العلمية والعملية.

١٤ ــ تعميم اللغة العربية في كافة البلدان الاسلامية باعتبارها لغة

القرآن الكريم.

١٥ ــ تعريب المصطلحات العلمية والتقنية الضرورية وتوحيدها.

١٦ ــ الاهتمام بتعليم الاسلام واللغة العربية للاقليات الاسلامية وتوفير الوسائل اللازمة لذلك.

١٧ ــ حماية المفاهيم الاسلامية الأصيلة من التلاعب بها وتحوير أو تحريف دلالاتها.

١٨ ــ تعلم المسلمين لغات الشعوب المسلمة وتعليمها توثيقا للروابط بينها.

٢٠ ــ العناية بترجمات معاني القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية.

٢١ ــ ترجمة التراث العلمي والحضاري العالمي الى العربية ولغات الشعوب المسلمة.

٢٢ ــ اقامة معاهد ومراكز متخصصة لاعداد المتخصصين الاسلاميين في سائر الفنون والآداب، وتشجيع الموجود منها فعلا.

٢٣ ــ تيسير سبل الاتصال والتبادل الفكري والثقافي بكل الوسائل الممكنة.

٢٤ ــ المزيد من العناية بمستوى المرأة المسلمة الثقافي والفكري والاجتماعي.

٢٥ ــ احياء الدول الاسلامية للقيم الحضارية والفنية الاسلامية.

٢٦ ــ العمل الجاد على مكافحة المنكر من قبل جميع المسلمين.

كما اوصت اللجنة الثالثة المتخصصة بالجاليات الاسلامية في الدول الاجنبية والمغتربين بالنقاط التالية:

١ ــ انشاء منظمة اسلامية تعنى بشؤون الجاليات الاسلامية في الخارج.

٢ ــ التوسع في انشاء المراكز الاسلامية في الخارج لرعاية وحماية المسلمين من الذوبان والانعزال.

٣ ــ التنسيق بين الهيئات الاسلامية وتوحيد برامجها بشأن حماية المسلمين في الخارج.

٤ ــ العمل على اعداد الداعية الكفء متعدد الكفاءات والقدرات لقيادة الجاليات الاسلامية في الخارج.

٥ ــ الاعانة على فتح مدارس اسلامية وعربية بجانب البرامج الأخرى في بلاد الاغتراب واعداد كل من المدرسين الجيدين والآباء المربين لتنشئة الجيل الاسلامي الجيد.

٦ ــ العناية بتوفير المجلات والنشرات والكتاب الاسلامي والعربي الصالح والمتدرج لهم.

٧ ــ ارسال مشاهير الدعاة والعلماء اليهم في زيارات وجولات لشرح تعاليم الاسلام.

٨ ــ التوسع في تخصيص منح لهم في الجامعات والمدارس في البلاد الاسلامية في مختلف مجالات التربية والتعليم.

٩ ــ دعوتهم وأسرهم لزيارة البلدان الاسلامية لتأكيد الروابط.

١٠ ــ تأكيد الدول الاسلامية على الدراسات الاسلامية في الجامعات والمعاهد العليا في الخارج لضمان التوجيه الصحيح.

١١ ــ تسخير وسائل الاعلام لعرض وايصال التاريخ والثقافة الاسلامية، وابعادهم بها عن التضليل الاعلامي المضاد.

١٢ ــ اعتماد مؤسسات اقتصادية اسلامية لهم، وتوجيه وتوظيف مدخراتهم الى البلاد الاسلامية.

والله الموفق الى سواء السبيل.

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر : ٢٣٠ ريال